الماوية تدحض الخوجية ومنذ 1979.

شادي الشماوي

مقدّمة العدد الحادي عشر من " الماوية : نظرية و ممارسة ": الماوية تدحض الخوجية ومنذ 1979.

أنور خوجا يقلب الحقائق التاريخية رأسا على عقب ويقود هجوما دغمائيا تحريفيّا على الماركسية- اللينينية - الماوية .

توفّي ماوتسى تونغ فى 9 سبتمبر 1976. و بعد شهرين ، فى نوفمبر 1976 ، عقد حزب العمل الألباني مؤتمره السابع و جاء فى تقرير اللجنة المركزية ، على لسان أنور خوجا :

" إنّ الإنتصارات التاريخية التى حققها الشعب الصيني فى ثورته و بنائه الإشتراكي العظيمين و إنشاء الصين الشعبية الجديدة و السمعة الكبيرة التى يتمتّع بها فى العالم ، مرتبطة بإسم القائد العظيم ، الرفيق ماو تسى تونغ و تعاليمه و قيادته. و يمثّل عمل هذا الماركسي-اللينيني مساهمة فى إثراء نظرية البروليتاريا و ممارستها. و الشيوعيون و الشعب الأبانيين سيحيبان على الدوام ذكرى الرفيق ماو تسى تونغ الذى كان صديقا كبيرا لحزبنا و شعبنا...

لقد مضت ألبانيا و الصين قدما فى دكتاتورية البروليتاريا و فى بناء الإشتراكية اللتين خانهما التحريفيون ، ألبانيا و الصين اللتان ظلّتا وفيتين للماركسية-اللينينية، و دافعتا عنها بتصميم و أعلنتا حربا إيديولوجية ضروسا ضد تحريفية خروتشاف و أتباعه . الشيوعية لم تمت ، على العكس ما كانت تتمنّى البرجوازية، و قد إبتهج الإنتهازيون و التصفويون قبل الأوان".

وفى بيان مشترك لبعثات الأحزاب الماركسية-اللينينية لأمريكا اللاتينية (بعثة الحزب الشيوعي (الماركسي- اللينيني) الأرجنتيني ، و بعثة الحزب الشيوعي البوليفي (الماركسي- اللينيني) ، و وبعثة الحزب الشيوعي البرازيلي ، و بعثة الحزب الشيوعي الكولمبي (الماركسي- اللينيني) ، و بعثة الحزب الشيوعي الثوري الشيلي، و بعثة الحزب الشيوعي الماركسي-اللينيني الإكوادوري) الحاضرة فى المؤتمر السابع لحزب العمل الألباني بتيرانا ، ألبانيا ، نوفمبر 1976، نقرأ :

" 8. وجهت البعثات الحاضرة تحيّة عالية و عبّرت عن عمق ألمها لوفاة الرفيق ماو تسى تونغ ، رئيس اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني ، و قائد لا جدال فيه للشعب الصيني ، و ماركسي – لينيني عظيم و معلّم كبير للبروليتاريا و الشعوب المضطهَدة فى العالم بأسره. فى ظلّ القيادة الحكيمة للرفيق ماو تسى تونغ و الحزب الشيوعي الصيني ، خاضت البروليتاريا و خاض الشعب الصيني حربا ثورية و إفتكّا السلطة و شيّدا الإشتراكية فى الصين. و هكذا غدت الصين المتخلّفة و الخاضعة للإمبريالية ، بلدا إشتراكيّا معاصرا ،و حصنا حصينا للثورة العالمية.و كذلك فى ظلّ قيادة الرفيق ماو تسى تونغ ، جرت معالجة بطريقة صحيحة لمشكل الهام لكيفية مواصلة الصراع الطبقي فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا و الحيلولة دون إعادة تركيز الرأسمالية فى الصين. لقد رفع الرفيق ماو تسى تونغ بصلابة راية الماركسية- اللينينية و أطلق النضال ضد التحريفية المعاصرة ، مساهما هكذا بحيوية فى إعادة تشكيل الحركة الشيوعية الماركسية- اللينينية العالمية. و ستظلّ مسيرته كمقاتل ثوري و أفكاره التى طوّرت الماركسية- اللينينية حاضرة فى قلوب شعوب و شيوعيي العالم قاطبة و أذهانهم ".

و عقب ذلك بسنتين ، يشنّ أنور خوجا و حزب العمل هجوما مسعورا دغمائيّا تحريفيّا على ماو تسى تونغ ، فى كتاب أعلن عن نشره أواخر ديسمبر 1978 و حمل من العناوين " الإمبريالية و الثورة " . و فيه أفرد خوجا فصلا كاملا لتشويه فكر ماو تسى تونغ معتبرا إيّاه " نظرية معادية للماركسية " و معتبرا أنّ الصين لم تعرف أبدا الإشتراكية و البناء الإشتراكي و أنّ صراع ماو تسى تونغ و الحزب الشيوعي الصيني ضد التحريفية السوفياتية لم يكن نابعا من مواقف صحيحة و مبدئية ماركسية- لينينية وما إلى ذلك من تقليعات دغمائية تحريفية !!!

===

هذه إطلالة أولى على الإنقلاب الخوجي المضاد لعلم الثورة البروليتارية العالمية ، أمّا الإطلالة الثانية فنخرجها لكم كالتالى :

ورد فى خطاب أنور خوجا ، فى 7 جانفي 1964، ضمن كرّاس " عاشت الصداقة الصينية – الألبانية " :

" أبدا لن ينسى الشيوعيون الألبانيون و لن ينسى الشعب الألباني أن إخوتهم الصينيون وقفوا إلى جانبهم فى الأفراح و الأتراح. لن ينسوا المساعدة الكريمة للأخوة الصينيين الذين تقاسموا معاشهم مع شعبنا. أبدا لن ينسوا أنّ الحزب الشيوعي الصيني حافظ دائما على حزب العمل الألباني مثلما يحافظ المرء على أمّ عينه".

و فى 30 سبتمبر 1978 ، فى بيان مشترك بين الحزب الشيوعي الكولمبي (الماركسي- اللينيني) و الحزب الشيوعي الثوري الشيلي و الحزب الشيوعي الماركسي – اللينيني الإكوادوري و حزب الراية الحمراء الفينيزوالي ، هناك تحليل نقدي يبيّن تحريفية " نظرية العوالم الثلاثة " و تناقضها مع تعاليم ماو تسى تونغ و فى النقطة 15 من خاتمة البيان كتبوا:

" تعتبر أحزابنا أنّه ، إزاء إستعمال التحريفيين الصينيين لأعمال ماو تسى تونغ و سمعته للتغطية على مخطّطاتهم لإعادة تركيز الرأسمالية فى الصين و بناء قوّة عظمى جديدة إمبريالية- إشتراكية و مغالطة البروليتاريا و الشعوب بنظريتهم الضارة للغاية ، نظرية " العوالم الثلاثة" ؛ من الواجب الأكيد أن نصون تعاليم ماو تسى تونغ الثورية ، الماركسية- اللينينية . و تثمّن أحزابنا إلى درجة كبيرة مساهمات الرفيق ماو تسى تونغ فى الثورة العالمية."

و بعد نحو السنة من ذلك ، فى أكتوبر 1977 ، صدر بيان عن الحزب الشيوعي الإسباني (الماركسي- اللينيني) و الحزب الشيوعي البرتغالي المعاد تشكيله و الحزب الشيوعي الإيطالي الماركسي- اللينيني و الحزب الشيوعي اليوناني الماركسي- اللينيني و الحزب الشيوعي الأماني الماركسي – اللينيني فيه نقرأ :

" فى الذكرى الأولى لوفاة الرفيق ماو تسى تونغ ، ترفع أحزابنا تحيّة له و تأكّد على أنّ وفاته تمثّل خسارة كبرى للحزب الشيوعي الصيني العظيم و لكافة الحركة الشيوعية العالمية . كان الرفيق ماو تسى تونغ ، القائد العظيم للشعب و الحزب الشيوعي الصيني كذلك قائدا عظيما للبروليتاريا العالمية.تعتبر أحزابنا أن من واجب جميع الماركسيين- اللينينيين الدفاع بصلابة عن التعاليم الثورية للرفيق ماو تسى تونغ- لا سيما منها تلك المتصلة بالصراع ضد التحريفية المعاصرة ،و بالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و بالصراع ضد الإنتهازيين من كلّ لون- إزاء جميع الذين بنفاق يستعملون إسمه ليشوّهوا تعاليمه و للهجوم عليه بشكل ملتوى."

إثر وفاة ماو تسى تونغ، أنجزت الطغمة التحريفية الصينية بقيادة دنك سياو بينغ و هواو كوفينغ إنقلابا مضادا للثورة فى الصين فصعدت بذلك البرجوازية الجديدة إلى السلطة و أعيد تركيز الرأسمالية هناك و تحوّلت الصين ماو الإشتراكية إلى صين دنك الرأسمالية و تحوّل الحزب الشيوعي الصيني من حزب بروليتاري إلى حزب برجوازي .

و فى جويلية 1978 ، تنكّرت البرجوازية الجديدة الحاكمة للصين للإتفاقيات مع ألبانيا و أوقفت التعاون الإقتصادي و العسكري معها ، مثلما سبق و أن فعل التحريفيون السوفيات مع الصين الماوية.

و طار عقل أنور خوجا و طفق يخلط الحابل بالنابل و يصبّ جام غضبه على ماو تسى تونغ و يكيل الشتائم و يلصق به و ينسب إليه أفكارا و نظريّات أعدائه (مثل " نظرية العوالم الثلاثة " لدنك سياو بينغ) و يمرّغ سمعته فى الوحل بعد أن كان يرفعه إلى السماء ، مستعملا فى ذلك جميع الأساليب الإنتهازية و التزوير و الكذب و قلب الحقائق رأسا على عقب بأشكال

و طرق قد تتصوّرونها و أخرى قد لا تصوّرونها أصلا و بهجومه ذلك على أرقى ما بلغه علم الثورة البروليتارية العالمية كان يحطّم المبادئ الماركسية- اللينينية و يدافع عن الأفكار التى أثبت تاريخ الحركة الشيوعية العالمية و الصينية أنها خاطئة ، تحريفية. فقدّم خدمة هائلة للبرجوازية العالمية إذ تسبّب فى إنقسامات داخل الحركة الماركسية-اللينينة العالمية إستغلّها الإنتهازيون فى الأحزاب و المنظّمات الماركسية- اللينينية عبر العالم ليرتدّوا و يديروا ظهرهم للثورة البروليتارية العالمية و يخونوا الشيوعية و قضية الطبقة العاملة العالمية.

======

لكن هيهات أن يلزم الشيوعيون الحقيقيون الماويون الصمت إزاء ذلك الهجوم الدغمائي التحريفي! فمنذ السبعينات ،إنبروا يقاتلون الخوجية و بالفعل ألحقوا بها أشدّ الهزائم المريرة عالميّا . و يشهد واقع اليوم بتقدّم مطّرد للماوية طليعة للموجة الجديدة من الثورة البروليتارية العالمية و بتراجع ملموس للخوجية كضرب من ضروب التحريفية و إندحارها فى عديد البلدان إلاّ أنّه عربيّا ، لا زلنا فى حاجة أكيدة إلى مزيد فضح الخوجية و كافة أرهاط التحريفية المهيمنة على الحركة الشيوعية حتّى ستطيع الماوية أن تتبوّأ المقام الذى تستحقه لإيجاد الأسلحة السحرية الثلاثة (الحزب الشيوعي الماركسي-اللينيني-الماوي و الجبهة الوطنية الديمقراطية و جيش التحرير الشعبي) و قيادة حرب الشعب لإنجاز الثورة الديمقراطية الجديدة تمهيدا للثورة الإشتراكية كجزء لا يتجزّأ من الثورة البروليتارية العالمية و غايتها الأسمى تحقيق المجتمع الشيوعي الخالي من كافة ألوان الإستغلال و الإضطهاد القومي و الطبقي و الجندري.

و هذا العدد من " الماوية : نظرية و ممارسة " مساهمة فى النهوض بهذه المهمّة الملحّة على الجبهة النظرية و السياسية.وقد إخترنا له من العناويون " الماوية دحضت الخوجية و منذ 1979" و كانت إضافة "ومنذ 1979" موجّهة ضد محترفي تدليس تاريخ الماوية ، ليس كلزوم ما لا يلزم و إنّما لتبيان أنّ ردّ الفعل الماوي كان سريعا و دقيقا و عميقا منذ عقود الآن ما خوّل للمنظّمات و الأحزاب الماوية أن تنظّم ندوة عالمية فى مطلع الثمانينات ثمّ ندوة ثانية فى 1984 إنتهت إلى تشكيل الحركة الأممية الثورية التى كانت من أهمّ نواتاتها الأولى الأحزاب التى إنبرت لتتصدّى للخوجية بجرأة و صراحة مطلقة الوثائق التى سنعرض عليكم سهاما تصيب كبد الحقيقة الخوجية و ترفع عاليا راية الماوية – حينها فكر ماو تسى تونغ.

و للتاريخ ، تجدرالإشارة بشكل عابر فحسب إلى أنّ الحزب الشيوعي الثوري الأمريكي الذى نشر الوثائق التى نضع بين أيديكم فى مجلته "الثورة " سنة 1979، قد سبق و أن كتب مباشرة بُعيد إعلان الوكالة التليغرافية الألبانية فى 20 ديسمبر 1978 عن صدور "الإمبريالية و الثورة " و عرضها لمضمونه، إفتتاحية العدد الأوّل من المجلّد الرابع من "الثورة " ، جانفي 1979، تحت عنوان " أنور خوجا يفضح الإنتهازية – إنتهازيته " قبل أن ينشر لاحقا سلسلة من التعليقات على "الإمبريالية و الثورة " منها إنتقينا " فى الردّ على الهجوم الدغمائي- التحريفي على فكر ماو تسى تونغ". وهذه الإفتاحية . متوفّرة على الأنترنت فى موقع الموسوعة المناهضة للتحريفية باللغة الأنجليزية :

Encyclopedia of Anti-Revisionism On- Line

و فصول مسرحية المرتدّ أنور خوجا و الخوجية بتفاصيها الدقيقة تفضحها وثائق الماويين عبر العالم فى متن هذا العمل . و لأنّ الكتابات الماوية ضد الخوجية كثيرة و عديدة كان علينا أن ننتقي أكثرها رواجا ؛ على حدّ علمنا ، و أهمّها بإعتبار الدور الذى لعبته فى الدفاع عن الماوية و دحض الخوجية، فوقع إختيارنا الذى نرجو أن يكون موفّقا على وثائق أربعة ؛ واحدة من بلد إمبريالي – الولايات المتحدة الأمريكية ، للحزب الشيوعي الثوري الأمريكي و ثلاثة من مستعمرات جديدة الأولى من تركيا – أوروبا و الثانية من الشيلي و الثالثة من سيلان [سيريلانكا]، من أمريكا اللاتينية و من آسيا على التوالي. وهي:

1- بإحترام و حماس ثوريين عميقين، نحيّي القائد الخالد للبروليتاريا الصينية، الرفيق ماو تسى تونغ، فى الذكرى الثالثة لوفاته! – الحزب الشيوعي التركي / الماركسي-اللينيني، جويلية 1979.

2- **<u>دفاعا عن فكر ماو تسى تونغ؛ وثيقة تبنّاها مؤتمر إستثنائي للحزب الشيوعي بسيلان إنعقد فى جويلية1979.</u>**

(و إضافة إستثنائية: **" <u>دحض أنور خوجا</u>"** ؛ **ن. ساموغاتاسان، الأمين العام للحزب الشيوعي بسيلان - 1980.)**

3- **"*<u>تقييم عمل ماو تسى تونغ</u>"؛*** **للحزب الشيوعي الثوري الشيلي-** جويلية 1979.

4-**<u>" فى الردّ على الهجوم الدغمائي - التحريفي على فكر ماو تسى تونغ " بقلم ج. وورنار؛</u>** <u>ماي 1979.</u>

==

<u>-1-</u>

==

<u>بإحترام و حماس ثوريين عميقين، نحيّي القائد الخالد للبروليتاريا الصينية، الرفيق ماو تسى تونغ ، فى الذكرى الثالثة لوفاته!</u>

أيها العمّال و الفلاحون، شعبنا من مختلف القوميّات !

أيّها الوطنيون و الثوريون، و الرفاق !

يمثّل التاسع من سبتمبر الذكرى الثالثة لوفاة الماركسي- اللينيني الكبير ماو تسى تونغ وهي ذكرى تكتسي أهمّية كبرى بالنسبة للبروليتاريا العالمية و الشعوب المضطهَدَة فى العالم و كذلك بالنسبة للبروليتاريا و الشعب المفقّر فى تركيا ذلك أنه يقع الآن شنّ هجوم شرس من أربع جهات ضد إيديولوجيا الطبقة العاملة مجسّدة فى ماو تسى تونغ.

فى الذكرى الثالثة لهذا القائد الخالد ، ماو تسى تونغ، يصرّح الحزب الشيوعي التركي / الماركسي-اللينيني ، مجدّدا ، و بصوت عالي بأنّ الدفاع عن ماو تسى تونغ شرط ضروري لمزيد تطوير نضالات الثورات البروليتارية المخاضة عالميّا ضد الإمبريالية و الإمبريالية الإشتراكية و عملائهما المأجورين. ويعلن حزبنا، الحزب الشيوعي التركي / الماركسي-اللينيني، مرّة أخرى ، بصلابة لأصدقائه و أعدائه أنّه لا يمكن الدفاع عن الماركسية- اللينينية إلاّ عبر الدفاع عن مساهمات ماو تسى تونغ ، لا غير.

لسنوات ، كان الإمبرياليون و الإمبرياليون الإشتراكيون و كلابهم السائبة يهاجمون بخبث إسم ماو تسى تونغ . ما الذى يدفعهم إلى مثل هذه الهستيريا الحاقدة ؟ ما يدفعهم هو أنّ ماو تسى تونغ بسيره بصلابة على طريق لينين وستالين ، قدّم مساهمات خالدة فى النظرية الثورية للبروليتاريا حول كيفية قيادة الشعوب المضطهَدَة من قبل الإمبريالية ،و الرأسمالية الكمبرادورية و الإقطاعية فى البلدان شبه الإقطاعية شبه المستعمرة لتوجيهها عبر الثورة الديمقراطية الشعبية نحو الإشتراكية. وزيادة على ذلك ، قدّم ماو تسى تونغ مساهمات هامة أثرت الماركسية- اللينينية كذلك فى مجال المادية الجدلية و فى مسألة مواصلة الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية.

بقيادة ماو تسى تونغ، قاد الحزب الشيوعي الصيني البروليتاريا و الشعب الصينيين لضمان نجاح الثورة الديمقراطية الشعبية و هكذا تحرّر 600 مليون نسمة من السلاسل الدامية للإمبريالية، و فى نفس الوقت ، وفّر مساعدة لا تقدّر بثمن للإتحاد السوفياتي ، حينها بقيادة ستالين، فى الدفاع عن الوطن الإشتراكي و أشار إلى طريق التحرير العملي لشعوب البلدان شبه الإقطاعية شبه المستعمرة.

و لم يكتف الشعب الصيني و الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو تسى تونغ بهذا بل مضيا قدما فى إنجاز الثورة الإشتراكية أيضا. وفى النضال من أجل بناء الإشتراكية ، قدّمت البروليتاريا الصينية بقيادة ماو تسى تونغ كذلك مثالا لامعا عن كيفية مواصلة الثورة فى ظلّ الإشتراكية من خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التى لا تزال تبثّ الرعب فى قلوب كافة التحريفيين و الإمبرياليين. وفى ظلّ قيادة ماو تسى تونغ ، عارض الحزب الشيوعي الصيني بصرامة إعادة تركيز الرأسمالية من قبل تحريفية خروتشاف – بريجناف فى الإتحاد السوفياتي، و قاد البروليتاريا العالمية فى إستيعاب

ظاهرة الإمبريالية الإشتراكية الروسية و أشار إلى طريق تقدّم شعوب العالم فى النضال ضد هذه القوّة الإمبريالية الصاعدة الجديدة- و بالتالى من المتوقّع و الطبيعي تماما أن تصبّ الجبهة العالمية المعادية للثورة جام غضبها على ماو تسى تونغ مستعملة فى ذلك كافة الأسلحة.

نعلم جميعا أنّ فى بلادنا، توجه الدولة و الصحافة و الناطقين الرسميين الكمبرادوريين و الملاكين الإقطاعيين هجومهم الأساسي ضد الذين يسمّونهم " أتباع ماو".إنّهم يقومون بذلك لعزل الثوريين و النيل من سمعتهم فى أعين الشعب. فى وقت سابق ، إعتادوا أن يهاجموا بلا تمييز الوطنيين ، الديمقراطيين و الثوريين على أنّهم " شيوعيون". ثمّ لاحقا، عندما بات واضحا للشعب أنّ " الشيوعية" ليست فزّاعة و إنّما الذين يقع الهجوم عليهم هم بالفعل وطنيون و ثوريون عارضوا الإضطهاد و الإستغلال ، طفقوا الآن يهاجمون بأعلى أصواتهم " أتباع ماو تسى تونغ إرهابيون/ فوضويّون"!

وفى الواقع ، القوى التى حاولوا تشويهها على أنّها " أتباع ماو" كانت تمثّل مجموعة عريضة من المنظمات الثورية التى وقفت ضد الإمبريالية و الإمبريالية الإشتراكية بدرجات متفاوتة. و كانت هذه المنظّمات الثورية ، بإستثناء الحزب الشيوعي التركي /الماركسي-اللينيني، فى الأساس فى الكلام فقط تدافع عن الماركسية- اللينينية التى كان ماو تسى تونغ بصلابة يرفع رايتها ، و كانت تسعى إلى أن تقبل بكلمات قليلة تستشهد بها نظرية الثورة الوطنية و الديمقراطية و الإستراتيجيا الوحيدة لهذه الثورة ، حرب الشعب ، التى طوّرها ماو تسى تونغ و طبّقها على البلدان شبه الإقطاعية شبه المستعمرة مثل بلدنا. و اليوم، بإدانة ماو تسى تونغ بصورة سافرة على أنّه غير ماركسي- لينيني ، قد إتّقت ضغط الطبقات الحاكمة لتنجو بجلدها.

الإخوة و الأخوات،

لا وجود لشيئ إسمه " أتباع ماو". فهذا تعبير صنعته عن وعي الطبقات الحاكمة لأجل التضليل و التأثير الإيديولوجي على شعبنا و لإبعاده عن الواقع. ما يوجد هو شيوعيون حقيقيون ، الطليعة السياسية للطبقة العاملة وهي تسير على الطريق الذى خطّه الرفاق ماركس و إنجلز و لينين و ستالين و ماو تسى تونغ.

تهاجم المنظّمات الإشتراكية الفاشية مثل الحزب " الشيوعي" التركي و حزب العمال التركي و حزب العمال الإشتراكي التركي و العملاء المأجورين للإمبريالية الإشتراكية الروسية فى بلادنا ، تهاجم الماركسيين- اللينينيين على أنّهم ذئاب كالحة أتباع ماو"، وهجماتها هي أيضا طبيعية لأنّنا بإستمرار نفضحهم و أسيادهم المعادين جوهريّا للثورة. فى الماضى ، جرى إستهداف بعض الثوريين البرجوازيين الصغار الذين عارضوا الإمبريالية الإشتراكية و رفعوا راية إستراتيجيا حرب الشعب، و إن فى الكلام وحسب، من قبل الهجوم الإشتراكي الفاشي، ومع ذلك ، بتراجع هؤلاء عن خطّ النار هذا ، قد ضمنوا الآن " رفاهيتهم". و فى الواقع ، ما إنفكّوا يشيرون إلينا نحن الشيوعيون ك" أتباع ماو" و هم قد شرعوا فى تنظيم نشاطات مشتركة مع الإشتراكيين الفاشيين.

وليس صدفة انّ البرجوازية الكمبرادورية و الإقطاعيين يصرخون " أتباع ماو" و يضربون الأرض بأقدامهم بشراسة، لأنّ فى بلد مثل بلدنا ، نظريات الثورة الديمقراطية الشعبية التى إستقاها ماو من لينين و ستالين و طوّرها أكثر ،و إستراتيجيها حرب الشعب ، تشير إلى الطريق الحقيقي و إلى الهدف الأوّل لتحرير الطبقة العاملة و شعبنا. و صيغُ من قبيل "حرب الشعب" و " قواعد سلطة حمراء" و " محاصرة الريف للمدينة " تكفى كلّها فى حدّ ذاتها لترعب الطبقات الحاكمة إلى درجة الهلوسة و ذلك لأنّه وراء هذه النظريات ، يمكنهم رؤية الطريق الذى سيقود بالتأكيد إلى هزيمتهم و يضع حدّا لسيطرتهم الدامية.

الإخوة و الأخوات،

وفى الوقت الراهن ، تشنّ الهجمات الموجّهة ضد ماو ليس من قبل الطبقات الحاكمة و حسب. فعالميّا يوجد على جدول الأعمال نقاش محتدم حول ما إذا كان ماو تسى تونغ شيوعيّا حقيقيّا أم لا. و قد أطلق هذا النقاش حزب العمل الألباني الذى قاد الثورة الوطنية و الديمقراطية فى ألبانيا ، و قاد البروليتاريا الألبانية فى بناء الإشتراكية، و إلى جانب الحزب الشيوعي الصيني ناضل ضد التحريفية المعاصرة لخروتشاف ، و الذى لا زلنا نعتبره ماركسيا- لينينيّا [الحزب الألباني].

بطريقة غير مسؤولة، أعلن حزب العمل الألباني أنّ نضال ماو تسى تونغ و الحزب الشيوعي الصيني فى ظلّ قيادته معادى للماركسية- اللينينية ومعادى للثورة. وقد إدعى أنّ ماو تسى تونغ مسؤول عن " نظرية العوالم الثلاثة " المعادية للثورة و أنّ زمرة المرتدّ دنك سياو بينغ تواصل تطبيق خطّ ماو تسى تونغ . وقد نزل هذا الخطأ الفادح لحزب العمل الأباني بردا و سلاما على الإنتهازيين و التحريفيين و كافة الذين لفّوا لفهم عبر العالم و صار مصدر قوّة لهم فى تخريب الثورات التى تقودها البروليتاريا.

وفى بلادنا ، تشنّ المنظّمات الثورية البرجوازية الصغيرة هجوما حاقدا على ماو تسى تونغ مستعملة فى ذلك وجهة نظر حزب العمل الألباني المعادية للماركسية- اللينينية كمنطلق لها. و يستهدف هذا الهجوم جوهريّا الماركسية- اللينينية التى تقف وراء إسم ماو تسى تونغ و بوجه خاص تطبيقها العملي على المجتمعات شبه الإقطاعية شبه المستعمرة، أي الثورة الزراعية و حرب الشعب. إنّهم مغتبطون لأنّهم " تخلّصوا" من حمل حرب الشعب بالتعويل على سمعة حزب مثل حزب العمل الألباني. فاركين أيديهم ، يتوقّعون القدرة على الحفاظ على قناع " الماركسية- اللينينية " مع مواصلة الهجوم الوحشي على الماركسية- اللينينية فى آن معا. لكنهم لسوء الحظّ مخطئون لأنّ الفراخ التى يعدّونها لن تكون أبدا بحوزتهم. فوجوه إرتدادهم و طبيعتهم الإستسلامية قد كشفا بعدُ و سيكشفان حتى بشمولية أكبر فى المختبر الحقيقي للممارسة الإجتماعية. و سيردّ دفاع حزبنا الحازم عن الماركسية- اللينينية على هذه الهجمات التى ستصفّى فى أتون نيران حرب الشعب.

أيّها العمال و الفلاحون ، شعبنا !

أيّها الوطنيون ، أيّها الثوريون !

ماو تسى تونغ قائد شيوعي قدّم مساهمات هامة أثرت الماركسية- اللينينية. و التعاطى مع أعماله بطريقة غير مسؤولة لن يفعل سوى توفير ذخيرة للثورة المضادة. و موقف حزبنا هو أنّه يمكن أن يكون ماو تسى تونغ قد إقترف بعض الأخطاء لكن يجب توضيحها ببحث دقيق يسترشد بالماركسية- اللينينية. و ينبغى أن يكون مثل هذا البحث جزءا من تقييم شامل لنصف قرن من التاريخ المديد للحركة الشيوعية العالمية. و فى تقييم ماو تسى تونغ، إلصاق أخطاء غير موجودة به و تعدادها الخطأ تلو الخطإ و التوصّل إلى إستنتاج أنّه ليس ماركسيّا- لينينيّا ، طريقة أبعد ما تكون عن علم الماركسية- اللينينية. أعمال ماو تسى تونغ ماركسية- لينينية. و إتخاذ موقف عكس هذا لا يرفع راية الماركسية- اللينينية، ما سيعنيه هو التخلّى عن الدفاع عن هدف الطبقة العاملة فى الثورة و التحرّر الإجتماعي و بوجه خاص سيعنى التنكّر لدورالفلاحين، و الثورة الزراعية و الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية التى ينبغى تركيزها عبر حرب الشعب بقيادة البروليتاريا فى البلدان شبه الإقطاعية شبه المستعمرة . لن يعني سوى الإنحطاط إلى النظرة التحريفية التروتسكية.

الإخوة ، و الأخوات !

لنرفع راية ماو تسى تونغ و مساهماته فى إعلاء راية نضال شعبنا من أجل الإستقلال و الديمقراطية الشعبية.

لننأى بأنفسنا عن خداع التحريفيين و الإنتهازيين الذين يحاولون أن يتنكّروا لمساهمات ماو تسى تونغ فى إثراء الماركسية- اللينينية.

لندع زعماء طوائف البرجوازية الصغيرة فى مستنقع إستسلامها ، و لنقفز إلى الأمام نحو الثورة الديمقراطية الشعبية.

لنلتفّ بقوّة حول الراية الحمراء المرفوعة من قبل حزبنا ، الحزب الشيوعي التركي /الماركسي- اللينيني السائر على الطريق الوضّاء للماركسية- اللينينية. لنتنظّم ! و فى ظلّ قيادة حزبنا ، لنمضى قدما و بتصميم على طريق حرب الشعب !

عاشت الماركسية- اللينينية !

دون الدفاع عن ماو تسى تونغ ، لا يمكن الدفاع عن الماركسية- اللينينية !

إنّ النضال العظيم للبروليتاريا و الشعب الصينيين يضيء الطريق لثورتنا الديمقراطية الشعبية !

لا شكّ فى أنّ البروليتاريا الصينية ستحطّم التحريفيين المعاصرين أصحاب " نظرية العوالم الثلاثة " الذين إستولوا على سلطة الدولة !

الموت للإمبريالية و الإمبريالية الإشتراكية و الرجعية بأسرها !

سيكون النصر حليف الماركسية- اللينينية، سيكون النصر حليف البروليتاريا العالمية.

سيكون النصر حليف شعوب العالم المضطهَدَة !

اللجنة المركزية للحزب الشيوعي التركي/ الماركسي اللينيني -------------- 9 سبتمبر 1979.

-2-

==

دفاعا عن فكر ماو تسى تونغ

سانموغاتاسان ، الأمين العام للحزب الشيوعي بسيلان

صار من الضروري للماركسيين - اللينينيين أن يعيدوا تقييم فكر ماو تسى تونغ لأنّه فى المدّة الأخيرة أخذ يتعرّض إلى هجوم من كلّ من اليمين و اليسار. و ليس من الصعب فهم سبب مهاجمة اليمين لماو . فللقيادة التحريفية الصينية الحالية ، و على رأسها دنك سياو بينغ ، و للإمبرياليين من كلّ رهط الدوافع كلّها فى العالم لمهاجمة ماو لأنّهم يكرهون كلّ ما وقف هو من أجله. و فى الوقت الراهن ، ينغمس دنك سياو بينغ فى سيرورة نزع الماوية من الصين، و الإرتداد على جميع سياسات ماو ، و الإرتداد على الأحكام الصحيحة للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. لكن الأصعب على الفهم هو سبب إختيار اليسار مجسّدا فى حزب العمل الألباني و بعض الأحزاب الأخرى المسمّاة ماركسية - لينينية ، بالضبط هذه اللحظة التاريخية، ليقدّموا الدعم لدنك بالخروج بتنديد شامل و نبذ كامل لفكر ماو تسى تونغ.

إنّ نشاطات دنك سياو بينغ الراهنة المعادية لماو تسى تونغ لا يمكن مقارنتها إلاّ بتنديد خروتشاف بستالين سنة 1956. و لا حاجة إلى كبير ذكاء لإدراك هذا التشبيه. كان ستالين ماركسيّا – لينينيّا كبيرا ، ساهم مع لينين فى تأسيس الدولة السوفياتية ؛و بعد وفاة لينين ، قاد بناء الإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي ثم الدفاع عنها بنجاح ضد الهجوم الوحشي الهتلري. و إرتدّ خروتشاف عن كلّ هذا و أعاد تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي ،و تعاون مع الإمبريالية الأمريكية و شتّت صفوف الحركة الشيوعية العالمية و الوحدة التى شيدها ستالين.

و ماو تسى تونغ كذلك كان ماركسيا- لينينيّا عظيما حرّر ربع سكّان العالم من الإمبريالية و الإقطاعية ، ثمّ بعد ذلك ، بنى الإشتراكية فى الصين و بواسطة الثورة الثقافية بيّن كيف يخاض الصراع الطبقي فى ظلّ ظروف دكتاتورية البروليتاريا و منع الصين من إتباع طريق التحريفية فى الإتحاد السوفياتي.

و إرتدّ دنك سياو بينغ على هذه السيرورة برمّتها وهو منغمس الآن فى إعادة تركيز الرأسمالية. و إنّه لإستهزاء بذكائنا أن يقترح ، كما فعل الرفاق الألبانيون، أن يقارن ماو بخروتشاف و ليس بستالين و أن دنك هو بريجناف الصين.

و فى الحال يثار سؤال : لماذا ظلّ الرفاق الألبانيون صامتين طوال كلّ هذا الوقت؟ بل لماذا إعتبروا ماو تسى تونغ ماركسيّا- لينينيّا كبيرا حتى مؤخّرا فى 1977 أثناء المؤتمر السابع لحزب العمل الألباني؟ لا يقدّمون أي سبب مقنع. و السبب الوحيد الذى يخرجون به علينا هو أنّ الحزب الصيني كان كتابا مغلقا بالنسبة لهم و أنّهم لم يكونوا على علم بما كان يحدث هناك فعلا. ولئن كان الأمر كذلك حقّا ، رغم أنّ الحزبين كانا عضوين فى الكومنفورم فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، من فتح لهم الآن هذا الكتاب المغلق؟ بالتأكيد ليس دنك سياو بينغ؟

فى المدّة الأخيرة ن قيل لبعثة حزبنا التى زارت مصانع الفولاذ و المعادن فى ألباسان بألبانيا ،و التى بنيت بمساعدة صينية، إنّ التخريب الإقتصادي الصيني قد بدأ حتى خلال حياة ماو أي قبل سبتمبر 1976. عندئذ لماذا أشار انور خوجا فى تقريره للمؤتمر السابع ، إلى ماو تسى تونغ ليس كماركسي-لينيني عظيم فحسب بل أيضا كصديق كبير للشعب الألباني؟ بالتأكيد ،كان أنور خوجا على علم بالتخريب ! و ما كان فى حاجة إلى المغالطة. لكن هل كان سيمدح ماو إن كانت التهمة ثابتة؟

حتى قبل التناول المفصّل للمسائل التى سنحلّل لاحقا، دعونا نجيب على سؤال مركزي. ما هو فكر ماو تسى تونغ؟ فكر ماو تسى تونغ هو الماركسية- اللينينية مطبّقة فى الممارسة العملية الخاصة و الملموسة فى الصين و فى عصرنا. و مثلما صاغ ذلك الرفاق الصينيون ذاتهم " تعتبر الماركسية- اللينينية أنّ المسألة الجوهرية للثورة هي السلطة السياسية و أنّ إفتكاك السلطة بواسطة القوّة المسلّحة هو المهمّة المركزية للثورة و شكلها الأسمى. هذه هي الحقيقة العالمية للماركسية-اللينينية. و كلّ من يتنكّر لهذا أو يتبنّاه فى الكلام لكن ينكره فى الأفعال ليس ماركسيّا- لينينيّا حقيقيّا. غير أنّ الظروف الخاّصة تختلف فى البلدان المختلفة. و ما هي الطريقة التى سيجرى بها إنجاز هذه المهمّة فى الصين ؟ على أساس الممارسة العظيمة ،عقب ثورة أكتوبر ، فى خطابه فى المؤتمر الثاني لعامة روسيا للمنظّمات الشيوعية لشعوب الشرق فى نوفمبر 1919 ، قال لينين لشيوعيى شعوب الشرق إنّه عليهم النظر لخصوصيات مناطقهم الخاصّة و إنّه بالتعويل على النظرية و الممارسة العامتين للشيوعية ، ينبغى أن يأقلموا أنفسهم مع الظروف الخاصّة التى لا توجد فى البلدان الأوروبية. و شدّد لينين على أنّ هذه " مهمّة لم يواجهها الشيوعيون فى أي مكان من العالم" و بديهيّا أنّ إفتكاك السلطة السياسية و إنتصار الثورة لن يحصلا إذا لم يتمّ صهر الحقيقة العامّة للماركسية- اللينينية و الممارسة الثورية لبلد معيّن".

و قد نهض الرفيق ماو تسى تونغ بصهر حقيقة الماركسية- اللينينية بالممارسة الثورية الملموسة فى الصين . و الإستراتيجيا و التكتيك اللذان إستعملهما لبلوغ هذا الهدف صارا الآن معروفين بفكر ماو تسى تونغ. و للأسف فإنّ بعض " الماركسيين- اللينينيين" الأوروبيين لا يرون مثلما رأي لينين ، أنّ خصوصيّات بلد مثل الصين وريث حضارة عريقة جدّا وفيه كان يعيش ربع سكّان العالم و كان مضطهَدا من كلّ من الإقطاعية و الإمبريالية الأجنبية.يرون فقط الدوغما و يتهمون ماو تسى تونغ زورا بأنّه قد إنحرف عنه. إنّهم لا يتمعنون فى المسألة و لا يدرسون خصوصيّات الوضع الثوري الملموس.

ما يبدو أنّه إسترعى إنتباه الرفاق الألبانيين لأخطاء ماو تسى تونغ هو الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التى يصفها أنور خوجا بأنّها ليست ثورة و لا هي كبرى و لا ثقافية و بصورة خاصة ليست بروليتارية بتاتا.إنّه يعتبرها إنقلاب قصر على نطاق الصين كافة لتصفية حفنة من الرجعيين الذين إستولوا على السلطة.

هذا وصف سخيف و طفولي لما هو ربّما أعظم الأحداث الثورية فى عصرنا. إعتبار ثورة هزّت المجتمع الصيني بأسره هزّا و شارك فيها النشاط النضالي لملايين و ملايين الصينيين إنقلاب قصر يتجاوز فهم المرء.

لنحاول فهم مغزى الثورة الثقافية.

فى 1965 ، غداة الثورة الثقافية ، كانت الصين تتحفّز للسير على طريق إعادة تركيز الرأسمالية، طريق قد سلكه بعدُ الإتحاد السوفياتي.و كان ليوتشاوتشى الذى نعت بحقّ بخروتشاف الصين ، على رأس الدولة. و كان دنك سياو بينغ السكرتير العام للحزب . و فى واقع الأمر حوصر ماو فصار أقلّيا فى اللجنة المركزية . ووجد ظروف العمل فى بيكين لا تطاق و كان عليه التوجه لشنغاي ليطلق أوّل رصاصة مضادة.

و لئن تعيّن على ماو أن ينادى الشعب من خارج قيادة الحزب ليوجه سهام النقد لقيادات الحزب و بالتالى أن يقدّم قيادته الشخصية للثورة الثقافية ، فمردّ ذلك أنّ قيادة الحزب كانت تعجّ بالتحريفيين و أتباع الطريق الرأسمالي. لم يكن لدى ماو خيار آخر إن أراد أن يصون حزبه و يمنع تغيير لون الصين.

و الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى مثال لكيفية خوض الصراع الطبقي فى ظلّ ظروف دكتاتورية البروليتاريا فى الصين، لمنع تغيير لون الصين و سلوك طريق إعادة تركيز الرأسمالية ، و للحفاظ على الصين كقاعدة للثورة العالمية.

و يطرح سؤال: لماذا سُمّيت ثورة ثقافية؟ سمّيت كذلك لأنّه على الجبهة الثقافية أطلق التحريفيون و الثوريون طلقاتهم الأولى. مثل دور نادي بيتوفى فى الثورة المضادة المجرية فى 1956 ، لعبت النشاطات الثقافية دورا كبيرا فى محاولة التحريفيين فى الصين إعادة عقارب الساعة إلى الوراء.

إضافة إلى ذلك ، كان محور الثورة مسألة كسب عقول الناس و التأثير فيها ، و إيجاد نوع جديد من الإنسان الإشتراكي ، متخلّص من الأنانية و ولع السلطة الفردية و العظمة. لهذا سُمّيت ثقافية . و قد كانت بالتأكيد كبيرة لأنّها غير مسبوقة تاريخيّا. نكرّر أنّها كانت أحد أعظم أحداث زمننا. لم تكن بالتأكيد خدعة مثلما يدّعى أنور خوجا. و لم تقضى على الحزب الشيوعي الصيني . فقط حطّمت مراكز قياداته البرجوازية ، ذلك الجزء من القيادة الذى أضحى تحريفيّا. و بدلا عنه، ضخّت دما جديدا. و بطبيعة الحال ، وجدت فوضى . وكلّ ثورة تنتج شيئا من الفوضى. هذا حتمي . و مثلما أشار ماو ، ليست الثورة مأدبة عشاء . عادة ما يسبق التحطيم البناء. و قول إنّ الثورة قادتها عناصر غير ماركسية ببساطة قول عبثيّ. لقد قادها أحد أعظم الماركسيين- اللينينيين، ماو تسى تونغ ذاته.

وكون ماو تسى تونغ و الثوريين لم يبلغوا جميع الأهداف المرسومة بواسطة الثورة الثقافية صحيح. و مردّ ذلك أنّه ، فى منتصف طريق الثورة، مدّعين أنّ الثورة قد مضت بعيدا أكثر من اللازم يسارا، نجح بعض القادة مثل شو آن لاي فى إعادة الإعتبار لأناس أطاحت بهم الثورة الثقافية. وتأتى عدم القدرة على الحيلولة دون هذا إنعكاسا لضعف الطبقات الإجتماعية التى كان يمثّلها ماو و الثوريّون.

و يتساءل آخرون: لماذا دعا ماو الشباب لأن يتمرّد أثناء الثورة الثقافية؟ هذا السؤال أثاره حزب العمل الألباني. و يراود المرء أن يردّ: ألم يدع الحزب الألباني الشباب لبناء السكك الحديدية و تسوية جوانب الجبال. الشباب ليس طبقة فى حدّ ذاتها. إنّه ينحدر من طبقات مختلفة. لكن له ميزة مشتركة ، لا سيما فى ظلّ الإشتراكية ،ميزة أن يحمل مُثلا عليا و أن يضحّي بالنفس و أن يرغب فى تغيير المجتمع. و بالتالى ، يمكنه أن ينهض بدور طليعي – ما يعنى موقع الريادة فى المضيّ فى الصفوف الأمامية.لهذا دعا ماو الشباب للتمرّد.

لكن هذا لا يفيد أنّ شباب الطبقة العاملة لم يكن فى طليعة الثورة الثقافية. لقد شكّل شباب الطبقة العاملة والفلاحين معظم الحرس الأحمر رغم وجود قطاعات صغيرة من العمّال عارضت الثورة .

و ينبغى أن لا ننسى أنّ القوّة الريادية فى عاصفة جانفي فى شنغاي - أحد أبرز أحداث الثورة الثقافية- كانت منظمات العمال الثوريين فى شنغاي ، بقيادة شانغ تشن – تشياوو ياو وان يوان ووانغ هنغ وان. بيد أنّ هذا قطعا لا يفيد التنكّر للدور القيادي للبروليتاريا فى الثورة .

و فيما يتعلّق بماو فإنّه بالذات من خلال كتاباته النظرية و من خلال تدخلاته العملية ،قد أكّد على الدور القيادي للبروليتاريا و أشار إلى الفلاحين كقوّة أساسية. لم ينحرف أبدا. ففى مقاله الأوّل فى المجلّد الأوّل من "مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " ، مجيبا على سؤال :من هم أعداؤنا؟ و من هم أصدقاؤنا؟ أعلن فى " تحليل لطبقات المجتمع الصيني" أنّ " القوّة القائدة لثورتنا هي البروليتاريا الصناعية" [م1،ص24]. و فى مقاله حول حركة 4 مايو ، أعرب عن أنّه :" لا يمكن إنجاز الثورة الديمقراطية ضد الإمبريالية و الإقطاعية بدون هذه القوى الثورية الأساسية ،و بدون قيادة الطبقة العاملة. " [م2،ص 328-329] .و قد تعمّق فى تحليل هذه المسألة فى مقاله " الثورة الصينية و الحزب الشيوعي الصيني" و فيه أشار إلى كون البروليتاريا " أصبحت القوة المحرّكة الأساسية الأولى للثورة الصينية. و بدون قيادة البروليتاريا لن تتمكّن الثورة الصينية بالتأكيد من الظفر".[م 2، ص 449] و كرّر هذا الموقف عديد المرّات فى كتاباته.و عمليّا أيضا ، شدّد على تنظيم العمّال و من ذلك عمّال مناجم الفحم الحجري بأنيوان.

إلاّ أنّ أنور خوجا كتب أنّ ماو قال إنّ كافة الأحزاب و القوى السياسية يجب أن تخضع للفلاحين و نظرتهم. و لدعم إدعائه يستشهد بالجملتين التاليتين من مقال ماو " تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى خونان": و لن تنقضي إلّا فترة قصيرة حتى يهبّ فى هذه النهضة مئات ملايين من الفلاحين فى مقاطعات الصين الوسطى و الجنوبية و الشمالية بسرعة خارقة و قوة جارفة كالعاصفة العاتية، لا تستطيع أية قوة أخرى ،مهما تكن عظيمة ، أن تقف فى وجهها. " و   " أمّا الأحزاب الثورية و الرفاق الثوريون فإنهم سيجدون أنفسهم جميعا أمام إختبار الفلاحين الذين سيقرّرون قبولهم أم رفضهم "[م1، ص 30].

ليس هذا من خوجا سوى تزييف بغيض. لقد كتب ماو هذا المقال ليس بقصد دفع الدور الهيمني للفلاحين فى الثورة الصينية ،و إنّما بقصد دفع قيادة الحزب الشيوعي الصيني حينها إلى الإنتباه لحركة الفلاحين الناهضة بعدُ فى الريف. و تجدر الإشارة إلى أنّ قيادة الحزب الشيوعي الصيني آنذاك لم تكن مهتمّة إلاّ بالتحالف مع البرجوازية الوطنية و إستهانت بمهمّة إنشاء تحالف بين العمّال و الفلاحين. و عن صواب أراد ماو تغيير هذه السياسة الخاطئة غير أنّه لم يحاجج أبدا من أجل الدور الهيمني للفلاحين فى الثورة. على الدوام نوصف الفلاحين الذين كانوا يشكّلون فى الصين 80 إلى 90 بالمائة من السكّان ، كقوّة أساسية فى الثورة و صرّح أنّه " دون الفلاحين الفقراء لم توجد ثورة ".

و يواصل أنور خوجا ليذكر أطروحة " القرى الثورية" و أنّ " الريف يجب أن يحاصر المدينة" كدليل على أنّ ماو قد رفع الفلاحين إلى موقع قيادي. لكن ما الذى قصده ماو ؟ حسب فهمنا ،كان ماو يشير إلى أنّ فى البلدان شبه المستعمرة حينها ، قوى العدوّ أشدّ بأسا من القوى الأولى الأدنى الشعبية و أنّ قوى العدوّ مرتكزة فى المدن مثل مراكز قيادة الحكومة و الجيش و الشرطة و الإذاعة و السكك الحديدة و البريد إلخ موجودة جميعها فى المدن.

إقترح ماو فى هكذا وضع ، كانت لقوى العدوّ ، فى البداية، الأفضلية نسبة لقوى الشعب الضعيفة فى البداية. و فى مثل هذا الوضع ، أنّه سيكون من الجنون أن ننطح برؤوسنا الجدار الصخري لقوّة العدوّ الأعتى. و بدلا من ذلك ، إقترح أن يتمّ الإبتعاد قدر الإمكان عن مراكز قوّة العدوّ . و فى بلدان مثل الصين أين كانت غالبية الناس يعيشون خارج المدن ،كان هذا سيعنى الذهاب إلى صفوف الشعب و تنظيمه و بناء قواعد ثورية حيث يمكن بناء جيش شعبي و تدريبه. و هذا سيحوّل شيئا غير مناسب إلى شيء مناسب و سيضطرّ العدوّ إلى إرسال قواته بحثا عن القوى الشعبية. و فى هكذا حال ، ينبغى جلب العدوّ عميقا صلب الشعب و تحطيمه

بإستعمال تكتيك ضرب عشرة لواحد. و سيتعلّم الجيش الشعبي و ينمو فى القتال الفعلي مع العدوّ إلى أن يتمكّ التوصّل إلى تغيير نوعي عندما ستصبح القوى الشعبية أقوى من قوى العدوّ . و هذه النظرية معروفة بنظرية حرب الأنصار الطويلة الأمد. و لمّا تغدو القوى الشعبية أقوى من قوى العدوّ سيكون حينها ممكنا محاصرة المدن و فى النهاية تحريرها. كانت هذه إستراتيجيا و تكتيك عسكريين لا معين صاغهما ما وفى خضمّ قيادة الثورة الصينية. و قطعا لا ينكر الدور القيادي للبروليتاريا أو يولى هكذا دور لفلاحين . فالدور القيادي للبروليتاريا يتحقّق عبر الإيديولوجيا البروليتارية للماركسية- اللينينية كما يتمّ التعبير عنها عبر الحزب الشيوعي. و لا يعنى أنّه يجب على البروليتاريا أن تكون أكثر عديّا أو أن كافة النشاطات يجب أن تتبع أو تتمّ فى المدن. و الأمر هكذا لأنّه فى بلد متخلّف و كبير مثل الصين ، البروليتاريا ضعيفة عدديّا ، بينما يُوفّر الريف الممتدّ مجالا واسعا لمناورات القوى الشعبية. و كذلك لا تعنى هذه التكتيكات عدم النشاط أو تقليل النشاط فى المدن . فى ظروف اللاقانونية التى سادت ما قبل الثورة ، قال ماو إنّ مناطق العدوّ التى يتحكّم بها الكيومنتانغ يجب أن تكون سياسة الشيوعيين فيها الإختيار الجيد للكوادر التى تعمل سرّيا لزمن طويل من أجل مراكمة القوّة و ترصّد الفرصة .

و فضلا عن ذلك ، عندما نتناول بالبحث ممارسة الثورة الصينية ، نجد أنّ العدد الأكبر من القوى التى شكّلت الجيش الأحمر للعمّال و الفلاحين الذى قاده ماو إلى جبال تشين كانغ فى 1927 كانت متكوّنة من عمّال مناجم الفحم الحجري من آيوان الذين عمل ضمنهم ما وفى وقت سابق.

و مع ذلك ، لم يقدّم ماو هذا التكتيك كحلّ عالمي صالح لكلّ البلدان. ففى 25 سبتمبر 1956 ، فى حديث مع ممثّلي بعض الأحزاب الشيوعية لأمريكا اللاتينية ، قال إنّ التجربة الصينية بهذا المضمار يمكن أن لا تكون صالحة للتطبيق فى العديد من بلدانهم و لو أنّها يمكن أن تستخدم كمرجع. و نصحهم بألاّ ينقلوا التجربة الصينية نقلا ميكانيكيّا.

و ينقد أنور خوجا الرفيق ماو تسى تونغ أيضا مدّعيا أنذ مفاهيمه غير ماركسية بصدد مرحلتي الثورة الديمقراطية و الثورة الإشتراكية. ليس هناك أعمى من الذى يملك عينين و لا ينظر بهما. فقد شرح الرفيق ماوتسى تونغ نظرته فى العديد من كتاباته. و أهمّ هذه الكتابات مقاله " حول الديمقراطية الجديدة" . وفيه أكّد أنّ الثورة الصينية مواصلة لثورة أكتوبر " و جزء من الثورة البروليتارية الإشتراكية العالمية " وفى " الثورة الصينية و الحزب الشيوعي الصيني " كتب "إنّ الحركة الثورية الصينية التى يقودها الحزب الشيوعي الصيني هي فى مجموعها حركة ثورية كاملة تشتمل على مرحلتين: الثورة الديمقراطية و الثورة الإشتراكية، و هما عمليّتان ثوريّتان مختلفتان من حيث طبيعتهما، و لا يمكن إنجاز العملية الثانية إلاّ بعد إتمام الأولى .فالثورة الديمقراطية هي التمهيد اللازم للثورة الإشتراكية، و الثورة الإشتراكية هي النتيجة الحتمية للثورة الديمقراطية". ["مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ"، صفحة 26].

و هكذا من الواضح تماما أنّه لم تكن لدى ماو أي مفاهيم خاطئة عن وجود سور صيني بين الثورتين الديمقراطية و الإشتراكية . لقد شدّد على هذا عندما قال :" إنّه لصحيح و متفق مع النظرية الماركسية حول تطوّر الثورة أن نقول عن المرحلتين الثوريتين: إنّ أولاهما توفر الشروط اللازمة للثانية ،و إنه لا بدّ أن تكونا متتابعتين دون السماح بأن تتخللهما مرحلة دكتاتورية البرجوازية. أمّا الإدعاء بأن الثورة الديمقراطية ليست لها مهمّتها المحددة و لا مرحلتها الخاصة ،و أنّه من الممكن ،فى الوقت الذى تتحقّق فيه مهمّة الثورة الديمقراطية ، تحقيق مهمّة أخرى لا يمكن القيام بها إلاّ فى فترة أخرى مثل مهمّة الثورة الإشتراكية ، فذلك يترجم فكرة " تحقيق الثورتين بضربة واحدة" ،وهي لفكرة طوباوية يرفضها الثوريون الحقيقيون."[م2، ص 502].

و إذن صدح الرفيق ماو بوضوح بأنّ الثورة الديمقراطية هي الإعداد الضروري للثورة الإشتراكية و الثورة الإشتراكية هي التتمة الحتمية للثورة الديمقراطية . و هذا يعنى بالطبع أنّه خلال المرحلتين المتباينتين من الثورة سيكون للطبقة العاملة حلفاء مختلفون. و بوجه خاص، قال الرفيق ماو إنّه أثناء المرحلة الديمقراطية من الثورة ، سيكون من الممكن الوحدة مع البرجوازية الوطنية ذات الطابع المزدوج و كذلك الصراع معها. فمن جهة لها تناقضات مع الإمبريالية الأجنبية و مع الرأسمالية البيروقراطية المحلّية. و من جهة ثانية ، لها تناقضات مع الطبقة العاملة و الفلاحين. و بالنتيجة لها طابع مزدوج فى الثورة الديمقراطية الشعبية الصينية.و قد أشار ماو إلى أنّه :" و ينتج عن هذا الطابع المزدوج للبرجوازية الوطنية أنّه يمكنها أن تسهم ، فى فترات معينة و إلى حدّ معيّن ، فى الثورة المناوئة للإمبريالية و حكومات البيروقراطيين و أمراء الحرب،و أن تصبح قوّة ثورية. و لكن يكمن هناك خطر فى أنّها قد تجرى ، فى فترات أخرى، وراء البرجوازية الكبيرة الكومبرادورية و تلعب دور المساعد فى مناهضة الثورة."[م 2، ص 443].

و هذه النظرة بشأن التحالف بين الطبقة العاملة و البرجوازية الوطنية قد سبق و أكّد عليه كلّ من لينين و ستالين. فى " مسودّة أوّلية لموضوعات فى المسألة القومية و مسألة المستعمرات "، قال لينين: "ينبغ للأممية الشيوعية أن تقدم على تحالف مؤقت مع الديمقراطية البرجوازية فى المستعمرات و البلدان المتأخّرة ن على أن لا تمتزج بها و على أن تصون بصورة قاطعة إستقلال الحركة البروليتارية حتى بشكلها البدائي." [لينين ؛ "حركة شعوب الشرق الوطنية التحرّرية" ، مجموعة من المقالات و الخطب، ص 288 ، دار التقدّم ،موسكو].

و فى "الثورة الصينية و مهام الأممية الشيوعية " ، إستخلص ستالين انه يمكن التحالف مع البرجوازية الوطنية.

و كان ماو واعيا للحاجة إلى اليقظة و للحاجة إلى كلّ من الوحدة و الصراع مع البرجوازية الوطنية. و قال : يملك الشعب جهاز دولة قويّ و لا يخشى تمرّد البرجوازية الوطنية". و هذا نوعا ما مشابه للموقف الذى صرّح به لينين عندما قدّم السياسة الإقتصادية الجديدة حيث قال :" لا خطر فى هذا على دولة البروليتاريا طالما أنّها تبقى ممسكة بصلابة بالسلطة السياسية بين أيديها ، طالما أنّها تبقى النقل و الصناعات الكبرى بصلابة بين أيديها."

و ينفى أنور خوجا أنّ مثل هذا الوضع وُجد فى الصين عقب الثورة الديمقراطية لكن ، بمنأى عن القيام بتصريح جذري فإنّه لم يرفق هذا التصريح بأيّة وقائع تعلّله. بيد أنّه جدّ معروف أنّه حتى فى السنوات الأولى من الصين الشعبية كانت البنوك الكبرى و المؤسسات الصناعية و التجارية الكبرى مملوكة للدولة و أنّ مثل هذه المؤسسات كالبنوك ، و سكك الحديد و الخطوط الجوّية كانت تسيّرها الدولة.و إضافة إلى ذلك ، أهمّ سلاح للآلة الدولة ،جيش التحرير الشعبي، كان حصريّا تحت قيادة الحزب الشيوعي.

و لم يكن ماو كذلك غافلا عن ضرورة الصراع الطبقي حتى بعد الثورة. ففى 1957، قال :

" بالرغم من أنّ التحويل الإشتراكي فى بلادنا ، فيما يتعلّق بالملكية، قد أنجز من حيث الأساس، و أنّ الصراع الطبقي الجماهيري العنيف الشبيه بالعاصفة و الواسع النطاق فى المراحل الثورية قد إنتهى الآن من حيث الأساس، إلاّ أنّه ما تزال هناك بقايا من طبقتي ملاك الأراضي و الكمبرادوريين اللتين أطيح بهما ، و ما تزال البرجوازية موجودة ،و البرجوازية الصغيرة فى بداية إعادة تكوين نفسها. إذن فالصراع الطبقي لم ينته بعدُ" [حول المعالجة الصحيحة للتناقضات بين صفوف الشعب" 27 فبراير-شباط 1957، الصفحة 18-19 من "مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ"]

و قبل ذلك فى 1952، قال :" بعد الإطاحة بطبقة الإقطاعيين و طبقة الرأسماليين-البيروقراطيين ، صار التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازية الوطنية التناقض الرئيسي فى الصين، و بالتالى من الآن فصاعدا لا ينبغى أن نصفها بالطبقة الوسطى".

دامت مرحلة الثورة الديمقراطية فى الصين حوالي سبع سنوات. و مع 1956 ، جرى تحويل المؤسسات الصناعية والتجارية إلى مؤسسات مشتركة الملكية بين الدولة و الخواص و تمّ التحويل التعاوني للفلاحة و الصناعات التقليدية . و غدت قطاعات من البرجوازية ضمن الإداريين للمؤسسات المشتركة الملكية بين الدولة و الخواص. و كانت هذه القطاعات بصدد التحويل من مستغلّين إلى شعب كادح يعيش من عمله الخاص إلاّ أنّهم ظلّوا بعدُ يتمتّعون بربح محدّد من فوائد رأسمالهم فى الشركات المشتركة.أي ، لم يقطعوا بعدُ مع جذور الإستغلال. و بوضوح لم يقع حلّ التناقض الطبقي حلاّ كاملا و لم يكن ليحلّ لسنوات تالية أخرى. و فقط خلال الثورة الثقافية ، فرض الحرس الأحمر إيقاف دفع الفوائد للبرجوازية الوطنية. كانت هذه طريقة الصين الخاصّة فى محاصرة البرجوازية الوطنية و تحديدها و تحويلها.

و على كلّ حزب فى البلدان المختلفة أن يطبّق طرقا مختلفة فى تجاوز التناقضات التى تظهر على الدوام مع تقدّم المجتمع أكثر فأكثر على الطريق الإشتراكي. و ستتباين الطرق التى تستعملها الأحزاب من بلد إلى آخر. و درجة المقاومة التى واجهها البلاشفة فى روسيا عند الإطاحة بالطبقات الإقطاعية و الرأسمالية كانت كبيرة جدّا. و كان عليهم إتخاذ إجراءات صارمة للقضاء على هكذا مقاومة. و لهم الحقّ فى القيام بذلك. و فى الصين أيضا نوقع القضاء على المعادين للثورة . بيد أنّه فى الصين ، دعا ماو إلى إستعمال طريقتين مختلفتين فى ظلّ الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية، طريقة دكتاتورية و أخرى ديمقراطية ، لمعالجة التناقضين المختلفين فى الطابع- التناقضات بيننا و بين العدوّ ، و التناقضات صلب الشعب. و فى مقاله " حول الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية " المكتوب سنة 1949 و المنشور فى مجلّة الكومنترن ، شرح ماو أنّ : " من جهة ، ديمقراطية للشعب ، و من جهة أخرى، دكتاتورية على الرجعيين، و يكوّن هذان الوجهان بترابطهما الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية ".[م4، ص 528].

هذه الطريقة فى إستعمال الإقناع و ليس الإكراه لمعالجة التناقضات صلب الشعب يمكن أن تبدو غير ماركسية لبعض الناس . لكن مبدأ جوهري فى الماركسية هو أنّه عندما ينشط الشيوعيون فى صفوف الجماهير ، عليهم أن يستعملوا الطريقة الديمقراطية للإقناع و التربية و ألاّ يلجأوا أبدا إلى الآمرية و القوّة. كانت هذه الطريقة ناجحة بوجه خاص فى تطبيقها فى الصين كما يُثبت ذلك واقع أنّه ، خلال الحرب الكورية ، لمّا بلغ الأمريكيون ضفاف نهر يالو ، لم يجدوا و لا خائن صيني واحد. و هذا يتضارب مع الوضع فى المجرّ زمن الثورة المضادة فى 1956.

ويعتبر أنور خوجا خاطئة أيضا نظرية التناقضات مثلما عرضها ماو الذى يؤكّد أنّ قانون التناقض ، أي قانون وحدة الأضداد، هو القانون الأكثر جوهرية فى المادية الجدلية و أنّ جميع القوانين الأخرى تنبع منه. سيحتاج الردّ على كلّ هذا النقد مجالا أكبر و زمنا أطول ممّا لدينا.

لذلك سنقتصر على التأكيد على ما نعتقد أنّها المبادئ الجوهرية لقانون التناقض فى الأشياء مثلما عبّر عنها ماو. التناقض شامل ، و التناقضات تعبّر عن ذاتها بشكل خاص و من ضمن كافة التناقضات هناك دائما تناقض رئيسي و كذلك طرف رئيسي للتناقض الذى ينهض بدور قيادي فى معالجة التناقض ؛ و لكلّ مظاهر التناقض وحدة و كذلك صراع و فى ظلّ بعض الظروف يمكن أن تتبادل المواقع (الوحدة مؤقتة و نسبية بينما الصراع مطلق) ؛ و فى الأخير ،ضمن التناقضات هناك تناقضات عدائية و تناقضات غير عدائية و يجب معالجتها معالجة صحيحة دون السماح للتناقضات غير العدائية بأن تتحوّل إلى تناقضات عدائية .

و نفس الإخفاق الجوهري فى فهم نظرية التناقض فى الأشياء هو الذى يجعل أنور خوجا ينقد وجهة نظر ماو حول نظرية صراع الخطّين. ووفق خوجا ، يمكن أن يكون للحزب خطّ واحد و بالتالى من غير الماركسي أن نفكّر فى وجود الخطّين داخل الحزب. لكن ما يحيل عليه ماو هو شمولية التناقض ، أي ، أنّ التناقضات توجد فى كلّ شيء ؛ حتى فى الفكر ،و فى الأحزاب و داخل الأشخاص. من الصحيح أنّ فى وقت معيّن ، يمكن للشخص و يجب عليه أن يتحدّث بصوت واحد فقط. بيد أنّ صياغة ذلك الصوت عادة ما تكون نتيجة الصراع المرير بين وجهتي النظر المتناقضة.إنّه الصراع بين الأضداد ، حتى فى الفكر ، هو الذى يدفع الأشياء إلى التقدّم. بهذا المعنى ، وُجد على الدوام خطّان داخل الحزب و حتى الشخص. و على أساس التناقض بين الخطّين، بين الصحيح و الخاطئ ، يحصل التطوّر و التقدّم. و التنكّر لهذا تنكّر للجدلية الماركسية.

و يمكن قول الشيء ذاته ؛ هناك إخفاق فى فهم المبدأ الجدلي لوحدة الأضداد بين الطرفين المتناقضين لتناقض و أن ، فى بعض الظروف، يمكن للضدّين أن يتبادلا المواقع. فى ظلّ الرأسمالية ، الطبقة العاملة و البرجوازية طرفي ذات التناقض. و هما متضادان و هذا التضاد مطلق . لكن هناك أيضا مظهر وحدة بين الإثنتين ، أي ، لا يمكن أن توجد الواحدة دون الأخرى.و فى ظلّ ظروف معيّنة ، أي نتيجة ثورة يمكن للطبقة العاملة و البرجوازية أن يتبادلا المواقع.و هكذا بمستطاع الطبقة العاملة أن تتحوّل من طبقة مسيطَر عليها إلى طبقة حاكمة، بينما تتحوّل البرجوازية من طبقة حاكمة إلى طبقة مسيطَر عليها.

و فضلا عن ذلك، ينقد أنور خوجا الطريقة التى إستعملها ماو تسى تونغ فى التعاطي مع المعادين للثورة و القوى المتناقضة صلب الشعب.و فى حين يقرّ بأنّه ليس للبروليتاريا خيار سوى القضاء على البرجوازية فى روسيا التى كانت طبقة معادية للثورة ن فإنّ ماو أشار إلى أنّه هناك وضع مختلف نوعا ما فى الصين. و مع 1956، معظم المعادين للثورة جرى كنسهم. و من ثمّة، بينما لم يكفّ عن الدعوة للمعاملة الصارمة للمعادين للثورة و الأعداء الآخرين للشعب ، فإنّه دعا إلى طريقة مختلفة للإقناع و إعادة التشكيل الديمقراطي من خلال العمل بالنسبة للأعداء الآخرين. قال إنّه لا ينبغى قتل عدد كبير جدّا من الناس و إنّه ينبغى أو توجد حدود حتى فى عدد الناس الذين يجرى إيقافهم. و إنّه مهما كانت الأخطاء المكتشفة يجب إصلاحها. لقد إتُّبعت هذه السياسة بسبب العدد الكبير من البرجوازيين الصغار فى الصين و إستجابة لضرورة كسب كافة فئات الطبقات غير الكادحة من الشعب (غير الإقطاعيين و البرجوازية الكبيرة) إلى جانب الطبقة العاملة. و أيضا ،نظرية " لتتفتّح مائة زهرة، ولتتنافس مائة مدرسة فكرية" صيغت لأجل تشجيع الصراع بين المدارس الفكرية المتنافسة ضمن الشعب ، لكن فى ظلّ مراقبة الحزب الشيوعي . لقد دافع ماو عن أنّه سيكون من الخطإ محو الأفكار الخاطئة فى صفوف الشعب بقرارات إدارية . و عوض ذلك ، دافع عن أنّ مثل هذه الأفكار الخاطئة يجب أن يسمح لها بالتعبير عن نفسها و أنّ تواجه التنافس و الصراع. لم يكن لديه شكّ فى أنّ الأفكار الصحيحة ستنتصر لأنّ الإشتراكية كانت فى موقع أفضلي فى الصراع الإيديولوجي. أساس سلطة الدولة بحوزة الشعب الكادح بقيادة البروليتاريا. و كان الحزب قويّا و يتمتّع بسمعة كبيرة. لذلك الطريقة الوحيدة للصراع الإيديولوجي ينبغى أن تكون بذل الجهد و الإقناع و ليس مجرّد الإكراه.

و مثّلت حملة " لتتفتّح مائة زهرة " هذه صراعا إيديولوجيّا ضد " الأعشاب السامة" و من أجل تفوّق الماركسية فى المجال الثقافي. و قد إستغلّ اليمينيون الفرصة للمطالبة بالديمقراطية من النمط الغربي. ونشبت حتى أحداث منكرة، على غرار ضرب البعض. و مثلما قال ماو :" فقط حينما يسمح للأعشاب السامة بالخروج من الأرض يمكن إجتثاثها". و شنّ هجوما مضادا شرسا ضد اليمينيين البرجوازيين الذين قفزوا و فضحوا أنفسهم و إضطرّوا إلى التراجع. و جرى عقاب من نعتوا باليمينيين وهم مجموعة من الخمس مجموعات المعتبرة مجموعات سوداء فى المجتمع الصيني.

و لم يقع الإرتداد على هذا القرار إلاّ إثر عودة دنك سياو بينغ إلى السلطة. و ينسحب الأمر عينه فى علاقة بسياسة ماو للسماح لكلّ الطبقات التى شاركت فى الثورة الديمقراطية بأن تتقاسم الحكم بعد الثورة. فقد كان ذلك مظهرا خاصا جاء نتيجة لكون قطاع من البرجوازية المدينية و البرجوازية الوطنية تحالفا مع العمّال فى الثورة ضد الإمبريالية و الإقطاعية و الرأسمالية البيروقراطية. هذا واقع تاريخي. غير أنّ هذه السياسة كرّست على أساس قيادة الحزب الشيوعي و قبول الأحزاب الأخرى للإنتقال إلى الإشتراكية. إلاّ أنّ هذا " التعايش و المراقبة المتبادلة الطويلة الأمد " بين الحزب الشيوعي و الأحزاب الديمقراطية لا يروق لأنور خوجا.

إنّه ينسى أنّه حتى بعد ثورة أكتوبر فى روسيا ،وجد حزبان فى الحكومة- البلاشفة و الثوريون الإشتراكيون اليساريون. و لم يُكسر التحالف مع هؤلاء إلاّ بعدما تمرّدوا ضد البلاشفة . و حتى فى ألبانيا ، إلى اليوم ثمة الجبهة الديمقراطية.

و من المهمّ بهذا المضمار أن نلاحظ انّ فكرة إعادة تشكيل و إعادة تربية الطبقات الأخرى تعود إلى لينين : فقد كتب فى " مرض اليسارية" الطفولي فى الشيوعية" :

" لقد بقيت الطبقات وهي ستبقى فى كل مكان طوال سنوات بعد ظفر البروليتاريا بالسلطة...إنّ القضاء على الطبقات لا يعنى فقط طرد الملاكين العقاريين و الرأسماليين ، فهذا ما قمنا به نحن بسهولة نسبيّا ، إنّه يعنى كذلك القضاء على منتجي البضائع الصغار،و هؤلاء لا يمكن طردهم ،و لا يمكن قمعهم ، إنّما يلزم أن نتعايش معهم ، فمن الممكن (و الواجب) إصلاحهم و تربيتهم على نمط جديد،و ذلك فقط بواسطة عمل تنظيمي مديد يحقّق ببطئ و إحتراس.".[لينين، "المختارات فى 10 مجلدات ، المجلّد 9، صفحة460، دار التقدّم ،موسكو]

و ليست سياسة ماو هذه تعبيرا عن الليبرالية بتاتا. و يلمح أنور خوجا إلى نقد ستالين و الكومنترن لقيادة الحزب الشيوعي الصيني و ماو تسى تونغ. و على ما يبدو يُوحي هذا النقد بأنّ ماو فشل فى تطبيق مبادئ الماركسية- اللينينية بشكل صريح بشأن دور البروليتاريا القيادي فى الثورة و بشأن الأممية البروليتارية و إستراتيجيا و تكتيك النضال الثوري إلخ. و قد سبق و أن تطرّقنا لبعض هذه النقاط .

صحيح أنّه وُجدت خلافات بين الكومنترن و الحزب الشيوعي الصيني. لكن يجب أن نقرّ بأنّ فى غالبية القضايا ، تأكّد أنّ ماو كان على حقّ و أنذ ستالين ،و هذا يضاف إلى مصداقيته، كان من الأوائل فى الإعتراف بذلك. و بالطبع لم توجد خلافات بين الجانبين حول طبيعة الثورة التى إعتبرها الإثنان ديمقراطية برجوازية ، و حول الدور المفتاح للفلاحين و الورة الزراعية ،و حول أنّ الكفاح المسلّح هو الحلّ الوحيد للثورة فى الصين . و من جهته إعتبر ماو الإتحاد السوفياتي وطنا للبروليتاريا العالمية و أدرك جيّدا الأهمّية التاريخية لثورة أكتوبر و إنعكاساتها العالمية.و مع ذلك وُجدت خلافات بصدد إستراتيجيا و تكتيك الثورة الصينية.

بين 1927 و 1935 ، من خلال على التوالي خطّي لي لي سان ووانغ مينغ ، كان تأثير الكومنترن واضحا فى مسائل مثل الإفتكاك المتزامن للسلطة فى المدن، و ضرورة اللجوء إلى حرب المواقع عوض حرب الأنصار، ورفض بناء القواعد الثورية فى الريف. و بالفعل ، كان لا بدّ من إطلاق المسيرة الكبرى كوسيلة لتفادي حملة التطويق الخامسة لتشان كاي تشاك. و اليوم ، أخذ الرفاق الألبانيون (فى نقاش مع بعثة لحزبنا زارت ألبانيا فى أفريل 1979) يستهجنون المسيرة الكبرى و يؤكّدون أنّه كان من الأفضل لو أنّ الجيش الأحمر أقام معركة حيث كان و تجنّب مثل تلك الخسائر الفادحة و بصعوبة يحتاج المرء إلى إضافة أنّه لو تمّ تبنّى هكذا سياسة ما كانت لتوجد ثورة و لا حزب و لا ماو.

و كذلك يستهين الألبانيون بندوة تسونيى التى إنتخبت ماو على رأس الحزب فى 1935 على أنّها ندوة غير ممثّلة . و يتساءل المرء هل أنّهم كانوا يتوقعون أن يعقد مؤتمر تام الشروط و قانونيّا و ممثّلا فى أتون أحد أكبر الحروب الأهلية ضراوة فى العالم؟!

و فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، كذلك ، كانت لستالين خلافات مع الشيوعيين الصينيين. فقد شكّ فى قدرتهم على كسب الحرب الأهلية الشاملة ضد تشان كاي تشاك (الذى كان مسنودا من قبل الإمبريالية الأمريكية ؛ و حافظ على علاقات مع تشان كاي تشاك حتى خلال الحرب الأهلية) لكن ستالين كان لطيفا بما فيه الكفاية ليقول إنّه كان مسرورا لثبوت خطئه.

و بالرغم من هذه الأخطاء ، لا شكّ فى أنّ ماو إعتبر ستالين ماركسيا- لينينيّا عظيما و أنّه كان جوهريّا صحيحا. و فضلا عن ذلك، لم يوبّخ ماو الكومنترن و ممثّليه فى الصين بسبب أخطاء الحزب الشيوعي الصيني . بل وبّخ أولئك الشيوعيين الصينيين الذين حاولوا أن يتبعوا عن عمى الطريق السوفياتي دون إعارة الإنتباه اللازم لخصوصيّات الوضع الوطني فى الصين .

و فى حركة غاية فى الغلظة ، يقترح أنور خوجا أنّ موقف الشيوعيين الصينيين ضد التحريفية السوفياتية لم تكن تمليه مواقف ماركسية - لينينية صحيحة و مبدئية. و ليس هذا غليظا فقط بل هو كذلك خاطئ تماما. فماو تسى تونغ لم يكن قد أدرك تحريفية خروتشاف منذ 1956 فحسب ،و لكن أيضا فى ظلّ قيادته ، أطلق الحزب الشيوعي الصيني الجدال الكبير مع نشر " عاشت اللينينية " 1960. و هذا الجدال الذى كانت قوامه سبع رسائل بعثت إلى الحزب الشيوعي السوفياتي و لبعض الأحزاب التحريفية الأخرى غرب أوروبا، كان لامعا بوضوح فكره و عمق حججه.وقد مثّل مدرسة لجيل كامل من الماركسيين – اللينينيين عبر العالم بأسره تربّى على المبادئ و أساليب العمل الثوريين. و التنكّر لهذا اليوم تنكّر للوقائع التاريخية.

و يريدنا الألبانيون فى الوقت الحاضر أن نعتقد بأنّ ماو كان على الدوام مواليا للأمريكان ، أو أنّه بإستمرار كان يغيّر مواقفه. فقد قالوا لبعثتنا هذه السنة إنّه خلال الحرب العالمية الثانية ، وُجد فى أمريكا لوبي تشان كاي تشاك و لوبي ماو. صحيح أنّه وجدت خلافات فى الرأي ضمن الطبقة الحاكمة الأمريكية بشأن من يجب دعمه فى القتال ضد الفاشية اليابانية. تشان أم ماو؟ وُجد أمريكيون شرفاء أرادوا تقديم الدعم للشيوعيين الصينيين لأنّهم كانوا يمثّلون القوى الوحيدة التى كانت تقاتل حقّا اليابانيين،و ليس الكومنتانغ فى ظلّ تشان. و هذا لا يعنى أنّ ماو كان مواليا لأمريكا. موقفه من الإمبريالية الأمريكية لم يكن تشوبه شائبة و كان صريحا. فخلال الحرب العالمية الثانية ، حينما صارت الفاشية اليابانية العدوّ الأساسي للصين، إستغلّ التناقضات بين الفاشية اليابانية و الإمبريالية

الأمريكية. ووقف من أجل تحالف مع هذه الأخيرة إلاّ أنّه عقب نهاية الحرب ضد الفاشية بالضبط و تحوّل الإمبريالية الأمريكية عوض الفاشية اليابانية إلى العدو الأساسي للصين بمساعدتها لتشان كاي تشاك فى حربه الأهلية ضد الشيوعيين ، نعت ماو الإمبريالية بالعدوّ الأساسي الذى يجب إلحاق الهزيمة به قبل أن تتمكّن الصين من التحرّر. وقد ألحق به الهزيمة !

و فى السنوات التالية، لا أحد يمكن أن يشكّ فى حسن نيّة ماو المعادية للإمبريالية عندما أرسل المتطوّعين الصينيين إلى كوريا للتصدّي للغزو الأمريكي لذلك البلد، و عندما قدّم دعما لا يوصف لشعوب الهند الصينية المقاتلة للإمبريالية الأمريكية و بالفعل ، لكافة الشعوب المقاتلة من أجل إستقلالها. و موقفه الشهير سنة 1970 ، المنادي بوحدة جميع القوى المناهضة للإمبريالية الأمريكية و كلابها السائبة ، مازال صداه يتردّد فى آذاننا.

لكن ، فى ذلك الوقت، دخل عنصر جديد فى الوضع العالمي. بإحتلاله الوحشي لتشيكوزلوفاكيا سنة 1968 ، أشارت التحريفية السوفياتية إلى تطوّرها إلى قوّة إمبريالية إشتراكية. وُلدت إمبريالية جديدة و سجّل ماو التغيّر فى ميزان القوى . و تاليا، وضع الإمبريالية الإشتراكية السوفياتية جنبا إلى جنب مع الإمبريالية الأمريكية على أنّهما توأم أعداء الإنسانية. و كان هذا هو الموقف الذى تمسّك به إلى الآخر حينما ، لآخر مرّة ترأس المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني الذى إلتأم من 24 إلى 28 أوت سنة 1973.

ويتضمّن التقرير المتبنّى فى هذا المؤتمر هذه الصيغة الممتازة :" و بالتالى ، على الجبهة العالمية ، على حزبنا أن يدافع عن الأممية البروليتارية ،و يدافع عن سياسات الحزب الصريحة، و يعزّز وحدتنا مع البروليتاريا و الشعوب و الأمم المضطهَدَة للعالم كافة و مع كافة البلدان المتعرّضة للعدوان و تنظيم الإنقلابات و التدخّل و التحكّم أو التهجّم الإمبرياليين،و أن يشكّل أوسع جبهة ممكنة ضد الإمبريالية و الإستعمار و الإستعمار الجديد و بصورة خاصّة، ضد هيمنة القوتين الأعظم، الولايات المتحدة و الإتحاد السوفياتي. ينبغى أن نتّحد مع جميع الأحزاب و المنظّمات الماركسية - اللينينية الحقيقية عبر العالم ، و أن نخوض النضال ضد التحريفية المعاصرة إلى النهاية ".

و من المفيد أن نلاحظ أنّ لا وجود هنا لذرّة لنظرية العوالم الثلاثة فى هذا التقرير. و كذلك إنّه لإفتراء بديهي من قبل الألبانيين أن يصرّحوا الآن بأنّ ماو ، فى أية مرحلة ، قد إعتبر الإمبريالية السوفياتية العدوّ الأساسي ، و بالتالى ، نادى إلى التفاهم أو التحالف مع الإمبريالية الأمريكية. هذه فظاعة أفرزها فكر دنك سياو بينغ و لا علاقة لها بماو.

و عليه، إنّنا ننبذ بشدّة أطروحة أنّ نظرية العوالم الثلاثة المعادية للماركسية- اللينينية كانت من إنتاج فكر ماو تسى تونغ. لا وجود لأدلّة مهما كانت تدعم مثل هذه الإمكانية. والرفيق ماو تسى تونغ قائد عبّر عن وجهة نظره حول كلّ المواضيع الممكن تخيلها و التى كانت ضمن مجال رؤيته. و كون المدافعين عن نظرية العوالم الثلاثة ليس بوسعهم إستخراج و لا مقولة واحدة لماو تدعم هذه النظرية العبثية ، دليل كافى على أنّه لم يدعو أبدا لوحدة العالم الثاني و العالم الثالث ضد العالم الأوّل ، أو أنكى حتى ، يدعو إلى وحدة العالم الثاني و العالم الثالث مع جزء من العالم الأوّل ضد الجزء الآخر.

إنّ الطريقة المفضّلة التى يستعملها أنور خوجا ، على طول كتابه و عرضه، هي أن يلصق بماو تسى تونغ وجهات نظر ليست له ثمّ يعمل على تحطيمها. هذه أكثر طرق النقاش غشّا.

و مع ذلك ، علينا أن نعترف بأنّ أخطاء إقترفت حتى خلال حياة ماو. وهي أخطاء فى تطبيق فكر ماو تسى تونغ. و يبدو أنّ بعضها إقترف عندما لم يكن بوسع ماو أن يحول دون إقترافها. و فى حالات أخرى ، يبدو أنّ ماو ذاته قد ساهم فى الأخطاء. و نحيل بوجه خاص على الفترة الموالية لسبتمبر 1971 ، لمّا جرى إرتكاب أخطاء جدّية فى مجال السياسة الخارجية و فى مجال العلاقات مع الأحزاب الماركسية – اللينينية الأجنبية.

كانت هذه هي الفترة التى تحوّل فيها لين بياو إلى خائن،و حاول أن يغتال ماو و مات فى حادث جوّي عند محاولته الهروب إلى الإتحاد السوفياتي . كانت تلك تجربة عصيبة بالنسبة للصين قاطبة. و قد إستغلّت العديد من العناصر التى أطاحت بها الثورة الثقافة هذه الفرصة للحصول على إعادة الإعتبار. و بثقله وقف شو آن لاي الذى ما كان أبدا مناصرا حقيقيّا لماو وراء هذه الحركة. و من أبرز الذين وقعت إعادة الإعتبار لهم هو دنك سياو بينغ. أحد الذين كان شو آن لاي يحميهم. و تحت تأثيرهم إرتكبت عديد الأخطاء فى السياسة الخارجية مع أنّه فى الشؤون الداخلية ، توصّل القادة الأربعة المقترنة أسماؤهم بماو من السهر على جعل السياسة الصحيحة تسود. و علينا أن نلمح إلى حدث مرتبط ببلادنا. ففى 1972، قدّمت الحكومة الصينية مساعدة عسكرية لحكومة سيرى لانكا [سيلان] و حتى بعثت بضبّاط ليدرّبوا الجيش. و كان عملا غير قابل الدفاع عنه و عبّرنا عن ذلك للحزب الشيوعي الصيني فى رسالة ، سنة 1973. و كذلك غير قابل للدفاع عنه هو موقفه من الشيلي و إيران إلخ. لكن ثمّة أيضا أعمال شارك فيها ماو شخصيّا و لا يمكن الدفاع عنها. و من ذلك إستقبال القائد الفاشي الألماني ستروس و نكسون (لا سيما فى المناسبة الثانية و الحال أنّه لم يعد رئيسا للدولة و و أنّ سمعته مرّغت فى الوحل بفعل فضيحة الواترغايت) و الدكتاتوريين الفاشيين مثل ماركوس.

و قد تميّزت أيضا هذه الفترة بالإرتداد على السياسة تجاه الأحزاب الماركسية – اللينينية الأجنبية. و أثناء فترة الثورة الثقافية و الفترة الموالية لها تماما و حتى فى الفترة السابقة لها ، لا شكّ فى أنّ الحزب الشيوعي الصيني قدّم دعما نشيطا للأحزاب الماركسية – اللينينية الأجنبية. و لو أنّه ، فى فترات، لا يمكن أن نوافق على سياسته فى الإعتراف بأكثر من حزب واحد فى كلّ بلد- و هكذا يساهم فى عدم الوحدة.

و لعلّ سبب هذا التغيّر كان تغيّرا فى قادة القسم العالمي للحزب الشيوعي الصيني. ففى 1972 توفّي الرفيق كانغ تشان وهو ماوي قديم موثوق به كان على رأس القسم العالمي للحزب الشيوعي الصيني. و جاء مكانه كانغ بياو ، أحد رجال شو آن لاي و كان من معارضي ماو. و فى ظلّ قيادته، إبتدأ توخّي سياسة لامبالاة و عدم دعم إزاء الأحزاب الماركسية - اللينينية الأجنبية.

و رغم ذلك، فإنّنا لا نعتقد أنّ هذه الأخطاء و بعض الأخطاء الأخرى، تفقد أهمّ ركائز فكر ماو تسى تونغ صلوحيتها. نعتبر ستالين ماركسيّا – لينينيّا عظيما رغم بعض الإنحرافات فى الممارسة. و نعتبر أنّ فكر ماو تسى تونغ هو ماركسية-لينينية عصرنا و أنّ كلذ من يهاجم فكر ماو تسى تونغ هو فى الواقع يهاجم الماركسية – اللينينية . و لا يسرّنا أن نختلف مع الحزب الألباني الذى كنّا نحترم كثيرا دفاعه عن نقاوة الماركسية فى الماضي ، و الذى منه تعلّمنا الكثير.

حين تخلّى دنك سياو بينغ و القيادة الحالية للصين عن راية فكر ماو تسى تونغ ، كانت للحزب الألباني و لأنور خوجا فرصة توحيد أحزاب العالم التى نهضت لتندّد بنظرية العوالم الثلاثة البغيضة هذه و لترث راية ماو . إلاّ أنّه عوض القيام بذلك ، قاما بالعكس وأراحا كلّ من التحريفيين السوفيات و الصينيين و لكافة الإمبرياليين و الرجعيين فى العالم.

لنتذكّر أنّه منذ زمن لينين و ستالين ، لم تلق إيديولوجيا مثل هذا القبول على النطاق العالمي و لم تعبّئ الثوريين عبر العالم مثلما فعل فكر ماو تسى تونغ.

يرغب الرجعيون و التحريفيون حدّ الموت رؤيته يتحطّم تحطيما ما يجعلهم يهرولون لإعانة صين دنك سياو بينغ لخشيتهم من أن تعود إلى الصين الماوية.

فى مثل هذا الوضع الصعب، ينبغى على كافة الثوريين أن يختاروا. و نحن نختار الوقوف مع ماركس ، إنجلز ، لينين، ستالين و ماو ./.

[وثيقة تبنّاها مؤتمر إستثنائي للحزب الشيوعي بسيلان إنعقد فى جويلية 1979].

دحض أنور خوجا

بقلم ن.ساموغاتاسان، الأمين العام للحزب الشيوعي بسيلان [سيريلانكا] 1980.

منذ بداياتها الأولى ، كانت الماركسية أممية شكلا و مضمونا. لهذا ختم ماركس و إنجلز **" بيان الحزب الشيوعي "** الشهير فى 1848 بالنداء المدوّى : " يا عمّال العالم إتحدوا ! " وواصلا المشوار ليعطيا شكلا تنظيميّا لهذا الفهم بتشكيل جمعية الشغيلة العالمية التى باتت معروفة بالأممية الأولى. وبفضل هذه المنظّمة نشرت بذور الماركسية فى صفوف العمّال المتقدّمين بأوروبا و شمال امريكا.

و عندما سلّطت يد القمع على اوروبا ، عقب هزيمة كمونة باريس سنة 1871، و أضحى من غير الممكن تسيير الأممية من أوروبا، إنتقل مركز القيادة إلى أمريكا الشمالية حيث مات ميتة طبيعية. و إثر وفاة ماركس، تشكّلت الأممية الثانية فى ظلّ قيادة إنجلز. فكانت هذه فترة ظهور الأحزاب الإشتراكية و العمّالية الجماهيرية فى أوروبا و العديد منها لا يزال قائما إلى اليوم.

و لم يعش إنجلز ليشهد فسادها و تحوّلها إلى الإنتهازية مع بداية الحرب العالمية الأولى. فخاض لينين صراعا جبّارا ضد القادة التحريفيين للأممية الثانية، كاوتسكي و برنشتاين اللذان صارا يلبسان لبوس ماركس و إنجلز و يقودان أقوى حزب إشتراكي ديمقراطي، الحزب الإشتراكي الديمقراطي الألماني...

و أكمل نجاح ثورة أكتوبر فى روسيا سنة 1917 و نهاية الحرب العالمية الأولى فضح إنتهازية الأممية الثانية. و بجهد جهيد جمّع لينين ما كان جيّدا فى الأممية القديمة و فى 1919 ، فى موسكو، تشكّلت الأممية الثالثة التى رغم عديد الهنات والأخطاء ، قد نهضت بدور هام فى تركيز أحزاب شيوعية جماهيرية فى غالبية أصقاع العالم. و قد أدّت بعض التسويات المفروضة عليها لأسباب شتّى –

بالأساس الحاجة إلى تسهيل دخول الأحزاب الشيوعية المحلّية فى التحالفات القومية المناهضة للفاشية و التى كانت تضمّ حتى قوى غير بروليتارية – إلى حلّها سنة 1943.

و يظلّ مدى صحّة هذا القرار و صوابه مصدر جدال.و لعلّ ما هو أعسر على الفهم هو فشل إعادة بناء وحدة الحركة الشيوعية العالمية فى شكل تنظيمي مع نهاية الحرب العالمية الثانية. و من الصحيح أن ّالكومنفورم نهض بدور مركز لفترة وجيزة إلاّ أنّه لم يكن أداة أممية و كان دوره محدودا.

بوفاة ستالين و إستيلاء التحريفيين الخروتشافيين على السلطة فى الحزب و الدولة السوفياتيين، تلقت وحدة الحركة الشيوعية العالمية التى أقيمت فى ظلّ ستالين ضربة قاتلة. و إضافة إلى ذلك، كان الإنشقاق بين الماركسية – اللينينية و التحريفية المعاصرة قد شقّ تماما كلاًّ من الوحدة التنظيمية و الإيديولوجية للحركة الشيوعية العالمية. و نشأت احزاب ماركسية- لينينية جديدة نبذت التحريفية الخروتشافية فى كلّ مكان. ووجهت نظرها إلى قيادة الحزب الشيوعي الصيني العظيم بقيادة ماو تسى تونغ الذى ظلّ صامدا فى الدفاع عن الماركسية-اللينينية و شنّ معاركا جدالية فى خضمّ دفاعه.

و لعلّ وقتها كانت الفرصة سانحة أكثر لإعادة الحياة للأممية الشيوعية. لكنّه لم يتمّ إغتنام الفرصة. يبدو أنّ قادة الحزب الشيوعي الصيني قد إعتبروا أنّ الوقت لم يحن بعدُ لهكذا مغامرة ، و إكتفوا بالمبادلات الثنائية بين الأحزاب. و ممارستهم اللاحقة فى الإعتراف بأكثر من حزب واحد فى بلد على أنّه ماركسي- لينيني لم يساعد على توحيد القوى الماركسية - اللينينية على النطاق الوطني. بالعكس تبيّن أنّه باث للتفرقة. و من جهته ، إعترف حزب العمل الألباني بحزب واحد فقط فى كلّ بلد على أنّه ماركسي-لينيني غير أنّه لم تكن لديه مقاييس أو مبادئ للتمييز بوضوح.

و الفرصة الوحيدة كانت أن تلتقى الأحزاب و الجماعات الماركسية - اللينينية فى المؤتمرات الوطنية لحزبي الصين وألبانيا. وفيما يتصل بالصين، وضع حدّ لهذه الفرصة كذلك مع المؤتمر التاسع عندما تخلّى الحزب الشيوعي الصيني عن إستدعاء مندوبين من الأحزاب الإخوة إلى مؤتمره. و ايضا تخلّى عن إرسال ممثلين له إلى مؤتمرات الأحزاب الإخوة الأخرى. و لم تقدّم أية تبريرات رسمية لهذه الممارسات.

لعله تمّ الشعور بأكثر عمق بغياب إطار أممي للماركسيين –اللينينيين ، مباشرة عقب وفاة ماو، حينما إنزلقت قيادة الحزب الشيوعي الصيني إلى مستنقع التحريفية المعاصرة و تقدّمت بالنظرية التحريفية تماما " نظرية العوالم الثلاثة " كسلاح إستراتيجي للحركة الشيوعية العالمية.

دون شكّ، عدد كبير من الأحزاب و المجموعات الماركسية- اللينينية ، و فى مقدّمة الجميع حزب العمل الألباني – إنبرت لفضح النظرية التحريفية للعوالم الثلاثة. غير أنّه عوض توحيد هذه القوى بصلابة و مواجهة جبهوية رائعة لكلّ من التحريفية السوفياتية و الصينية، زاد حزب العمل الألباني فى تفرقة هذه القوى بتمريغه حتى أكثر فى الوحل راية فكر ماو تسى تونغ التى مرّغها بعدُ فى الوحل التحريفيون الصينيّون. كانت لحزب العمل الألباني فرصة لرفع راية فكر ماو تسى تونغ من الوحل الذى مرّغها فيه التحريفيون الصينيون و لتوحيد كافة الماركسيين-اللينينيين و الثوريين الحقيقيين حولها. و عوض ذلك إختار العكس. مستعملا سلطة الدولة ، أفسد عددا من القوى الثورية الصريحة محوّلا إيّاها إلى الموقع الخاطئ لمعارضة فكر ماو تسى تونغ و قائدا إيّاها إلى الخندق السياسي الذى يتخبطون فيه.

لماذا قام حزب العمل الألباني بذلك ؟ على الأرجح سيبقى هذا سرّا غامضا. لكن حجم خيانته يمكن إدراكه فقط إذا أدرك المرء حجم إمكانية التقدّم بالحركة الماركسية - اللينينية التى توفّرت فى 1977 و لم يقع إستغلالها بفعل التصدّع الذى أحدثه الحزب الألباني.

لكن، من الواجب ان ندحض نظريات حزب العمل الخاطئة ذلك أنّه اليوم بات الدفاع عن فكر ماو تسى تونغ المهمّة المركزية لجميع الماركسيين- اللينينيين فالدفاع عن فكر ماو تسى تونغ ليس أقلّ من الدفاع عن الماركسية- اللينينية ذاتها إذ أنّ فكر ماو تسى تونغ تطوير أعمق للماركسية- اللينينية و كلّ من ينكر فكر ماو تسى تونغ ينكر الماركسية - اللينينية و هنا تكمن أهمّية الجدال الدائر حول هذا الفكر.

ما يزعج المرء فى الجدال مع حزب العمل الألباني هو إعتماده التزوير. كاتبا فى نهاية مقدّمته ل " ملاحظات حول الصين" ، فى ماي 1979، يقول خوجا إنّ المؤتمر السابع لحزب العمل الألباني : " قام بتحليل شامل للموقف المعادي للماركسية و الأعمال المعادية للثورة لدى القيادة التحريفية الصينية ، **دون إستبعاد مسؤولية ماو عن الوضع القائم"**. ببساطة هذا غير صحيح.

إنّ كاتب هذا المقال كان حاضرا فى المؤتمر السابع سنة 1976 و لم يسمع أبدا كلمة واحدة ضد ماو تسى تونغ. بالعكس ، فى تقريره للمؤتمر السابع ، أشار أنور خوجا إلى ماو تسى تونغ ليس كماركسي – لينيني عظيم فحسب ، بل أيضا كصديق عظيم للشعب الألباني. هذا موثّق فى التقرير. لا يمكن القبول بالكذب فى أي جدال.

يحاول أنور خوجا أن يعود بجذور تحريفية القيادة الصينية الحالية إلى ماو. يبدو أنّه يجهل كون دنك سياو بينغ قد تنكّر لجميع القرارات الصحيحة للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى وهو يبحث عن محو مرحلة قيادة ماو للحزب الصيني بأكملها كما لو أنّها كابوس. و حتى إعادة الإعتبار لليوتشاوتشى الذى فضحه ماو كرمز لأتباع الطريق الرأسمالي و كان أنور خوجا يشاطره الرأي فى ذلك (فى كتابه" ملاحظات حول الصين") لم تجعله يستفيق ليواجه الوقائع. و لعلّ فقط القدح المتوقّع فى ماو بشكل علني وسافر فى المؤتمر القادم للحزب الشيوعي الصيني وحده بإمكانه أن يفضح الإنحطاط السياسي لأنور خوجا. بالتأكيد، يجب أن يكون واضحا حتى لأبسط مثقّف أنّ تحريفية دنك سياو بينغ ليس منبعها ماو و إلاّ لما كان دنك معارضا بغلّ لماو و لكلّ ما دافع عنه ماو.

يتّهم أنور خوجا ماو بأنّه مثالي و ميتافيزيقي . لكن فى الواقع أنور خوجا هو من تنطبق عليه هذه التهمة. ولنضرب مثالا على ذلك طريقة مقاربته الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى التى يمكن أن تعدّ أعظم الأحداث الثورية التى جدّت أبدا. بإعتباره هذا الحدث العظيم على أنّه ليس بعظيم و لا هو بروليتاري و لا ثقافي و لا ثورة ، يبرز أنور خوجا ليس فقط جهله التام لما تعينيه الثورة ، و إنّما أيضا موقفه الميكانيكي و الميتافيزيقي.

من الزاوية التى يتطرّق منها لهذا الحدث العظيم ، يرى أنّه على الحزب الشيوعي الصيني بقانونه الأساسي و لجنته المركزية المنتخبة هو الذى يجب ان يقرّر و يقود كلّ شيء. لا يمكن ان توجد إضطرابات و ما يسمّيه " فوضى". هكذا بالضبط كان ليوتشاوتشى أيضا يتطرّق للمسألة. كان يعتقد أنّه جالس فى وضع مريح لأنّه كان يعلم أنّه كان يتحكّم بالأغلبية فى صفوف اللجنة المركزية. و قد إرتأى كذلك حتى أنّ ماو. كشيوعي جيّد ، عليه أن يثير خلافاته صلب اللجنة المركزية أين كان ليوتشاوتشى واثقا من الإنتصار. بالكاد فكّر فى أنّ ماو سيتجاوز اللجنة المركزية و ينادى الجماهير خارجها رافعا شعاره الشهير : " أطلقوا النار على القيادات العامة " . من سبق و أن سمع عن شيوعي يدعو الجماهير للإطاحة بقيادة الحزب او الجزء الذى بات تحريفيا.

لكن هذا بالضبط ما قام به ماو. لم تمنعه القواعد الميكانيكية أو التفكير الميتافيزيقي. لقد فكّر على نحو جدلي و عمل على المحافظة على دكتاتورية البروليتاريا. فإتباع القواعد كان سيؤدّى بالتأكيد إلى كارثة. و علاوة على ذلك ، كانت لماو ثقة كبرى فى الجماهير. لقد كان يعلم أنّها يمكن أن تقترف أخطاءا . لقد كان يعلم أنّها يمكن أن تقترف أخطاءا إلاّ أنّه كان كذلك يعلم جوهريّا أنّها ستتصرّف على نحو صحيح، فى ظلّ قيادة مناسبة و ثورية. لهذا لم يكن يخشى "نشوب" الإضطراب.

بيد أنّ أنور خوجا غير قادر على فهم هذا. و بالتالى ، يصف هذه الثورة الكبرى التى شارك فيها فعلا الملايين، كإنقلاب قصر على النطاق الصيني. فى الواقع لا يعدو هذا أن يكون وصفا طفوليّا.

إذا كان على ماو أن يخرج عن قيادة الحزب و ينادي الشعب و من ثمّة يقدّم قيادة شخصيّة للثورة الثقافية ، فيعزى ذلك إلى كون قيادة الحزب خرّبها التحريفيون و أتباع الطريق الرأسمالي. لم تكن لدى ماو خيارات أخرى إذ أراد أن يصون الحزب و يحول دون تغيير لون الصين.

إنّ الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى مثال لكيفية خوض الصراع الطبقي فى ظلّ ظروف دكتاتورية البروليتاريا فى الصين، لمنع الصين من تغيير لونها و المضيّ على طريق إعادة تركيز الرأسمالية نو صيانة الصين كقاعدة للثورة العالمية.

سُمّيت ثورة ثقافية لأنّ على الجبهة الثقافية تمّ إطلاق النيران الأولى من قبل كلّ من التحريفيين و الثوريين. مثل مثل دور نادى بيتوفى فى المجرّ أثناء الثورة المضادة لسنة 1956، إضطلعت النشاطات الثقافية بدور كبير فى محاولة التحريفيين فى الصين العودة بعقارب الساعة إلى الوراء. و زيادة على ذلك ، كانت الثورة برمّتها تتمحور جول كسب أذهان الناس و التأثير عليها، و حول خلق نوع جديد من الإنسان الإشتراكي ، مجرّد من الأنانية و الولع بالسلطة و العظمة الشخصيين.

لم تكن الثورة الثقافية خدعة كما يدعى خوجا. و كذلك لم تقض على الحزب الشيوعي الصيني. فقد حطّمت مراكز قياداته البرجوازية نذلك الجزء من القيادة الذى أصبح تحريفيّا. وبدلا منه ضخّت دما جديدا فى الحزب . و بالطبع وُجدت فوضى. وكلّ ثورة تنتج قدرا ما من الفوضى. هذا حتمي. لذا قال ماو إنّ الثورة ليست وليمة عشاء. إنّها محاولة طبقة أن تقلب الأخرى.عادة ما يسبق التهديم البناء. وصحيح أنّ ماو و الثوريين لم يبلغوا كافة أهدافهم التى رانوا تحقيقها بواسطة الثورة الثقافية. و مردّ ذلك أنّ فى منتصف طريق الثورة ، بتعلّة أنّ الثورة مضت بعيدا أكثر من اللازم ن نجح بعض القادة ،مثل شو آن لاي فى إعادة الإعتبار لأناس أطاحت بهم الثورة الثقافية. و عدم القدرة على منع هذا ترجم ضعف الطبقات الإجتماعية التى يمثّلها ماو و الثوريون.

يعترض أنور خوجا على دور الشباب فى الثورة الثقافية. لماذا الشباب؟ لماذا ليست البروليتاريا؟ يتساءل متناسيا أن الحزب الألباني ذاته ، نادى الشباب لبناء سكك الحديد و لتهيأة سفوح الجبال. ليس الشباب بحدّ ذاتهم طبقة. إنهم ينحدرون من طبقات مختلفة ، و لكن لديهم ميزة كونهم مثاليّون، يضحّون بالنفس و يطمحون لتغيير المجتمع. وبالتالى ، يمكن أن ينهضوا بدور طليعي ما يعنى دور القيادة فى السير فى الصفوف الأمامية.

لكن هذا لا يعنى أنّ شباب الطبقة العاملة لم يكن فى الصفوف الأولى للثورة الثقافية. لقد مثّل الشباب من الطبقة العاملة و الفلاحين جلّ الحرس الأحمر حتى و إن وُجدت قطاعات صغيرة من العمّال الذين كانوا ضد الثورة.و دعونا لا ننسى أنّ القوّة المحرّكة لعاصفة جانفي بشنغاي- احد أبرز الأحداث و المنعرجات خلال الثورة الثقافية – كانت من تنظيمات العمّال الثوريين فى شنغاي، بقيادة تشانغ تشن -شياو و رفاقه.

و من أهمّ التهم الجدّية الموجّهة من أنور خوجا لماو تسى تونغ هي انّ الأخير قد نبذ المفهوم الماركسي للدور القيادي للبروليتاريا فى الثورة و بدلا من ذلك ، نسب الدور القيادي للفلاحين. هذا فى آن معا غير صحيح و تهمة لا يمكن إثباتها و يمكن الردّ عليها بسهولة. عبر كتاباته النظرية ، قد شدّد ماو على الدوام على الدور القيادي للبروليتاريا و إعتبر الفلاحين القوّة الأساسية . و لم ينحرف أبدا عن هذا الموقف.

فى المقال الأوّل من المجلّد الأوّل من **مؤلّفاته المختارة** ، ردّا على أسئلة : من هم أعداؤها؟ و من هم أصدقاؤها؟ ، أكّد ماو فى " تحليل لطبقات المجتمع الصيني: " القوّة القائدة لثورتنا هي البروليتاريا الصناعية" [م1، ص 24] و فى مقاله " حركة 4 مايو" أكّد :" لا يمكن إنجاز الثورة الديمقراطية ضد الإمبريالية و الإقطاعية بدون هذه القوى الثورية الأساسية ،و بدون قيادة الطبقة العاملة" [م2، ص 328-329] وحلّ المسألة بأكثر تفاصيل فى كتابه : " الثورة الصينية و الحزب الشيوعي الصيني" فأشار إلى أن :"بدون قيادة البروليتاريا، لن تتمكّن الثورة الصينية بالتأكيد على الظفر"[م2، ص449]. و كرّر هذا الموقف عديد المرّات فى ما خطّه قلمه. و عمليّا أيضا ، أعطى الأولوية لتنظيم العمّال مثلا، عمال مناجم الفحم فى آنيوان.

لكن خوجا يعمد إلى الخداع الخسيس فيستشهد بجملتين من مقال ماو الشهير " تقرير عن تحقيقات فى حركة الفلاحين فى خونان" فى محاولة منه ليتبيّن أن ماو قال إنّ كافة الأحزاب و القوى السياسية يجب ان تخضع للفلاحين ووجهات نظرهم. هذا ما قاله ما وفى ذلك التقرير:" تهبّ فى هذه النهضة مئات ملايين من الفلاحين فى مقاطعات الصين الوسطى و الجنوبية و الشمالية بسرعة خارقة و قوة جارفة كالعاصفة العاتية ، لا تستطيع أية قوّة أخرى ، مهما تكن عظيمة ، أن تقف فى وجهها. " و " الأحزاب الثورية و الرفاق الثوريون فإنهم سيجدون أنفسهم جميعا أمام إختيار الفلاّحين الذين سيقرّرون قبولهم أو رفضهم".[م1،ص 30]

لقد وضع ماو هذا البحث ليس بغاية دفع الدور الهيمني للفلاحين فى الثورة الصينية بل لدفع قيادة الحزب الشيوعي الصيني وقتها لتقدّم القيادة للحركة الفلاحية الناهضة بعدُ فى الريف. و تجدر الملاحظة أنّ قيادة الحزب الشيوعي الصيني آنذاك لم تكن تهتمّ إلاّ لأمر التحالف مع البرجوازية الوطنية و تنكر مهمّة تشكيل تحالف بين العمّال و الفلاّحين . وهو محقّ ، أراد ماو تغيير هذه السياسة. و أراد تقييما سليما و دقيقا لدور الفلاحين الذين كانوا يشكّلون 80 إلى 90 بالمائة من السكّان، كقوّة أساسية فى الثورة الصينية. و صرّح :" دون الفلاحين الفقراء لن توجد ثورة " . ولم يحاجج أبدا من أجل الدور الهيمني للفلاحين فى الثورة.

و يسترسل أنور خوجا ليذكر الأطروحة حول " القرى الثورية " و أطروحة " محاصرة المدن إنطلاقا من الريف" كدليل على أن ماو رفع الفلاحين إلى مصاف الدور القيادي.لكن ماذا كان ماو يقصد؟ على حدّ فهمنا ، أشار ماو إلى أنّ فى أشباه المستعمرات حينذاك، كانت قوى العدوّ أقوى نسبة للقوى الشعبية الأقلّ قوّة فى البداية و كانت متمركزة فى المدن- مثلا، ،مراكز قيادة الحكومة و الجيش و الشرطة و الراديو و السكك الحديدية و البريد إلخ كانت جميعها فى المدن.

فى مثل هذا الوضع ، كانت قوى العدوّ فى البداية أقوى من القوى الشعبية الضعيفة حينها. و فى هذا الإطار ، إقترح ماو أنّه سيكون ضربا من الحماقة أن نحطّم رؤوسنا على الجدار الحجري للقوّة الأعتى للأعداء. و عوض ذلك ، إقترح أن يتمّ الإبتعاد قدر الإمكان عن مراكز سلطة العدوّ. و فى بلدان كالصين حيث غالبية الناس كانوا يعيشون فى الريف ، كان هذا يعنى التوجّه إلى صفوف الشعب و تنظيمه و بناء قواعد ثورية ضمنها يمكن بناء جيش شعبي و تدريبه. و سيُحوّل هذا الوضع غير المواتي إلى ميزة و يضطرّ العدوّ لإرسال قواته بحثا عن القوى الشعبية. و فى مثل هذا الحال ينبغى إستدراج العدوّ إلى العمق الشعبي و تحطيمه بإستعمال تكتيك ضرب عشرة لواحد. و سيتعلّم الجيش الشعبي و ينمو فى المعارك العملية مع العدوّ إلى أن يتمّ التوصّل إلى تغيير نوعي عندما تصبح القوى الشعبية أقوى من قوات العدوّ. هذه هي النظرية المعروفة بحرب الشعب الطويلة الأمد. و عندما تصبح القوى الشعبية أقوى من العدوّ سيكون حينها من الممكن محاصرة المدن و فى النهاية تحريرها.

هذه هي الإستراتيجيا و التكتيك العسكريين اللامعين اللذان صاغهما ماو فى خضمّ قيادة الثورة الصينية . وهي لا تنكر بتاتا الدور القيادي للبروليتاريا أو تعطى هذا الدور للفلاحين. و يتجسّد الدور القيادي للبروليتاريا عبر الإيديولوجيا البروليتارية الماركسية-اللينينية و التعبير عنها من خلال الحزب الشيوعي . غثّها لا تعنى أنّ البروليتاريا ينبغى أن تكون عدديّا أكبر أو أن جميع النشاطات ينبغى أن تنبع أو تحدث فى المدن. و المر على هذا النحو فى بلد متخلّف و واسع مثل الصين، لأنّ البروليتاريا ضعيفة عدديّا ، بينما يوفّر الريف الشاسع مجالا كبيرا للقوى الشعبية حتى تناور. و أبدا لا تعنى هذه التكتيكات عدم القيام بالعمل أو القيام بعمل أقلّ فى المدن. فى ظروف اللاقانونية التى سادت فى الصين ما قبل الثورة، قال ماو إنّ فى المناطق التى يحتلّها العدوّ يجب أن تكون سياستهم أن يعمل سرّيا و لمدّة طويلة كوادر منتقاة لمراكمة القوى و تربّص الفرصة.

و إضافة إلى ذلك ، عندما ننظر إلى ممارسة الثورة الصينية ، نجد أنّ العدد الكبير من القوى التى شكّلت اوّل وحدات الجيش الأحمر للعمّال و الفلاحين الذين قادهم ماو إلى جبال تشنغ كانغ سنة 1927 ، كانت متكوّنة من عمّال مناجم الفحم من آنيوان الذين عمل ضمنهم ماو قبلئذ.و مع ذلك ، لم يقدّم ماو هذا التكتيك لحلّ عالمي لكافة البلدان. وفى 25 سبتمبر 1956 ، فى حديث مع ممثّلين لبعض الأحزاب الشيوعية الأمريكية اللاتينية قال إنّ التجربة الصينية بهذا الصدد يمكن أن لا نطبق على العديد من بلدانها و لو أنّها يمكن أن تستخدم كإطار مرجعي. و ألحّ على نصحها بأن تستنسخ التجربة ميكانيكيّا.

و نقد أنور خوجا للرفيق ماو تسى تونغ على ما يدّعى أنّه مفاهيما غير ماركسية حول مرحلتي الثورة الديمقراطية و الثورة الإشتراكية. ليس هناك من أعمى من الذى له عيناي و لا يرى. لقد شرح الرفيق ماو تسى تونغ وجهة نظره فى العديد من كتاباته ، أهمّها كتابه " حول الديمقراطية الجديدة " حيث أشار إلى أنّ الثورة الصينية إمتداد لثورة أكتوبر و جزء من الثورة البروليتارية الإشتراكية العالمية.والثورة الصينية يجب أن تمرّ بمرحلتين . أوّلا الثورة الديمقراطية الجديدة ثمّ الثورة الإشتراكية. وهما سيرورتان ثوريتان مختلفتان و هما فى نفس الوقت مختلفتان و مترابطتان. لا يمكن إنجاز السيرورة الثانية أو الثورة الإشتراكية إلاّ بعد إتمام السيرورة الأولى أو الثورة ذات الطابع الديمقراطي البرجوازي. و الثورة الديمقراطية هي الإعداد الضروري للثورة الإشتراكية و الثورة الإشتراكية تتمّة حتمية للثورة الديمقراطية ".

و هكذا من الواضح تمام الوضوح أنّه لم تكن لدي ماو مفاهيما خاطئة بشأن وجود سور صيني بين الثورات الديمقراطية و الإشتراكية. و قد شدّد على هذا حينما قال :" إنّه لصحيح و متفق مع النظرية الماركسية حول تطوّر الثورة أن نقول عن المرحلتين الثوريتين: إنّ أولاهما توفّر الشروط اللازمة للثانية ،و إنه لا بدّ أن تكونا متتابعتين دون السماح بأن تتخلّلهما مرحلة دكتاتورية البرجوازية. أمّا الإدعاء بأنّ الثورة الديمقراطية ليست لها مهمّتها المحدّدة و لا مرحلتها الخاصة،و أنّه من الممكن ،فى الوقت الذى تتحقّق فيه مهمّة الثورة الديمقراطية ، تحقيق مهمة أخرى لا يمكن القيام بها إلاّ فى فترة أخرى مثل مهمّة الثورة الإشتراكية ، فذلك يترجم فكرة " تحقيق الثورتين بضربة واحدة " ، وهي فكرة طوباوية يرفضها الثوريون الحقيقيون". و من هنا أكّد ماو تسى تونغ بوضوح على أنّ الثورة الديمقراطية هي الإعداد الضروري للثورة الإشتراكية و أنّ الثورة الإشتراكية هي التتمّة الحتمية للثورة الديمقراطية. و بطبيعة الحال يعنى هذا أنّه خلال المرحلتين المختلفتين من الثورة ، ستكون للطبقة العاملة حلفاء مختلفون. قال الرفيق ماو تسى تونغ إنّه خلال المرحلة الديمقراطية للثورة ، سيكون من الممكن كلّ من الوحدة و الصراع مع البرجوازية الوطنية ذات الطابع المزدوج. من جهة لها تناقضات مع الإمبريالية الغربية و الرأسمالية البيروقراطية المحلّية. و من جهة أخرى ، لها تناقضات مع الطبقة العاملة و الفلاحين. و بالتالى ، لها طبيعة مزدوجة فى الثورة الديمقراطية للشعب الصيني.

أعلن ماو :" و ينتج عن هذا الطابع المزدوج للبرجوازية الوطنية أنّه يمكنها أن تسهم، فى فترات معينة و إلى حدّ معيّن، فى الثورة المناوئة للإمبريالية و حكومات البيروقراطيين و أمراء الحرب،و أن تصبح قوة ثورية. و لكن يكمن هناك خطر فى أنها قد تجرى ، فى فترات أخرى، وراء البرجوازية الكبيرة الكومبرادورية و تلعب دور المساعد فى مناهضة الثورة."[م2، ص 243]

هذه النظرة للتحالف المؤقت بين الطبقة العاملة و البرجوازية الوطنية قد سبق و أن شدّد عليها كلّ من لينين و ستالين. فى " مسودة أوّلية لموضوعات فى المسألة القومية و مسألة المستعمرات" قال لينين:" ينبغى للأممية الشيوعية أن تقدم على تحالف مؤقت مع الديمقراطية البرجوازية فى المستعمرات و البلدان المتأخّرة، على أن لا تمتزج بها و على أن تصون بصورة قاطعة إستقلال الحركة البروليتارية حتى بشكلها البدائي" و فى مقاله " الثورة الصينية و مهام الأممية الشيوعية "، إستنتج ستالين أنّه من المسموح بالتحالف مع البرجوازية الوطنية.

كان ماو واعيا للحاجة إلى اليقظة و الحاجة إلى كلّ من الوحدة و الصراع مع البرجوازية الوطنية. قال :" يملك الشعب جهاز دولة قويّ بين يديه و لا يخشى تمرّد البرجوازية الوطنية " و هذا مشابه نوعا ما للأحاسيس التى عبّر عنها لينين لمّا قدّم للسياسة الإقتصادية الجديدة . قال : " لا خطر على دولة البروليتاريا طالما تمسك البروليتاريا بصلابة بالسلطة السياسية بيديها ،طالما تمسك بصلابة بيديها النقل و الصناعات الكبرى".

ينكر أنور خوجا أنّ مثل هذا الوضع وُجد فى الصين بعد الثورة الديمقراطية ، لكن بعيدا عن إصدار موقف حاسم، فإنّه لا يقدّم أيّة وقائع ليبرّر مثل هذا الموقف؟ لكنّه من المعلوم جيّدا أنّه حتى فى السنوات الأولى من الصين الشعبية كانت البنوك الكبرى و المؤسسات الصناعية و التجارية الكبرى مملوكة للدولة و أن مؤسسات كالبنوك و السكك الحديدية و الخطوط الجوّية كانت تسيّرها الدولة. و فضلا عن ذلك ، فإنّ أهمّ سلاح لدى جهاز الدولة ، جيش التحرير الشعبي، كان حصريّا تحت قيادة الحزب الشيوعي.

و أيضا لم يكن ماو كما يدعى خوجا لا مباليا بضرورة الصراع الطبقي حتى بعد الثورة. ففى 1957 ، قال : "بالرغم من أنّ التحويل الإشتراكي فى بلادنا ،فيما يتعلّق بالملكية ، قد أنجز من حيث الأساس ، و انّ الصراع الطبقي الجماهيري العنيف الشبيه بالعاصفة و الواسع النطاق فى المراحل الثورية قد إنتهى الآن من حيث الأساس ، إلاّ أنه ما تزال هناك بقايا من طبقتي ملاك الأراضي و

الكومبرادوريين اللتين أطيح بهما ، و ما تزال البرجوازية موجودة ، و البرجوازية الصغيرة فى بداية إعادة تكوين نفسها."[مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ ، ص 18].

و قبل ذلك ، سنة 1952، كان قد قال : " مع الإطاحة بطبقة الملاكين العقاّريين و الطبقة الرأسمالية البيروقراطية، صار التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازية الوطنية التناقض الرئيسي فى الصين وبالتالى من هنا فصاعدا لا يجب وصف البرجوازية الوطنية بالطبقة الوسطى."

إمتدّت المرحلة الديمقراطية للثورة الصينية لحوالي سبع سنوات. و مع 1956، جرى تحويل المؤسسات الصناعية و التجارية المملوكة للخواص إلى مؤسسات مشتركة بين الدولة و الخواص و جرى تحويل الفلاحة و الصناعات التقليدية إلى تعاونيّات. و صار قسما من البرجوازية جزءا من الإداريين فى المؤسسات المشتركة بين الدولة و الخواص و كان تحويلهم جاريا من مستغِلّين إلى عمال يعيشون من عملهم الخاص. لكن ظلّت لديهم نسبة محدّدة من أرباح رأسمالهم فى المؤسسات المشتركة. يعنى أنّهم لم يقطعوا جذورهم بعدُ مع الإستغلال.

بوضوح ، لم يُحلّ تماما التناقض الطبقي و لم يكن ليحلّ فى غضون بضعة سنوات تالية. فقط خلال الثورة الثقافية ، فرض الحرس الأحمر إيقاف دفع فوائد للبرجوازية الوطنية . كانت هذه الطريقة الصينية الخاصة لتقييد و تقليص البرجوازية الوطنية و تغييرها.

على كلّ حزب فى مختلف البلدان أن يطبّق طرقا مختلفة فى معالجة التناقضات التى تظهر دائما مع تعمّق تقدّم المجتمع على الطريق الإشتراكي. و الطرق التى يستعملها كلّ حزب ستختلف عن طرق بلد بلد. و درجة المقاومة التى واجهها البلاشفة فى روسيا عند الإطاحة بالملاك العقاريين و الرأسماليين كانت كبيرة جدّا. و كان عليهم إتخاذ إجراءات شديدة للقضاء على هذه المقاومة. و لهم الحقّ تماما فى القيام بذلك ز و فى الصين أيضا ، جرى القضاء على المعادين للثورة. لكن فى الصين ، نادى ماو بإستعمال طريقتين مختلفتين فى ظلّ الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية ، طريقة دكتاتورية و أخرى ديمقراطية ،لمعالجة النوعين من التناقضات المختلفة فى طبيعتها – التناقضات بيننا و بين العدوّ نو التناقضات صلب الشعب. و فى مقاله: " حول الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية" المكتوب سنة 1949 و المنشور أيضا فى جريدة الكومنترن، شرح ماو أنّ :" من جهة ، ديمقراطية للشعب ، و من جهة أخرى ، دكتاتورية على الرجعيين،و يكوّن هذان الوجهان بترابطهما الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية ."[م4، ص 528]

هذه الطريقة من إستعمال الإقناع و ليس الإجبار لمعالجة التناقضات صلب الشعب يمكن أن تبدو لبعض الناس غير ماركسية. لكنّه من المبادئ الجوهرية فى الماركسية أنّه عندما يعمل الشيوعيون فى صفوف الجماهير ينبغى أن يستخدموا الطريقة الديمقراطية للإقناع و التربية و لا يلجأوا أبدا إلى الأوامر و القوّة. و قد نجح بوجه خاص تطبيق هذه الطريقة فى الصين كما يشهد على ذلك كونه خلال الحرب الكورية ، مرّ بسرعة الأمريكيون قرب ضفاف نهر اليالو ،و لم يجدوا صينيّا خائنا واحدا. و هذا يتعارض مع الوضع فى المجرّ زمن الثورة المضادة فى 1956.

و يعتبر أنور خوجا أيضا مخطأة نظرية التناقضات كما عرضها ماو و التى وفقها يؤكّد على أنّ قانون التناقض أي قانون وحدة الأضداد ، هو القانون الأكثر جوهرية فى المادية الجدلية و أنّ كافة القوانين الأخرى تنبع منه. و الردّ على جميع هذا النقد سيستحقّ منّا مجالا أكبر و أكثر وقتا ممّا هو متاح لنا.

سنقتصر على إعادة التأكيد على ما نعتقد أنّه المبادئ الأساسية لقانون التناقض فى الأشياء ،مثلما شرحه ماو. التناقض شامل[عام] ؛ تعبّر التناقضات عن ذاتها بأشكال خاصة؛ و من كافة التناقضات هناك دائما تناقض رئيسي و كذلك مظهر رئيسي للتناقض يلعب الدور القيادي فى معالجة التناقض ؛ و لكافة مظاهر التناقض وحدة مثلما لها صراع،و فى ظلّ ظروف معيّنة ، يمكن أن تتبادل المواقع(الوحدة مؤقّتة و نسبية بينما الصراع مطلق) ؛ و أخيرا ضمن التناقضات هناك تناقضات عدائية و غير عدائية و يجب معالجتها بصورة صحيحة لعدم السماح للتناقضات غير العدائية بالتحوّل إلى تناقضات عدائية.

إنّه ذات الإخفاق الجوهري فى فهم نظرية التناقض فى الأشياء هو الذى جعل انور خوجا ينقد وجهة نظر ماو حول نظرية صراع الخطّين. حسب رأي خوجا ، يجب أن يكون للحزب خطّ واحد و بالتالى من غير الماركسي أن نفكّر بوجود خطّين داخل الحزب. لكن ما كان ماو يشير إليه هو شمولية التناقض أي أنّ التناقضات توجد فى كلّ شيئ ، حتى فى الفكر، فى الأحزاب و حتى فى الأشخاص. و من الصحيح أنّه فى لحظة زمنية معيّنة ، يمكن للشخص أو يجب عليه أن يتحدّث بصوت واحد فقط. لكن صيغة الصوت الواحد هي دائما نتيجة صراع مرير بين نظرتين. و صراع الضدين هذا ، حتى فى الفكر ، هو الذى يدفع الأشياء إلى الأمام. و بهذا المعنى ، و وُجد دائما خطّان صلب الحزب و حتى صلب الشخص. و على أسا التناقض بين الخطّين ، بين ما هو صحيح و ما هو خاطئ، يحدث التقدّم. و التنكّر لهذا هو تنكّر لجدلية الماركسية.

و كذلك ،هناك إخفاق فى فهم المبدأ الجدلي لوحدة الأضداد بين المظهرين المتعارضين للتناقض و أنّه ، فى ظلّ ظروف معيّنة، يمكن للضدّين أن يتبادلا المواقع. فى ظلّ الرأسمالية تمثّل الطبقة العاملة و البرجوازية مظهري التناقض ذاته. إنّهما متضادتين و هذا

التضاد مطلق. لكن ثمّة أيضا مظهر وحدة بين الإثنين أي لا يمكن للواحد ان يوجد دون وجود الآخر. و فى ظلّ ظروف معيّنة أي ، نتيجة لثورة ، يمكن للطبقة العاملة و البرجوازية أن يتبادلا المواقع، أي يمكن للطبقة العاملة أن تتحوّل من طبقة محكومة إلى طبقة حاكمة ؛ بينما تتحوّل البرجوازية من طبقة حاكمة إلى طبقة محكومة.

و ينقد أنور خوجا أيضا الطريقة التى يستعملها ماو للتعاطي مع المعادين للثورة و القوى المتناقضة ضمن الشعب. و فى حين يعترف ماو بأنّه لم يكن بوسع البروليتاريا إلاّ أن تقضي على البرجوازية فى روسيا التى كانت معادية للثورة ،فقد أشار إلى أنّ الوضع فى الصين متباين قليلا. مع 1956، غالبية المعادين للثورة جرى سحقهم . و بالتالى ، بينما لم يكفّ عن الدعوة للتعامل بشدّة مع المعادين للثورة و أعداء آخرون للشعب ، فإنّه نادى إلى طريقة مغايرة من الإقناع الديمقراطي و إعادة التشكيل عبر العمل لأعداء آخرين. و قال أيضا إنّه ينبغى أن لا يقتل أناس أكثر من اللازم و إنّه ينبغى أن توجد حدود حتى فى عدد الناس الموقوفين و إنّه مهما كانت الأخطاء المقترفة يجب إصلاحها.

لقد تمّ الدفاع عن هذه السياسة نظرا للعد الكبير لعناصر البرجوازية الصغيرة فى الصين و لضرورة كسب كافة فئات الشعب غير المنتمية للطبقة العاملة (و ليس الملاكون الإقطاعيون و البرجوازية الكبيرة) إلى جانب الطبقة العاملة.

و أيضا أقيمت حملة " لتتفتح مائة زهرة و لتتنافس مائة مدرسة " بهدف تشجيع الصراع بين المدارس الفكرية المتصارعة ضمن الشعب، لكن تحت مراقبة الحزب الشيوعي. و دافع ماو عن انّه سيكون من الخطإ قمع الأفكار الخاطئة فى صفوف الشعب بإجراءات إدارية. بالعكس دافع عن أنّه يجب السماح للأفكار الخاطئة بالخروج إلى النور و بمواجهة التنافس و الصراع. لم يكن يشكّ فى أنّ الأفكار الصحيحة ستنتصر لأنّ الإشتراكية كانت فى موقع أفضلية فى الصراع الإيديولوجي. و كانت السلطة الأساسية للدولة بأيدى الطبقة العاملة بقيادة البروليتاريا. و كان الحزب الشيوعي قويّا و سمعته جيّدة وكبيرة. و بالتالى الطريقة الوحيدة للصراع الإيديولوجي يجب أن تكون الإجتهاد فى التفكير ليس الإكراه الفجّ.

كانت هذه الحملة " لتتفتّح مائة زهرة " صراعا إيديولوجيا ضد " الأعشاب السامة " من أجل أفضلية الماركسية فى المجال الثقافي. و إستغلّ اليمينيون الفرصة للدعوة لديمقراطية من النمط الغربي. و جدّت حتى أحداث سيّئة، مثل الإعتداء على الناس . و مثلما قال ماو :" لا يمكن إقتلاع الأعشاب السامة إلاّ بعدما تخرج من الأرض" و شنّ هجوما مضادا شرسا ضد اليمينيين البرجوازيين الذين ظهروا و فضحوا أنفسهم فأُجبروا على التراجع. و جرى عقاب البعض منهم و نعتوا باليمينيين كأحد المجموعات الخمس التى إعتبرت مجموعة سوداء فى المجتمع الصيني. و قد وقع الإنقلاب على هذا القرار بعد عودة دنك سياو بينغ إلى السلطة . و الشيء ذاته صحيح فيما يتعلّق بسياسة ماو السامحة لكافة الطبقات التى ساهمت فى الثورة الديمقراطية بأن تساهم فى الحكومة إثر الثورة. كان هذا مظهرا مميّزا حصل فى الصين نتيجة إلتحاق قطاع من البرجوازية المدينية و البرجوازية الوطنية بالعمّال فى الثورة ضد الإمبريالية و الإقطاعية و الرأسمالية البيروقراطية.هذه وقائع تاريخية. لكن مثل هذه السياسة مورست على أساس قيادة الحزب الشيوعي و قبول الأحزاب الأخرى بالإنتقال إلى الإشتراكية. إلاّ أنّ هذا التعايش السلمي الطويل المد و المراقبة المتبادلة بين الحزب الشيوعي و الأحزاب الديمقراطية لم يعجب أنور خوجا.

إنّه ينسى أنّه إثر ثورة أكتوبر فى روسيا ، وُجد حزبان فى الحكومة – البلاشفة و الإشتراكيين الثوريين اليساريين. و لم يكسر التحالف مع الأخيرين إلاّ بعدما تمرّدوا ضد البلاشفة . و حتى فى ألبانيا ، إلى اليوم ، هناك الجبهة الديمقراطية.

و من المفيد فى إرتباط بهذا أن نشير إلى أنّ هذه الفكرة عن إعادة تشكيل و إعادة تربية الطبقات الأخرى تعود تاريخيّا إلى لينين . لقد قال فى " مرض " اليسارية " الطفولي فى الشيوعية" :" لقد بقيت الطبقات وهي ستبقى فى كلّ مكان طوال سنوات بعد ظفر البروليتاريا بالسلطة...إنّ القضاء على الطبقات لا يعنى فقط طرد الملاكين العقاريين و الرأسماليين ، فهذا ما قمنا به نحن بسهولة نسبيّا ، إنّه يعنى كذلك القضاء على منتجى البضائع الصغار ، و هؤلاء لا يمكن طردهم ،و لا يمكن قمعهم، إنّما يلزم أن نتعايش معهم." [مجلد 9 ، المختارات فى 10 مجلّدات، صفحة 460] و هكذا ليست سياسة ماو بأي حال تعبيرا عن ليبراليته.

ويحيلنا أنور خوجا على نقد ستالين و الكومنترن لقيادة الحزب الشيوعي الصيني و ماو تسى تونغ. و حسب رأيه ، يعبّر هذا النقد عن فشل ماو فى تكريس مبادئ الماركسية - اللينينية حول الدور القيادي للبروليتاريا فى الثورة تكريسا متسقا .و الأممية البروليتارية و إستراتيجيا و تكتيك النضال الثوري إلخ. لقد سبق و أن تطرّقنا لبعض هذه النقاط.

صحيح أنّه وجدت خلافات بين الكومنترن و الحزب الشيوعي الصيني. لكن يجب ان نقرّ أنّه تقريبا فى جميع المسائل تأكّد أنّ ماو كان على صواب و ستالين ، و هذا يعدّ فى صالحه، قد كان الأوّل فى الإعتراف بذلك. و بالطبع لم توجد خلافات بين الجانبين بشأن طبيعة الثورة التى إعتبرها الإثنان ديمقراطية برجوازية،و بشأن الدور المفتاح للفلاحين و الثورة الزراعية و كون النضال المسلّح كان الحلّ الوحيد للثورة فى الصين. و من جهته ، إعتبر ماو الإتحاد السوفياتي كوطن للبروليتاريا العالمية و فهم بشكل صحيح الأهمّية التاريخية لثورة أكتوبر و تأثيرها العالمي. لكن ثارت خلافات بصدد مسألة إستراتيجيا و تكتيك الثورة الصينية.

بين 1927 و 1935 ، عبر خطّي كلّ من لي لي سان ووانغ مينغ ، كان تاثير الكومنترن قويّا على مثل هذه القضايا كإفتكاك السلطة بالتوازى فى المدن و ضرورة اللجوء إلى حرب المواقع عوض حرب الأنصار و رفض بناء القواعد الثورية فى الريف. و بالفعل أُطلقت المسيرة الكبرى كطريقة للهروب من حملة التطويق الخامسة لتشان كاي تشاك. و اليوم شرع الرفاق الألبانيون (فى نقاش مع بعثة لحزبنا زارت ألبانيا فى أفريل 1979) فى التقليل من شأن المسيرة الكبرى و أكّدوا أنّه كان من الأفضل لو أنّ الجيش الأحمر قد خاض المعركة حيث كان و تجنّب هذه الخسائر الهائلة.و بالكاد يحتاج المرء لأن يضيف أنّه لو جرى إتباع مثل هذه السياسة لما وجدت ثورة و لا حزب و لا ماو. و يستخفّ الألبانيون أيضا بندوة تسونيى التى إنتخبت ماو للسلطة فى 1935 على أنّها غير ممثّلة. و يتساءل المرء إذا ما كانوا يتوقّعون عقد مؤتمر يكتسى صبغة قانونية و يكون ممثّلا تماما فى خضم أحد أكثر الحروب الأهلية شراسة فى العالم.

فى نهاية الحرب العالمية الثانية ، كذلك ، كانت لستالين خلافات مع الشيوعيين الصينيين. وقد شكّ فى قدرتهم على كسب حرب أهلية شاملة ضد تشان كاي تشاك (الذى كان مسنودا من قبل الإمبرياليون الأمريكان) و حافظ على علاقات مع تشان كاي تشاك حتى أثناء الحرب الأهلية. بيد انّ ستالين كان لطيفا بما فيه الكفاية ليقول إنّه كان فرحا لثبوت خطئه.

و رغم هذه الأخطاء ن لا شكّ فى أنّ ماو إعتبر ستالين ماركسي-لينينيا عظيما و أنّه جوهريّا كان على صواب. و فضلا عن ذلك ، لم يلم ماو الكومنترن و ممثّليه فى الصين على أخطاء الحزب الشيوعي الصيني. فقد وجه اللوم للشيوعيين الصينيين الذين حاولوا أن يتبعوا عن عمى النموذج السوفياتي دون أخذ خصوصيات الوضع الوطني الصيني بعين الإعتبار.

والأنكى من كلّ هذا ، يوحى لنا أنور خوجا بأنّ موقف الشيوعيين الصينيين ضد التحريفية السوفياتية لم يكن تمليه مواقف صحيحة ، مبدئية ماركسية- لينينية. و هذا ليس مجرّد لؤم فحسب بل كذلك غير صحيح تماما. لم يفهم ماو بصورة صحيحة تحريفية خروتشاف منذ 1956 فحسب ، بل فى ظلّ قيادته أطلق الحزب الصيني جدالا عظيما مع نشر " عاشت اللينينية " فى 1960. و هذا الجدال المتشكّل من عديد الرسائل الموجهة للحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي و لبعض الأحزاب التحريفية الأخرى لغرب أوروبا، و اللامعة بوضوح فكرها و عمق محاججتها.وقد درّب هذا الجدال العظيم جيلا كاملا من الماركسيين- اللينينيين عبر العالم على المبادئ و أساليب العمل الثورية. و التنكّر لهذا اليوم هو تحليق بعيدا عن الوقائع.

و يريدنا الآن الألبانيون أن نعتقد بأنّ ماو كان على الدوام مواليا للأمريكان،أو بأنّه غيّر بإستمرار مواقفه. لقد قالوا لبعثتنا إنّه خلال الحرب العالمية الثانية ، وجد فى أمريكا لوبي تشان كاي تشاك و لوبي ماو . و صحيح أنّه وجدت خلافات فى الرأي ضمن الطبقة الحاكمة الأمريكية حول من يجب مساندته فى القتال المشترك ضد الفاشية اليابانية: تشان كاي تشاك ؟ أو ماو؟ وجد أمريكيون شرفاء أرادوا تقديم الدعم للشيوعيين الصينيين لأنهم كانوا القوى الوحيدة التى كانت تقاتل حقّا اليابان،و ليس الكيومنتانغ فى ظلّ تشانكاي تشاك. و هذا لا يعنى أنّ ماو موالى للأمريكان.

كان موقفه إزاء الإمبريالية الأمريكية جلي و صريح. أثناء الحرب العالمية الثانية ، حين غدت الفاشية اليابانية العدوّ الرئيسي للصين ، إستغلّ الحزب الشيوعي الصيني التناقضات بين الفاشية اليابانية و الإمبريالية الأمريكية و دافع عن تحالف مع الأخيرة. لكن بمجرّد نهاية الحرب ضد الفاشية و تعويض الولايات المتحدة للفاشية اليابانية كعدوّ أساسي للصين بمساندتها لتشان كاي تشاك فى حربه الأهلية ضد الشيوعيين، وصف الإمبريالية الأمريكية بالعدوّ الرئيسي الذى يجب إلحاق الهزيمة به قبل أن تتحرّر الصين ز و قد ألحقوا به الهزيمة !

وفى السنوات التالية ، لا أحد بمستطاعه أن يشكّ فى صدق مواقف ماو المناهضة للإمبريالية عندما أرسل المتطوّعين الصينيين إلى كوريا للتصدّى للغزو الأمريكي لتلك البلاد و عندما قدّم مساعدة لا توصف لشعوب الهند الصينية المناضلة ضد الإمبريالية الأمريكية و بالفعل ، لكافة الشعوب المناضلة من أجل إستقلالها. وبيانه الشهير لسنة 1970 المنادى بوحدة كافة القوى المناهضة للإمبريالية الأمريكية و كلابها العملاء، لا زال صداه يتردّد فى آذاننا.

لكن ، فى تلك الفترة ، دخل عنصر جديد الوضع العالمي . بإحتلالها العنيف لتشيكوزلوفاكيا فى 1968، أشّرت التحريفية السوفياتية إلى تطوّرها إلى قوّة إمبريالية إشتراكية. نشأت إمبريالية جديدة و سجّل ماو التغيير فى موازين القوى. و مذّاك فصاعدا صار يعتبر الإمبريالية الإشتراكية السوفياتية إلى جانب الإمبريالية الأمريكية توأما من أعداء الإنسانية. و هذا هو الموقف الذى تشبث به إلى النهاية ، إلى ترأسه آخر مؤتمر للحزب الشيوعي الصيني فى حياته ، المؤتمر العاشر ، فى 24-28 أوت 1973.

و قد تضمّن التقرير الذى تبنّاه المؤتمر هذه الصيغة الممتازة : "على الجبهة العالمية ، يجب على حزبنا أن يرفع راية الأممية البروليتارية ، و يدافع عن السياسات الصريحة لحزبنا و أن يعزّز وحدتنا مع البروليتاريا و الشعوب. و على الأمم المضطهَدة فى العالم بأسره إلى جانب كافة البلدان ضحية عدوان الإمبريالية و إنقلاباتها و تدخلها و هيمنتها أو تهديدها أن تشكّل أوسع جبهة متحدة

ضد الإمبريالية و الإستعمار و الإستعمار الجديد، و خاصّة ، ضد هيمنة القوتين الأعظم ،الولايات المتحدة و الإتحاد السوفياتي. ينبغى أن نتحد مع كافة الأحزاب و التنظيمات الماركسية- اللينينية الحقيقية عبر العالم، وأن نخوض النضال إلى النهاية ضد التحريفية المعاصرة."

و من المفيد أن نلمح إلى أنّه لا توجد و لا إشارة إلى نظرية العوالم الثلاثة فى هذا التقرير. و إنّه لمحض تشويه من قبل الألبانيين أن يقولوا الآن إنّ ماو فى مرحلة ما إعتبر الإمبريالية الإشتراكية عدوّا أساسيا و من ثمة ، نادى إلى تفاهم أو تحالف مع الإمبريالية الأمريكية. هذه من الفظائع التى جاد بها ذهن دنك و لا علاقة لها بماو.

و هكذا ندحض بحماس الأطروحة القائلة بأنّ نظرية العوالم الثلاثة المناهضة للماركسية- اللينينية كانت من إنتاج فكر ماو تسى تونغ. ما من دليل مهما كان يثبت مثل هذه الإمكانية. الرفيق ماو قائد عبّر عن وجهة نظره بصدد تقريبا جميع المواضيع الممكن تصوّرها و التى صادفته. و واقع أنّ دعاة نظرية العوالم الثلاثة ليس بوسعهم أن يعثروا على إستشهاد واحد لدى ماو يدعّم هذه النظرية العبثيّة يكفى كحجّة على أنّه لم يدع أبدا لوحدة العالم الثاني مع العالم الثالث ضد العالم الأوّل، و أنكى حتّى ، يدعو لوحدة العالم الثاني و الثالث إلى جانب جزء من العالم الأوّل ضد الجزء الآخر.

إنّ الأسلوب المفضّل الذى يعمد إليه أنور خوجا ، على مدى كامل كتابه، هو أن ينسب لماو وجهات نظر ليست له ثمّ يشرع فى تحطيمها . هذه أكثر طرق الجدال خسّة.

لسوء الحظّ أنّه علينا أن نخصّص الكثير من الوقت و المساحات لدحض أنور خوجا . إلاّ أنّ هذا ، فلى حدّ ذاته، تدريب على الماركسية - اللينينية شأنه فى ذلك شأن الجدال بين الماركسية- اللينينية و التحريفية المعاصرة الذى أضحى مدرسة لكلّ الماركسيين- اللينينيين، لذا يمثّل اليوم الدفاع عن فكر ماو تسى تونغ تدريبا على الماركسية - اللينينية.

يجب على الحركة الشيوعية العالمية أن تتحد و ستتّحد من جديد و تتجه صوب الإنتصار. بيد أنّه ينبغى أن تكون الوحدة وحدة مبدئيّة – وحدة بين الثوريين المعتمدين على الماركسية- اللينينية - فكر ماو تسى تونغ [الماوية ،الآن].

-3-

===

تقييم عمل ماو تسى تونغ

(الحزب الشيوعي الثوري الشيلي- جويلية 1979 ، نشر بالأنجليزية فى مجلة " الثورة " نهاية 1979، مجلة الحزب الشيوعي الثوري ،الولايات المتحدة الأمريكية)

منذ الحرب العالمية الثانية ، عرفت الحركة الشيوعية العالمية و العالم الإشتراكي أزمة خطيرة إذ أن تقريبا كافة الأحزاب التى إنتمت إلى هذه الحركة إتبعت بشكل سافر خطا تحريفيا . و أعيد تركيز الرأسمالية فى تقريبا جميع البلدان التى شرع فيها فى بناء الإشتراكية أو هي بصدد إعادة تركيز الرأسمالية مثلما يحدث بالصين .لقد تم تحويل الإتحاد السوفياتي ، أول بلد إفتكت فيه البروليتاريا السلطة ، ليس فقط إلى دولة ذات نظام رأسمالي و إنما أيضا إلى قوة إمبريالية عظمى وهي راهنا أحد أهمّ أعداء شعوب العالم .

إن مستقبل الحركة الماركسية – اللينينية و الشيوعية العالمية مرتبط بصحة تحاليل الشيوعيين الأصيلين لأساس أسباب هذا التراجع الهائل و الشديد الخطورة و الأهمية بالنسبة إلى الحركة البروليتارية الثورية . ما حصل يؤكد الطبيعة الجدلية لكل التطورات فالإشتراكية و الماركسية لا يتقدمان فى طريق مستقيم و إنما ككافة السيرورات ، تتقدم الماركسية عن طريق التناقضات و صراع الخطين ، معارضة شتى الأشكال التى تتبناها البرجوازية و البرجوازية الصغيرة ، و تتقدم الإشتراكية من خلال الصراع الطبقي مواجهة البرجوازية القديمة و البرجوازية الجديدة التى تنشأ داخل الإشتراكية ذاتها و بالذات داخل الحزب الطليعي .

من المهم إعتبار أن الصراع الطبقي فى ظل الإشتراكية يتخذ عمقا غير مسبوق لأن المسألة ليست مسألة تعويض طبقة بطبقة أخرى كما فى الأنظمة السابقة لكن يتعلق الأمر بالأحرى بالقضاء على الطبقات ذاتها فى المجتمع بجميع مظاهرها الإيديولوجية لأجل التقدم صوب الشيوعية ، المجتمع الخالي من الطبقات . و أهم ما ينبغى تحليله فى ما حصل هو تبيان من خان الماركسية و كيف و

كذلك تبيان الأخطاء التى إرتكبها الماركسيون الحقيقيون فى الصراع ضد الخونة . و مثل هذا التحليل الذى هو ذاته نقدا و نقدا ذاتيا ، سيبيّن أن كل من الماركسيين الحقيقيين و الإشتراكية الحقيقية لم يخفقا فى هدفهما فى التقدم نحو المجتمع الخالى من الطبقات ، الشيوعية . فى مواجهتهم للخطوط البرجوازية و للبرجوازية القديمة منها و الجديدة ، لم يخسروا سوى معركة فحسب فى مرحلة الإنتقال إلى الشيوعية . و سيكون هذا التحليل بكشفه عن الأخطاء التى إرتكبها الثوريون و تحريفات الماركسية التى أدخلها التحريفيون ، سيكون ردا شافيا على منظّرى البرجوازية الذين ، عبر إبرازهم لكيف أن التحريفيين تخلوا عن الأسس الرئيسية للماركسية ، و عبر تقديم نظام الدول الرأسمالية المضطهِدة على أنها" إشتراكية " يدّعون أن الماركسية و الإشتراكية أخفقتا . إن تحليلا لما حدث سيعيد الثقة فى الماركسية و الإشتراكية ، هذه الثقة التى فقدتها قطاعات عريضة من الناس بفعل خيانة التحريفيين لكلاهما . و مجددا ستُسلح البروليتاريا و شعوب العالم بالنظرية العلمية و الثورية الوحيدة بما يمكنهم من القضاء على الإستغلال .

و مظهر هام من تحليل ما حصل يترتب على الماركسيين-اللينينيين تسليط الضوء عليه هو سيرورة الصراع الطبقي و صراع الخطين فى الصين و التى إنتهت مؤقتا إلى إنقلاب القطاعات الباحثة عن إعادة تركيز الرأسمالية هناك و تحويل الصين إلى قوة إمبريالية عظمى . و يكتسى هذا البحث و التحليل لما وقع فى الصين دلالة خاصة ليس فحسب لأنه يعنى رُبع البشرية و لكن أيضا لأن فى ذلك البلد ، طوال 20 سنة تقريبا ، نشب صراع مديد بقيادة ماو تسى تونغ و الماركسيين اللينينيين الصينيين ضد الخط التحريفي الذى فرض نفسه فى كافة الأحزاب الشيوعية تقريبا بعد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، و ضد إعادة تركيز الرأسمالية .

و لا يمكن إجراء أي بحث أو تحليل للأحداث فى الصين دون تقييم أعمال ماو تسى تونغ و أفكاره ذلك أنه نهض بدور ريادي لا فقط فى تلك السيرورة الثورية و لكن أيضا فى الحركة الشيوعية العالمية . و إعتبارا لأهمية إستيعاب ما جدّ فى الصين وتقييم ماو تسى تونغ بالنسبة لشعبنا و لشعوب أمريكا اللاتينية و العالم عامة ، قرّر الحزب الشيوعي الثوري الشيلي أن ينشر نتائج بحوثه بهذا المضمار و بإختصار المساهمة فى النقاش الدائر رحاه عالميا . إن حزبنا بالرغم من عدم إمتلاكه لكافة المعلومات التى من الأجدى إمتلاكها عند تحليل هذه الأحداث و تقييمها ، فإنه لا ينطلق من الجهل التام و لا من أفكار مسبقة سلبية حول التنظيرات الثورية فى الصين و دور ماو تسى تونغ : كانت مساندتنا للثورة الصينية و لأفكار ماو تسى تونغ التى قادتها قائمة على معرفة ملموسة لهذه الثورة و الأفكار التى قادتها و على إستخدامنا لهذه التجارب و الأفكار فى صراعنا الثوري الخاص ضد التحريفية .

إننا نعتقد أنه حتى نجري تحليلا صحيحا و مبدئيا للتجربة الصينية و لأفكار ماو تسى تونغ دون السقوط فى التأويل البراغماتي الذى يحكم على صلوحية هذه التجارب و الأفكار على أساس هزيمتها المؤقتة أو السقوط فى المثالية و التأويل الماورائي اللذان لا يأخذان بعين الإعتبار التطوّر الواقعي للصراع الطبقي و التناقضات الموضوعية ، فإنه من الضروري عقد مقارنة لفكر ماو تسى تونغ الذى قاد هذه الأفكار و هذه التجربة مع المبادئ الجوهرية للماركسية-اللينينية ، و من الضروري الحكم عليه فى إرتباط بتلك المبادئ و تطبيقها على الواقع الملموس للصين و تطويربعض مظاهر هذه المبادئ من جهة ، و من جهة أخرى ، الحكم عليه فى إرتباط بالصعوبات الموضوعية المواجهة عند تطبيقها على واقع المجتمع الصيني المعقد . تسمح كلا المقارنتان بتقييم الدور الذى لعبته الأخطاء فى التطبيق أو الإنحرافات الممكنةعن الماركسية فى الهزيمة المؤقتة التى منيت بها الثورة الصينية و كذلك الدور الذى لعبته الصعوبات الموضوعية التى حالت دون نجاح تطوّر تلك السيرورة الثورية .

وهو يحلل أفكار ماو تسى تونغ ، يتعرّض المرء إلى صعوبة خاصة فيما يتعلق بتلك الأعمال التى نشرت بصفة غير رسمية خلال الثورة الثقافية و المجلد الخامس من أعماله الذى نشر بعد وفاته من قبل الجماعة التحريفية التى تمسك الآن بالسلطة . و من الممكن أن تستعمل الأفكار الثورية أيضا بروح طبقية رجعية و أن يستشهد بها خارج الإطار ، فتحوّر أو تدلس بصيغة مفضوحة . هذا بالضبط ما يقوم به التحريفيون تجاه الماركسية . و لينين فى مؤلفه "الدولة و الثورة" ، شرع فى تحليل هذه القضية ، قضية التحريف المقصود لأفكار المفكرين الثوريين من جانب البرجوازية و كذلك من جانب مدعى الثورية الذين يستخدمون هيبتهم لغرض مغالطة الجماهير . و إتخذ هذا العمل شكلا كثيفا لا سيما فيما يتصل بفكر ماو تسى تونغ نظرا لعظمة أفكاره و كذلك لعظمته كقائد لثورة ربع البشرية و كمنظر عبقري و قائد للثورة البروليتارية العالمية .

وكان على ماو تسى تونغ نفسه (شأنه فى ذلك شأن المنظرين الماركسيين الكبار الآخرين) أن ينبه إلى مثل هذه التحريفات و يصارعها فى عدة مناسبات . إن مثل هذه التشويهات لا تشكك بأية صفة فى أعماله بل بالعكس تبيّن بوضوح معناها الثوري و كره الرجعية و الإنتهازية لها . و من الجلي مثلا أن فى المجلد الخامس هنالك إختلافات بيّنة مقارنة مع طبعات أخرى من هذه المواد التى صارت معروفة خلال الثورة الثقافية ، حذف و طبعات مشكوك فى أمرها و غياب جمل و حتى فقرات.

و يمكن أن نشيرإلى عديد الأمثال التى تجعل المرء يفكّر أنه فى حين أن المجلد الخامس و أعمال أخرى نشرت بعد وفاة ماو تتضمن بعضا من أفكار ماو ، فإنها أيضا تتضمن تشويهات عديدة و أحيانا تشويهات خارقة .

إذن ، آخذين بعين النظر الروح الرجعية للجماعة التى تحكم الآن الصين و التى حاربها ماو طوال حياته ، و التى بيّنت بعدُ خطوة خطوة أنها تكرّس خطة للقضاء على أفكاره و مآثره (وقوفها ضد سياسات طبقها ماو ، ضد القفزة الكبرى إلى الأمام و ضد الثورة الثقافية و ضد قرارات تحديد الحق البرجوازي و القضاء عليه ، فضلا عن إعادتها الإعتبار لعدد كبير من المعادين للثورة الذى عارضوه إلخ) ، يبدو لنا غير منصف تماما أن نستخدم دون تفكير نقدي ، فهم تلك الجماعة لكتابات ماو تسى تونغ لنقد أفكاره .

لم يقبل حزبنا هذه الوثائق ما عدا تلك المفاهيم المنسجمة مع أعماله ككل ، هو موقف إتخذه حتى الأكاديميون المختصون فى تاريخ الصين الذين بذلوا الجهد كله للحفاظ على سمعتهم و على الموضوعية و الذين لم يقبلوا صحة جميع النصوص . و يجب أن نضيف أن حتى هذه التشويهات التحريفية المقامة بغرض إستغلال عظمة ماو لأغراض خاصة ، يمكن أن تحجب المضمون الأساسي الصحيح و الثوري لأفكاره الموجودة فى كتاباته .

إلى جانب الإحتياطات اللازمة فى تحليل أفكار ماو تسى تونغ (لكي لا ننسب له التحريفات) ، فإنه يتعين على البحث فى المصاعب الموضوعية التى واجهها تطبيقها أن يؤسس على المادية الجدلية . فنحن نرى هنالك مظهرين جوهريين يجب أخذهما بعين الإعتبار حتى يكون مثل هذا التحليل مرتكزا على المادية و الجدلية . من اللازم ، من جهة تحليل تلك السيرورة فى الظرف الأممي الذى ضمنه تطوّرت مراحلها المختلفة ، و من جهة أخرى ، من اللازم عدم إغفال خصوصيات المجتمع الصينين و التناقضات – موضوعيا و ذاتيا – التى شهدتها تلك السيرورة ، و إلا سيسقط المرء فى تحاليل أحادية الجانب ، ميتافيزيقية و مثالية ، معتبرا ماو مثلا " ذو قوة لا نهاية لها " و هكذا نسب كل ما حدث فى الصين إليه و بالتالى التفتيش فى كتاباته بصورة مغرضة لإيجاد صيغ يمكن أن تبدو كأنها تفسّر المجرى الرجعي الذى إتخذته السياسة فى ذلك البلد و حتى نسب النظريات المعادية للماركسية صراحة إلى ماو (على غرار نظرية " العوالم الثلاث ") التى هي فى تناقض كامل مع رؤاه و التى لم يصغها لا فى كتاباته و لا فى خطاباته .

فى تقديرنا ، أهم النتائج الجدية لتحليل غير صائب ليس فقط فقدان أحد أعظم القادة الثوريين و لكن أيضا إنكار المساهمات الهامة لماو فى تطبيق الماركسية –اللينينية و تطويرها ، سواء فى قيادته الصراع من أجل الثورة أو فى نضاله ضد التحريفية العالمية و من أجل بناء الإشتراكية و تعزيزها.

1/ مسألة بلترة الحزب :

نعتقد أن أول أهم المشاكل التى تعترضنا و التى يجب أخذها بنظر الإعتبار فى الحكم على الصعوبات التى واجهها الماركسيون – اللينينيون الصينيون هي التركيبة الطبقية للبلد غداة تأسيس الحزب الشيوعي الصيني ، هي أن عدد العمال الصناعيين يساوى تقريبا مليون و نصف المليون نسمة من ضمن سكان البلد الذين يعدون 427 مليون نسمة . و من هؤلاء العمال أكثر من 70 بالمائة كانوا يعملون فى الصناعات الخفيفة و النقل . و كانت الطبقة العاملة الصناعية إذن تمثّل أقل من 4 بالمائة من العدد الجملي للسكان مع أكثر بقليل من 1 بالمائة يشتغلون بمصانع تحويل النبات . فى 1939 ، عشر سنوات قبل إفتكاك السلطة ، كان ثمة فقط أكثر بقليل من مليونين و نصف المليون من العمال يشتغلون فى مصانع متطورة حقا ، و هذا يعنى نسبة 5 بالمائة فقط من مجموع السكان .

و فى 1949 ، سنة التحرير ، كان هنالك ثلاث ملايين عامل صناعي من ما يقارب الخمسة ملايين ساكن ، بمعنى أكثر بقليل من 5 بالمائة .

هنا نلاحظ تناقضا عملاقا ينبغى معالجته حتى تُقاد الثورة على نحو صحيح و نقصد تشكيل حزب قيادي – طليعة البروليتاريا- قادر على قيادة مئات الملايين من الناس ، فى بلد كانت فيه البروليتاريا ضعيفة للغاية و كان لزاما تعبئة و قيادة هذه المئات من الملايين فى المراحل المختلفة من الحرب الأهلية و أيضا فى الحرب ضد الغزو الإمبريالي الياباني و الهيمنة على الصين من قبل قوى إمبريالية أخرى ، كان لزاما فى فترات معينة قيادة و إدارة مناطق محررة كانت سنة 1945 تضم حوالي مائة مليون ساكن و قيادة جيش كان يعد سنة 1946 مليونين و نصف مليون مقاتل . دون شك ، كان كل هذا يتطلب حزبا كثيرالمنخرطين و جذورا عميقة فى صفوف الجماهير . و لم يكن ممكنا لهذا الحزب أن يتشكل بالضرورة غالبيا من العمال نظرا لضعف تطور تلك الطبقة فى الصين . و فى أفريل 1945 ، حين أنجز المؤتمر السابع للحزب الشيوعي الصيني ، كان عدد المنخرطين 1.21 مليون و بلغ سنة 1947 2.7 مليون و بعد التحرير ، سنة 1951 كان عدد المنخرطين 5.8 مليون بينما بلغ عدد أفراد الطبقة العاملة ككل هذا الرقم تقريبا فى السنة الموالية . و فى 1956 ، سنة المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني ، كان المنخرطون يمثلون أكثر من 10.7 مليون منخرط و منخرطة وهو رقم يتجاوز بما يفوت المليون العدد الجملي للعمال الصناعيين تلك السنة و لكنه لم يكن يمثّل إلا 1.74 من جملة السكان . و فى سنة 1958 ، مع بداية القفزة الكبرى إلى الأمام (و هذه إحدى مآثر تلك المبادرة) تصاعد عدد العمال من 12 مليونا تقريبا فى 1957 إلى أكثر من عشرين مليونا .

بيد أن هذاالعدد تقلص فى سنوات 1959-1961 بسبب الآفات الطبيعية حينها و بسبب تخريب التحريفيين السوفيات و الصينيين للمشاريع . و لا يمثل هذا العدد الأقصى مع ذلك سوى 4 بالمائة من السكان . و فى روسيا بالعكس ، 14 سنة قبل ثورة أكتوبر إعتمادا على الأرقام التى قدمها لينين فى كتابه " تطور الرأسمالية فى روسيا "، كان هنالك 2.8 مليون عامل فى الصناعة و السكك و التعدين و المناجم ، بمعنى 2 بالمائة من إجمالي السكان فى ذلك الوقت (عرض على أساس إحصائيات 1897) .

وعنى ضعف التطور فى الصين و بالتالى ضعف البروليتاريا بعد الإصلاح الزراعي هيمنة شريحة البرجوازية الصغيرة بلا منازع على سكان البلاد . و بالفعل ، فى 1954 ، كانت البرجوازية الصغيرة تعدّ 30 بالمائة من السكان الفلاحين وهو ما يعادل150 مليون نسمة . و صارت بقية السكان الفلاحين ، حوالي 350 مليون نسمة ، و ضمنهم بروليتاريا و أشباه بروليتريا و فقراء الريف ، إلى ملاكين صغار عندما تحصلوا على الأرض. و يضاف إلى هذه الجماهير العريضة من الفلاحين البرجوازيين الصغار حوالي 50 مليون تاجر صغير و حرفيين و موظفين و مثقفين و طلبة إلخ ذوى طابع مدني .

لذلك إضطر ماو تسى تونغ و الماركسيون اللينينيون الصينيون إلى بناء حزب عريض جدا ، كانوا فى حاجة إليه ، دون أن يكونوا قادرين على جلب القسم الأعظم من منخرطيه من البروليتاريا . ففى سنة 1956 و هي السنة التى تمثّل المرور إلى البناء الإشتراكي ، كان الحزب الشيوعي الصيني يعدّ 1.502.814 منخرط عمالي ما قدره 14 بالمائة فقط من جملة المنخرطين ال 7.491.459 الذين ينقسمون إلى 69 بالمائة من أصل فلاحي و1.255.923 أو 11,7 بالمائة من منخرطيه هم من المثقفين و 558.188 أي 5.2 بالمائة ينحدرون من مواقع إجتماعية مختلفة .

لمعالجة هذا التناقض الجاد لم يكن فى وسع ماو و الماركسيين –اللينينيين الصينيين إلا أن يطبقوا (و قد طبقوا) الإجراءات التالية :

1- أقصى الجهود لتعزيز إيديولوجيا البروليتاريا الماركسية –اللينينية فى صفوف الحزب .

2- النضال الإيديولوجي ضد المظاهر البرجوازية و البرجوازية الصغيرة فى الحزب و القضاء على التكتلات المعادية للحزب التى تجمعت حول تلك الأفكار .

3- القيام بحملات متصلة لإصلاح طريقة العمل و النقد و النقد الذاتي لإصلاح المناهج و الأفكار الخاطئة .

4- تيسير إنتماء العمال إلى الحزب والتضييق (خاصة بعد إنتصار الثورة) على شرائح إجتماعية أخرى فى الإنتماء إليه.

كانت هذه هي إمكانيات معالجة هذا التناقض. و ثمة أدلة قاطعة على ان ماو تسى تونغ و الماركسيون –اللينينيون الصينيون مارسوها بكثافة . هل يمكن أن يوجد إنسان يدافع عن أنه نظرا لأن التركيبة الطبقية كانت غير مناسبة (لتاخر الصين) ، كان لزاما أن لا تنجز الثورة إلى حين أن يوجد تطور الرأسمالية بروليتاريا متقدمة و كثيفة العدد ؟؟؟ إن حزبنا يرى أن هذا البديل غير مقبول و أن واحد من مآثر ماو تسى تونغ الكبرى و الثوار الصينيون هو تحقيق الثورة الديمقراطية الشعبية و الثورة الإشتراكية فى ظل هذه الظروف المعقدة للغاية .

و فيما يتصل بنشر الماركسية ، كان ماو تسى تونغ من بداية الثورة إلى وفاته يؤكد على الدوام على ضرورة تعويل الحزب الشيوعي الصيني (و ليس فقط الحزب بل أيضا الجماهير ذاتها) على الماركسية - اللينينية . و قد شجع إجراءات ملموسة بهذا الصدد .

و شهدت هذه السيرورة من إستيعاب الماركسية فى الصين صعوبات موضوعية جمة مترافقة مع هذا العدد الضخم من السكان و الحجم الكبير للبلد و المستوى الثقافي المتدنى و الموروث من النظام القمعي الإستعماري و شبه الإقطاعي حيث كانت نسبة الأميين عالية ضمن الجماهير و منخرطي الحزب خلال مراحل هامة من السيرورة الثورية و كانت العراقيل الملازمة للغة الصينية تمنع ترجمة النصوص الماركسية الكلاسيكية و فهمها. فكان لمؤلفات ماو تسى تونغ دور غاية فى الأهمية فى تجاوز هذه العراقيل ، هذه المؤلفات التى تطبق مبادئ الماركسية على واقع الصين فى لغة واضحة و بسيطة ، مستعملة صورا و رموزا من الثقافة الصينية دون تحوير جوهرها .

2/ دور الإيديولوجيا الماركسية - اللينينية :

فيما يتعلق بالماركسية - اللينينية لم يشجع ماو تسى تونغ فقط إنتشارها بل نادى بإستمرار إلى إستعمالها لا بطريقة دغمائية و إنما كأداة تحليل للواقع الصيني الملموس . و فى 1938 ، فى مؤلفه " دور الحزب الشيوعي الصيني فى الحرب الوطنية " أشار ماو إلى أنه :

" إذا تحدثنا بصورة عامة فيجب على جميع أعضاء الحزب الشيوعي الذين يملكون قدرة معينة على البحث و الدراسة أن يدرسوا نظرية ماركس و إنجلز و لينين و ستالين ن و تاريخ أمتنا ، و أوضاع الحركات الراهنة و إتجاهاتها ، و فضلا عن ذلك فإنه يجب على هؤلاء الرفاق أن يساعدوا فى تثقيف أعضاء الحزب الذين هم على مستوى تعليمي منخفض . و إذا تحدثنا بصورة خاصة فيجب على الكوادر أن يولوا إهتماما خاصا لدراسة المواضيع المذكورة أعلاه ، و يجب على أعضاء اللجنة المركزية و كبار الكوادر على وجه الخصوص أن يعيروها إهتماما أكبر . إنه يستحيل على حزب سياسي يقود حركة ثورية كبرى أن يحقق النصر إذا لم يكن مسلحا بالنظرية الثورية و لا ملما بمعرفة التاريخ و لم يكن لديه فهم عميق للظروف الفعلية للحركة .

إن نظرية ماركس و إنجلز و لينين و ستالين هي نظرية صالحة للعالم أجمع . فلا يجوز لنا أن نعتبر نظريتهم عقيدة جامدة بل علينا أن نعتبرها مرشدا للعمل . و لا يجوز لنا أن نكتفي بمجرد تعلم بعض العبارات و الأقوال من كتب الماركسية -اللينينية ، بل يجب أن ندرس الماركسية - اللينينية بوصفها علم الثورة . كما أنه لا يجوز لنا أن نكتفي بمجرد فهم النتائج الخاصة بالقوانين العامة التى توصل إليها ماركس و إنجلز و لينين و ستالين من دراستهم لمختلف جوانب الحياة الواقعية و للتجارب الثورية ، بل يجب كذلك أن نتعلم منهم موقفهم الطبقي و طريقتهم فى النظر إلى القضايا و فى حلها . إن معرفة حزبنا بالماركسية- اللينينية قد إزدادت اليوم إلى حد ما بالمقارنة مع ما مضى ، بيد أن معرفته لا تبرح بعيدة عن الإتساع و العمق. إن مهمتنا هي قيادة أمة كبيرة تعدادها مئات الملايين من أجل خوض نضال عظيم لم يسبق له مثيل . و لذا فإن مهمة دراسة النظرية الماركسية - اللينينية على نطاق واسع و بصورة عميقة هي بالنسبة إلينا قضية كبرى ينبغى حلها سريعا و لا يمكن حلها إلا بواسطة الجهود المركزة . و إنى لآمل أن تجري بعد هذه الدورة العامة للجنة المركزية مباراة فى الدراسة يشترك فيها جميع أعضاء الحزب ، لنرى من يستطيع حقا أن يستوعب شيئا من هذه النظرية و من يتعلم أكثر و بصورة أفضل . و إنطلاقا من أننا نتحمل المسؤولية الرئيسية فى القيادة نرى أنه إذا ملك حزبنا مائة أو مائتين من الرفاق الذين إستوعبوا الماركسية - اللينينية بصورة منهجية و ليست جزئية و كذلك بصورة حقيقية و ليست جوفاء ، فإن قدرة حزبنا الكفاحية ترتفع إلى حد كبير و تتحقق مهمتنا فى قهر الإمبريالية اليابانية بصورة أسرع . "

ثم يقوال ماو، رابطا المضمون الأممي للماركسية بالخصوصيات الصينية : " لا نستطيع أن نطبق الماركسية بنجاح إلا إذا ربطناها بالخصائص المحددة ببلادنا ووضعناها فى قالب وطني محدد . " (صفحة 291-292 ، " مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " المجلد 2 ، الطبعة العربية).

و فى هذا يطبق بصدق تعاليم لينين الذى يشير فى كتابه " مرض "اليسارية" الطفولي فى الشيوعية " :

" و مع ان حركة العمال فى كل مكان تجتاز ، من حيث جوهر الأمر ، مدرسة واحدة تمهيدية للإنتصارعلى البرجوازية ، تتطور هذه الحركة فى كل بلاد حسب طريقتها الخاصة . "

و إثر ذلك : " فى كل مكان يبرز عدم الرضا من الأممية الثانية و يتسع و ينمو ، و ذلك سواء بسبب إنتهازيتها أو بسبب أنها ليست لديها القدرة أو القابلية لإيجاد مركز مكثف حقا ، و قيادي حقا ، و كفء لتوجيه تكتيك البروليتاريا الثورية العالمي فى نضالها من أجل جمهورية سوفيتية عالمية . إن من الضروري أن ندرك بجلاء أن مثل هذا المركز القيادي لا يمكن بأية حال أو نوجده على أساس قولبة القواعد التكتيكية للنضال و تسويتها و توحيدها بصورة جامدة . فما دامت الفوارق من حيث القوميات و الدول موجودة بين الشعوب و البلدان ، و هذه الفوارق ستبقى زمنا طويلا و طويلا جدا ، حتى بعد تحقيق ديكتاتورية البروليتاريا فى النطاق العالمي ، فإن وحدة التكتيك العالمي للحركة العمالية الشيوعية فى جميع البلدان لا تتطلب إزالة التنوع ، و لا إستئصال الفوارق القومية (الأمر الذى ليس فى اللحظة الراهنة إلا أضغاث أحلام) ، بل تتطلب تطبيق المبدئين الأساسيين للشيوعية (السلطة السوفياتية و ديكتاتورية البروليتاريا) بشكل يعدّل بصورة صحيحة هذين المبدئين ، فى الجزئيات و يجعلهما يتلاءمان و ينسجمان بصورة صحيحة مع الفوارق القومية و الفوارق بين الدول . إن الواجب الرئيسي فى اللحظة التاريخية التى تجتازها جميع البلدان المتقدمة (و ليس المتقدمة وحده) هو إستقصاء و دراسة و تمحيص و إستقراء و إستيعاب المميزات القومية و الخصائص القومية فى الأساليب الملموسة التى يتخذها كل بلد لحل المهمة الأممية الواحدة ، و الإنتصار على الإنتهازية و العقائدية اليسارية فى داخل الحركة العمالية ، و لإسقاط البرجوازية، و تأسيس الجمهورية السوفياتية و دكتاتورية البروليتاريا . " ("بعض الإستنتاجات 10" ، "لينين المختارات فى 10 أجزاء ، المجلد9 ، 519-520-521) .

و فى 1941 ، أثناء تجمع كوادر عقد فى إرتباط بحملة تصحيح قامت فى ينان ، أكّد ماو معترفا بمساهمات الماركسية فى الثورة الصينية :

" إن السنوات العشرين من عمر الحزب الشيوعي الصيني إنما هي عشرون عاما أصبحت الحقيقة العامة للماركسية -اللينينية خلالها فى إندماج متزايد مع الممارسة العملية للثورة الصينية . و إذا عدنا بذاكرتنا إلى مدى ما كانت عليه معرفتنا بالماركسية - اللينينية و الثورة الصينية من سطحية و فقر خلال مرحلة طفولة حزبنا ، لوجدنا الآن معرفتنا هذه تزايدت بكثير عمقا و غنى . و طوال المائة عام الأخيرة ناضل خيرة أبناء الأمة الصينية المنكوبة مضحين بأرواحهم فكلما سقط أحدهم أخذ مكانه الآخر ، و ذلك من أجل البحث عن الحقيقة التى تقود إلى إنقاذ الوطن و الشعب ، و إن هذا ليهز قلوبنا فخرا و يدمع عيوننا حزنا . و لكننا لم نجد الماركسية - اللينينية - أسمى الحقائق كأفضل الأسلحة لتحرير أمتنا ، إلا بعد الحرب العالمية الأولى و ثورة أكتوبر فى روسيا ، فالحزب الشيوعي الصيني هو رائد و ناشر و منظم فى إستخدام هذا السلاح . و لم تكد الحقيقة العامة للماركسية - اللينينية ترتبط بالممارسة العملية للثورة الصينية حتى أضيفت ملامح جديدة كل الجدة على الثورة الصينية. منذ إندلاع حرب المقاومة ضد اليابان قد خطا حزبنا خطوة فى دراسته ، على ضوء الحقيقة العامة للماركسية - اللينينية ، حول الممارسة العملية لهذه الحرب و حول الصين و العالم فى الوقت الراهن ، و قد تم الشروع بصورة أولية فى دراسة التاريخ الصيني . و كل هذا بأجمعه ظواهر رائعة . " ("فلنصلح دراستنا" ، المجلد 3 ، صفحة 19-20) .

و فى السنة الموالية ، (1942) فى مدرسة الحرب التابعة للجنة المركزية ، كجزء من إحدى الحملات لتقويم أسلوب العمل بهدف البلترة الإيديولوجة للحزب ، لاحظ :

" و لنسأل فى بادئ الأمر : هل مستوى حزبنا النظري مرتفع فى الحقيقة أم منخفض ؟ لقد ترجم المزيد من المؤلفات الماركسية - اللينينية فى الفترة الأخيرة ، كما إزداد عدد من يقبلون على قراءتها . و هذا أمر جيد جدا . لكن هل يمكننا أن نقول لذلك أن مستوى حزبنا النظري قد إرتفع إلى حد بعيد ؟ صحيح ، إن مستوانا النظري قد أصبح أعلى بقليل مما كان عليه . لكنا إذا نظرنا إلى المحتوى الغني الذى تحمله الحركة الثورية الصينية وجدنا أن جبهتنا النظرية أبعد ما تكون عن الإنسجام مع ذلك المحتوى ، و إذا أجرينا مقارنة بين الإثنين يبدو لنا أن الجانب النظري متخلف كثيرا . و على الدوام ، فإن نظريتنا لا تزال عاجزة عن مسايرة ممارستنا الثورية ، ناهيك عن أن تسير أمام هذه الممارسة كما هو واجب عليها . إننا لم نرتق بعد بممارستنا الغنية إلى المستوى النظري المطلوب ." (" فلنقوم أسلوب الحزب " ، المجلد 3 ، صفحة 46).

و غداة إنتصار الثورة ، فى جوان 1949 ، مرة أخرى ، يقدّم ماو فى مؤلفه " حول الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية " إعترافا بالدور الذى لعبته الماركسية فى الإنتصارات التى تحققت ، إنتصارات مثّلت واحدة من أكبر الملاحم فى التاريخ الثوري :

" إن حزبنا يبلغ ال 28 من عمره ، و كما يعلم الجميع ، لم يجتز الحزب هذه السنوات فى سلم ، بل فى ظروف عصيبة ، فقد كان علينا أن نحارب أعداء من الداخل و من الخارج و أعداء فى داخل الحزب و خارجه ، نحن ممتنون لماركس و إنجلز و لينين وستالين على إعطائنا سلاحا . و هذا السلاح ليس الرشاش بل الماركسية - اللينينية. " (مجلد 4 ، صفحة 520) .

وفى مارس 1955 ، فى ندوة وطنية للحزب الشيوعي الصيني ، أكّد مرّة أخرى على ضرورة دراسة الماركسية-اللينينية:

" من واجبنا نشر المادية الجدلية بين الخمسة ملايين مثقف داخل و خارج الحزب و بين الكوادر فى كل المستويات حتى يستوعبوها و يناضلوا ضد المثالية ، و من واجبنا حينذاك أن نكون قادرين على تنظيم جسم قوي من العمال النظريين ، وهو جسم نحن فى حاجة ماسة له . و هذا بدروه سيكون رائعا.

ينبغى أن نرسم مخططا لتكوين مثل هذا الجسم المتكون من عديد ملايين الناس ينكبون على دراسة المادية الجدلية و المادية التاريخية و الأسس النظرية للماركسية و يحاربون جميع مظاهر المثالية و المادية الميكانيكية . الآن ثمة العديد من الكوادر بصدد القيام بالعمل النظري و لكن ليس هنالك إلى حدّ الآن جسم من العمال النظريين ، و أقل من ذلك جسم صلب . دون هذا الجسم لا يمكن لقضية كل الحزب و التصنيع الإشتراكي و التحويل الإشتراكي للبلد و تعصير دفاعنا الوطني و بحوثنا فى الطاقة النووية التقدم أو النجاح ."

و فى سنة 1957 ، نظمت حملة تصحيح بهدف تعبئة الجماهير لنقد الأفكار و الممارسات الرجعية التى إندلعت فى الصين نتيجة أحداث المجر و هجمات خروتشاف على ستالين . سمح ماو تسى تونغ للقوى اليمينية من صفوف البرجوازية الوطنية و المثقفين و شرائح أخرى بالتعبير عن آرائها لمدة محدودة حتى فى الصحافة بغاية جعلها تبرز أفكارها الرجعية و تعريتها أمام الشعب و تاليا قام بهجوم مضاد ضدهم :" بصورة عامة ستكون الأطروحات المعادية للثورة ممنوعة غير أنه إذا ما تقدموا بها لا فى شكل معاد للثورة بل تحت قناع ثوري ، سيكون علينا أن نسمح بوجودها مما سيساعدنا على رؤية هذه الأطروحات كما هي حقا و تنظيم حملات نضال ضدها ."

فكانت النتيجة أكبر معركة أقيمت ضد الأفكار الرجعية فى نفس الوقت مع تنظيم حملة تدريب على الإيديولوجيا البروليتارية الماركسية - اللينينية . و قال ماو :

" إن المثقفين متذبذبون فى تبنى الماركسية - اللينينية التى كان يعارضها عديد الناس فى الماضى حيث عارضها الإمبرياليون و عارضها تشان كاي تشاك ، يوما بعد يوم مدعيا أن الشيوعية لا تتلاءم مع الأوضاع الصينية ، جاعلا الناس يخشونها . تتطلب معانقة المثقفين للماركسية- اللينينية و تغيير نظرتهم البرجوازية للعالم إلى نظرة البروليتاريا للعالم وقتا و حركة إيديولوجية إشتراكية ثورية. إن حركة هذه السنة متوجهة لتعبيد الطريق لذلك . "

و فى 1963، أطلق ماو " حركة التربية الإشتراكية " للحث على دراسة الماركسية و محاربة عناصر الحزب " فى السلطة المتبعين للطريق الرأسمالي " ، و هي حركة ستوفر الظروف للثورة الثقافية بعد سنتين . و فى14 جوان 1963 ، نُشر " إقتراح حول الخط العام للحركة الشيوعية العالمية " كان موجها ضد الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي و جملة من رسائله المفتوحة . و دافع "إقتراح..." عن الماركسية - اللينينية فى تعارض مع أطروحات و سياسات خروتشاف .

وخلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى ، بلغت دراسة الماركسية - اللينينية أبعادا جماهيرية لم يشهدها تاريخيا أي بلد سابقا. و يكفى أن نقول إن فى العشر سنوات الموالية ل 1966 وهي سنة إندلاع تلك الثورة ، باعت مكتبات الصين 4.8 بليون نسخة من أعمال ماركس و إنجلز و لينين و ستالين و ماو و أنه تم تشجيع الدراسة على نطاق واسع .

أخيرا ، فى السنوات السابقة لوفاته ، مجددا ، وهو يعلن عن تفجير صراع ضد دنك سياو بينغ و الذين أرادوا أن يقلبوا إنتصارات الثورة الثقافية ، نادى ماو تسى تونغ إلى توطيد دراسة الماركسية - اللينينية و تطبيقها ، لا سيما تعاليم ماركس و إنجلز و لينين و ستالين بصدد دكتاتورية البروليتاريا . و إنطلقت حملة جماهيرية عظيمة لدراسة و تعميق تطبيق دكتاتورية البروليتاريا و محاصرة و تحديد الحق البرجوازي الذى إستخدم أساسا لتغذية التحريفية .

و هكذا من الواضح الجلي ان ماو تسى تونغ بذل قصارى الجهد طوال مختلف مراحل الثورة الصينية لا فقط للتحقق من إستيعاب الماركسية- اللينينية و تطبيقها من طرف كوادر الحزب و منخرطيه بل ايضا لتكون منتشرة و مطبقة من طرف الجماهير العريضة للشعب الصيني . و لا شك أن هذا العمل الجبار من أجل نشر الإشتراكية العلمية ، كما أثراها ماو ذاته ، هو بذرة فى وعي الحزب الشيوعي الصيني النزيه و فى منخرطيه و الجماهير تخول لهم أن يثوروا ضد النظريات و الممارسات المعادية للماركسية للمرتدين الحاليين الذين إستولوا على السلطة فى الصين .

3/ صراع الخطين فى صفوف الحزب :

مظهر أخر من البلترة الإيديولوجية للحزب الشيوعي الصيني الذى شجعه ماو ، مع أننا سنرى لاحقا أن مغزاه السياسي كان حتى أعمق، هو الصراع الذى قاده ضد كل من مظاهر الخطوط البرجوازية فى الحزب و الكتل التى تكونت حول بعض هذه الخطوط . بفهم عميق للجدلية أعرب ماو عن أن تعزيز الحزب يكون من خلال معالجة التناقضات التى تظهر فى صلبه وهي تناقضات ملازمة لأية سيرورة فى العالم . و مثلما أشار لينين و ستالين و ماو فإن التناقضات فى المجتمع تنعكس فى صفوف الأحزاب الشيوعية مفرزة كلاّ من نظرات خاطئة تعكس جوانب من مختلف مظاهر الخط البرجوازي و الكتل المنظمة حول الخط البرجوازي و التى هي معادية للحزب . الإقرار بهذه الحقيقة الملازمة لا فقط لتاريخ الأحزاب الشيوعية و الحركة الشيوعية العالمية ذاتها ، بل الملازمة أيضا للجدلية العالمية و للتطوركوحد أضداد للواقع ذاته ، هو مسألة مبدئية بالنسبة لأي مادي جدلي .

لقد نادى ماركس و إنجلز بعدم الإكتفاء بتفسير العالم بل بالأحرى يتعين النضال من أجل تغييره بطريقة نقدية و ثورية . و مثل هذا التغيير غير ممكن دون دراسة و معالجة التناقضات الملازمة لأية سيرورة سواء كانت فيزيائية أو كيميائية أو إجتماعية سواء كان مجتمعا بأسره أو جزءا منه و بالتالى لأجل أن يتطور على الحزب البروليتاري أن يعالج تناقضاته الداخلية لصالح الماركسية - اللينينية و لصالح مصالح البروليتاريا و الثورة . و حتى أكثر ، على حزب الطبقة العاملة الطليعي أن يتمرس على صراع الخطين لا سيما فى جانبه الإيديولوجي حتى يصارع الخط البرجوازي داخل الجماهير و يكسبهم لقيادة الحزب و يكسب المتقدمين منهم لصفوف الحزب . إن التطور كوحدة أضداد لأية سيرورة هو واقع موضوعي ، مستقل عن إرادتنا . الإرادة و الوعي الثوريين يلعبان دورهما فى البحث فى طبيعة التناقضات الموضوعية التى تظهر من أجل معالجتها ، و فى تطبيق المناهج السليمة للتوصل إلى ذلك . و فى نفس الوقت، بالعمل على هذا النحو تتقلص نتائج التأثير البرجوازي و تتراجع و يمنع تطوّر هذه التناقضات إلى مستوى خطير للغاية . إذن الإعتراف بأن جزءا أو مجموعة من المظاهر البرجوازية تظهر داخل الحزب ليس سوى مقاربة مادية جدلية للحزب كسيرورة وحدة أضداد . و يتم الإعتراف بوجود التناقضات و البحث فيها بالضبط من أجل النضال ضد المظاهر الغريبة عن الماركسية و

التى تظهر داخل الحزب و ليس لنشرها و القبول بها على أنها حتمية . جرى ذلك لمعارضة جانب التناقض الممثّل فى تأثيرات البرجوازية من جانب الخط الثوري . وإنكار تطور الحزب البروليتاري كوحدة أضداد (كأية سيرورة) يضع حاجزا دون تربية عناصر الحزب على النضال ضد العراقيل و الحواجز التى تقيمها البرجوازية ضده ، و يسمح للبرجوازية باخذ المبادرة و إلغاء وعي العناصر دون ردّ ملموس على الحجج و المؤامرات التى تستعملها للصراع ضد الخط الماركسي .

فى جميع أعماله و ممارساته لم يفعل ماو تسى تونغ سوى الإقرار بهذا التطوّر كوحدة أضداد للحزب البروليتاري و إعداد عناصره و كوادره لمعالجة التناقضات التى تنشأ داخله بطريقة سليمة . و لم يساند البتة وجود التأثيرات البرجوازية داخله - و أقل من ذلك الكتل البرجوازية - كشيئ إيجابي و لم يدافع عن أنه يجب الإبقاء عليهم و تشجيعهم . و على الصعيد العالمي ، عارض دون خطإ المصالحة مع الخط البرجوازي لخروتشاف و أتباعه و إتخذ نضالا مبدئيا ضدهم . و لعلّ رفض الإعتراف بأن الحركة الشيوعية العالمية تتطوّر هي أيضا كوحدة أضداد و عبر الصراع ضد التأثير البرجوازي الذى يظهر داخلها ، سيساعد على التقدّم و على تطويرها ؟ بالعكس ، فإن واحدة من العوامل الحيوية فى تركيز الخط التحريفي فى غالبية أحزاب الحركة الشيوعية العالمية القديمة ، كان المفهوم المعادي للجدلية فى فهم تطورها و نقص تجربة العناصر فى خوض الصراعات الخطية و نقص فى النقد و روح النقد الذاتي و الديمقراطية فى صفوف هذه الأحزاب و الإعتقاد الأعمى لعديد العناصر فى أولئك الذين كانوا يرسمون خط تلك الأحزاب .

فى فهم كيفية إدارة صراع الخطين فى صفوف الحزب ، أعار ماو تسى تونغ الإنتباه إلى الإختلاف بين من هم بالأساس نزهاء و يسقطون فى مواقف خاطئة و بين التسلل و إنتاج مجموعات تكتلية داخل الحزب و الذى يلتقى علنيا أو سريا مع الخط المعادي للبروليتاريا . بسط الحاجة إلى رسم خط تمايز بين الذين يسقطون فى أخطاء و إنحرافات تحت تأثير الرؤى البرجوازية و بين المدافعين بوعي عن مصالح البرجوازية الذين تسربوا إلى الحزب . يجب النضال ضد الأوائل و نقدهم حتى يتجاوزوا أخطاءهم و فى نفس الوقت ، نتحد معهم بإعتبار أنهم عناصر نزيهة مخطئة لإعادة تربيتها و مساعدتها على تجاوز أخطائها . أما مع الآخرين فنفضحهم عبر النضال الإيديولوجي و نطردهم من الحزب و نعاقبهم حسب جرائمهم ضد الثورة . عمليا ، مشكلة التفريق بين الإثنين معقدة . وهي كذلك لأن النزهاء الذين سقطوا فى أخطاء يعتقدون ، إلى حدّ أن يبرز لهم النقد و التربية أنهم جانبوا الحقيقة ، أنهم على حق و عادة ما يفصحون عن وجهات نظرهم بشكل عنيف . و من جهة أخرى يخفى التكتليون الواعون عملهم المعادي للثورة و مراميهم و غالبا ما ينشطون فى الخفاء و بالتالى نواجه خطر معاملة الأعداء مثل المخطئين و معاملة النزهاء مثل الأعداء و المخطئين لفائدة أولئك الأعداء . و هذا التفريق شديد الصعوبة خاصة مع أعداء متخفين يحتلون مراكزا عليا فى صفوف الحزب و يستغلون السلطة التى يسمح لهم بها منصبهم لإخفاء أنفسهم و جر العناصر إلى مواقع خاطئة . فقط حزب تمرّس على الصراع الخطّي ، بطريقة صحيحة فى معالجة التناقضات داخل الحزب ، بين كل من الأعداء و المخطئين ، قادر على معالجة هذا المشكل المعقد بصيغة سليمة . لهذا أولى ماو تسى تونغ أهمية قصوى إلى تمرّس الحزب على حل تلك التناقضات بدراسة مبادئ الماركسية –اللينينية من جهة ، و من جهة أخرى ، بتربية كل العناصر ذاتها عبر الممارسة النشطة للصراع ضد المظاهر المختلفة للخط البرجوازي و القيام بالنقد و النقد الذاتي و حين يتعلق الأمر بالدفاع عن المبادئ يتجرؤون على " السير ضد التيار " لذلك السبب عارض القرار البيروقراطي فى مثل هذا المشكل حول من هو مخطئ و من هو العدو من خلال إملاءات ميكانيكية من أعلى ، دون نقاش عريض بفضله تتمكن العناصر الموجهة من أولئك الذين يمسكون بالخط الصحيح ، من التفريق بين الأعداء و الرفاق المخطئين فقط و يؤكد من جديد المواقف الثورية و تحريرهم إذا كانوا متأثرين بأفكار مخطئة . فى كل صراع ، ما يكتسى أهمية أكبر هو أن تتعلم العناصر نفسها كيف تفرق بين ما هو صحيح و ما هو خاطئ و بين الرفاق و الأعداء المندسين و ليس أن يثقوا ثقة عمياء فى عصمة قادتهم حول الخطإ فى تجاوز هذا النوع من المشاكل و تحديد من هو الماركسي و من هو المعادي للماركسية .

المشكلة الملموسة هي مدى قدرة ماو تسى تونغ و الحزب الشيوعي الصيني عامة على إكتشافهم فعليا للأعداء المندسين بينهم و قوتهم و رسم تمييز واضح بين الذين كانوا مخطئين و الأعداء عن وعي . و مهما كانت الأخطاء التى إرتكبوها فى ذلك الصدد ، فى وجه التحريفية الحالية القوية التى فرضت ذاتها على كل الحركة الشيوعية تقريبا بعد الحرب العالمية الثانية (أخطاء قام بها قادة ثوريون عظام) ، فهي لا تقلص بأية حال من الأحوال من صلوحية أطروحات ماو تسى تونغ حول كيفية معالجة هذا النوع من التناقضات و لا من التجارب العظيمة الأهمية فى النضال الذى خاضه لحلها .

على طول تاريخ الحزب الشيوعي الصيني و الثورة الصينية ، طبّق ماو تسى تونغ و الماركسيون- اللينينيون الصينيون خطّا واضحا من أجل التعرف على التناقضات فى صفو ف الحزب و النضال ضد جميع مظاهر الخط البرجوازي و بذل قصارى الجهود لنقد و إعادة تربية العناصر أو القادة المخطئين و تنقية الحزب من العناصر التكتلية المعادية للحزب . يبرز الحديث عن العشر صراعات خطية بعينه أنه تمت محاربة هذه الخطوط لإبعادها من الحزب و لم يتم القبول بها . منذ مقاله سنة 1928 " النضال فى جبال جينغهانغ " ، لاحظ ماو :

" إن عددا كبيرا من الوصوليين قد تسللوا إلى الحزب منتهزين فرصة قبول عضوية جديدة للحزب بصورة علنية أثناء المد الثوري (فى يونيو - حزيران) ، فكانت نتيجة ذلك أن عدد أعضاء الحزب فى منطقة الحدود قد إرتفع فى فترة وجيزة و بلغ أكثر من عشرة آلاف. و لما كانت غالبية المسؤولين عن الفروع و لجان المراكز من الأعضاء الجدد ، لم يكن من المستطاع إيجاد تثقيف جيد فى داخل الحزب . فلما حل الإرهاب الأبيض إرتد أولئك الوصوليون و أرشدوا الرجعيين لإلقاء القبض على رفاقنا ، الأمر الذى أدى إلى إنهيار معظم المنظمات الحزبية فى المناطق البيضاء . و بعد سبتمبر (أيلول) أجرى الحزب حملة تطهير مشددة فى صفوفه ، و حدد مؤهلات طبقية دقيقة يجب أن تتوفر لدى أعضاء الحزب . " (مجلد 1 ، صفحة 135).

و فى 1938 ، فى مؤلفه " دور الحزب الشيوعي الصيني فى الحرب الوطنية " ، كتب الرفيق ماو :

" أما خط قوه تاو التنظيمي ، فقد خالف تماما جميع مبادئ الحزب الشيوعي ، و خرق النظام الحزبي ، و تطور من نشاطات تكتلية إلى نشاطات ضد الحزب و اللجنة المركزية و الأممية الشيوعية. و لقد بذلت اللجنة المركزية كل جهد ممكن من أجل التغلب على أخطاء الخط الإجرامي التى إرتكبها تشانغ قوه تاو و على نشاطاته المعادية للحزب ، كما سعت إلى إنقاذ تشانغ قوه تاو نفسه . لكن لما أصر تشانغ قوه تاو على رفض تصحيح أخطائه و لجأ إلى أسلوب النفاق بل خان الحزب بالفعل فيما بعد إرتمى فى أحضان الكومنتنغ ، فإنه لم يعد فى وسع الحزب إلا أن يطرده بحزم من صفوفه ..."

ثم أضاف :

" و يجب أن نخصص إهتماما جديا ، فى الصراع ضد الإنحرافات ، لمكافحة أسلوب النفاق ، و ذلك لأن الخطر الأكبر فى أسلوب النفاق يكمن فى إحتمال تطوره إلى نشاطات تكتلية ، كما بيّن ذلك تاريخ حياة تشانغ قوه تاو ." (مجلد 2، صفحة 288-289) .

بعد ذلك فى 1939 ، أشار فى" لنضم إلى صفوفنا المثقفين بأعداد كبيرة " :

" يجب علينا دون أدنى شك ، حين نطبق سياسة ضم الأعداد الكبيرة من المثقفين إلى صفوفنا ، أن نكون على يقظة تامة للحيلولة دون تسلل تلك العناصر التى يرسلها العدو و الأحزاب السياسية البرجوازية و أن نرفض تلك العناصر غير المخلصة . و ينبغى لنا أن نتخذ موقفا صارما فى هذا الصدد . أما الذين قد تسللوا من تلك العناصر إلى حزبنا و جيشنا و أجهزة حكومتنا ، فيجب أن نطهرها منهم بحزم مع التمييز فى المعاملة و ذلك بالإستناد إلى الأدلة الدامغة . " (مجلد 2 ، صفحة 418) .

و فى مقاله فى معارضة الكتابة المتبعة للقوالب الجامدة فى الحزب أشار ماو إلى :

" و هنالك عبارتان كثر إستعمالهما فيما مضى فى مقالات و خطب كثير من الرفاق : إحداهما تسمى ب"النضال القاسي" و الأخرى تسمى ب "الضرب بلا رحمة " . إن مثل هذه الطريقة ضرورية و لازمة تماما ضد العدو أو ضد الإيديولوجية المعادية و لكنه من الخطإ إستخدامها على رفاقنا . و كثيرا ما يحدث أن يتسرب العدو و الإيديولوجيا المعادية إلى صفوف الحزب ، كما جاء فى البند الرابع من الخاتمة فى " كورس موجز لتاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي (البلشفيك) " . و مما لا ريب فيه أنه يجب علينا أن نتخذ طريقة النضال القاسي و الضرب بلا رحمة ضد هؤلاء الناس ، إذ أن هؤلاء الأشرار يستخدمون الآن هذه الطريقة ضد الحزب ، و إذا تسامحنا مع هؤلاء الأشرار وقعنا فى الشرك الذى نصبوه لنا . بيد أنه لا يجوز إستخدام نفس الطريقة ضد الرفاق الذين إرتكبوا الأخطاء عرضا ، بل يجب أن تطبق على أمثال هؤلاء الرفاق طريقة النقد و النقد الذاتي ، ألا وهي الطريقة المبينة فى البند الخامس من الخاتمة فى " كورس موجز لتاريخ الحزب الشيوعي السوفياتي (البلشفيك)" . " (مجلد 3، صفحة 74-75).

و فى أفريل من سنة 1944 ، خطّ فى عمله " دراستنا و الوضع الراهن" :

" يجب الإشارة إلى أن التكتلات التى كانت موجودة و لعبت دورا سيئا فى تاريخ حزبنا ، لم يعد لها وجود اليوم ، بعد التبدلات العديدة منذ إجتماع تسونيى . إنه لمن الضروري تماما الإشارة ، فى هذه الدراسة للخطين القائمين داخل الحزب ، إلى أن مثل هذه التكتلات كانت موجودة و لعبت دورا سيئا فى التاريخ . و لكن من الخطإ أن يعتقد المرء أن تلك التكتلات ذات نفس البرامج السياسية الخاطئة و الأشكال التنظيمية الخاطئة السابقة لا تزال قائمة ، بعد التبدلات التى حدثت من جراء العديد و العديد من الصراعات داخل الحزب - إجتماع تسونيى المنعقد فى يناير 1935 ، و الدورة الكاملة السادسة للجنة المركزية السادسة فى أكتوبر 1938 ، و الإجتماع الموسع للمكتب السياسي للجنة المركزية فى سبتمبر 1941، و حركة التقويم التى كانت تجرى على نطاق الحزب كله عام 1942 و الدراسة التى بدأت من شتاء عام 1943 حول الصراعات بين الخطين فى تاريخ الحزب . إن التكتلات التى كانت موجودة فى الماضى قد زالت الآن . و ما يبقى فى الوقت الحاضر هي بقايا إيديولوجية الجمود العقائدي و التجريبية و سوف نتمكن من التغلب عليها ، ما دمنا نواصل و نعمق حركة التقويم . "

هنا يشير ماو تسى تونغ بالطبع إلى صراع الخطين السادس ، قبل إنتصار الثورة و الذى إنتهى بهزيمة هذه المجموعات التكتلية .

في 1953 ، واصل ماو النضال لتطهير الحزب من العناصر السامة . و فى مقاله " قاتلوا البيروقراطية " الموجه للحزب يؤكد :

" فى حزبنا و حكومتنا ، تمثّل البيروقراطية و التسلط مشكلة كبرى لا فقط فى الوقت الحاضر و إنما لزمن طويل لاحق . من زاوية الجذور الإجتماعية ، تعكس بقايا الطريقة الرجعية فى العمل داخل حزبنا و حكومتنا (طريقة عمل معادية للشعب ، طريقة عمل الكومنتنغ) و الطريقة الرجعية لطبقات الحاكمة فى تعاملها مع الشعب ...إذا عززنا دورها الطليعي و طرقنا فى القيادة ، فإن البيروقراطية و التسلط المضرّين للشعب ستتقلص تدريجيا و العديد من منظمات حزبنا و حكومتنا ستكون قادرة على الإبتعاد فى أقرب وقت عن طريقة عمل الكومنتنغ هذه . و كذلك فى أقرب وقت ، سنسرع فى طرد عديد العناصر المندسة فى منظمات الحزب و الحكومة و سنضع حدا لعديد الأعمال السيئة التى لا تزال إلى اليوم بديهية " .

ثم إسترسل قائلا :

" يجب أن نعرض عرضا واسعا فى الصحافة الأمثلة النموذجية فى هذا المجال ويجب أن نعاقب التجاوزات الخطيرة حسب القانون و لئن تعلق امر بشيوعي يتدخل أيضا الإنضباط الحزبي . و على لجان الحزب فى كل المستويات أن تقوم بجهود خاصة صارمة لعقاب المتجاوزين للقانون الذين تمقتهم الجماهير أيما مقت و لطردهم من الحزب و الحكومة و أسوأهم ينبغى أن يعدموا حتى نخفف من غضب الجماهير و نساعد على تربية الكوادر و الجماهير " . (المجلد 5 ، صفحة 88-89 ، الطبعة الفرنسية).

بعد ذلك فى سنة 1955 ، جدّ صراع خطين بعد إنتصار الثورة ضد الكتلة التى أوجدها قواه كانغ . فى خطابه الإفتتاحي أمام الندوة الوطنية للحزب الشيوعي الصيني قال ماو فى هذا الصدد :

" أيها الرفاق ، مثلما تعلمون جميعا ، فإن ظهور تحالف قواه كانغ و جواو تشو تشى المعادي للحزب الشيوعي لم يكن بالمرّة عرضيا بل كان مظهرا حادا للصراع الطبقي المكثّف فى بلدنا فى المرحلة الراهنة . إن الهدف الإجرامي لهذا التحالف المعادي للحزب كان شقّ حزبنا و إفتكاك السلطة العليا فى الحزب و الدولة بطرق تآمرية و بالتالى تعبد الطريق لتراجع معاد للثورة . بالقيادة الموحدة للجنة المركزية سحق حزبنا التحالف المعادي للحزب و صار أكثر وحدة و أقوى و هذا إنتصار هام فى نضالنا من أجل القضية الإشتراكية " .

ثم أضاف : " لغاية بناء مجتمع إشتراكي ، ترى اللجنة المركزية أنه من الضروري فى هذا الظرف أن تكوّن لجنة مركزية للمراقبة فى إنسجام مع القانون الأساسي للحزب لتعويض لجنة مراقبة الإنضباط القديمة ، و يكون هدفها تعزيز الإنضباط الحزبي فى هذه المرحلة الجديدة من الصراع الطبقي المكثف و إقامة صراع ضد كل أنواع تجاوزات القانون و الإنضباط و بالخصوص المراقبة للحيلولة دون تكرر حالات مماثلة لتحالف قواه - جواو المعادى للحزب و الذى يخرب جديا مصالح الحزب ".

و فى ذات السنة ، مبرزا تعقد مشكلة كيفية منع تسلل الرجعيين المقنعين إلى داخل الحزب الذى كان عريضا جدا و فى مجتمع كان فيه الوزن الخاص للبروليتاريا صغيرا جدا ، أشار الرفيق ماو فى هذا الصدد إلى :

" إن جماهير الشعب فى حاجة فعلا إلى هذه المادة [النص ضد مجموعة هوفانغ المنشور ب " يومية الشعب "] كيف يمارس المعادون للثورة تكتيكاتهم فى سلوك مزدوج ؟ كيف ينجحون فى مغالطتهم بمظاهرهم الخداعة فى حين أنهم يقومون خفية بالأشياء الأقل توقعا ؟ كل هذا قناع لآلاف و آلاف أمام الناس الصافيين النيّة . فى هذا الصدد ، فتح العديد من المعادين للثورة طريقهم إلى صفوفنا . عيون أناسنا ليست مفتوحة ، ليست فطنة للتمييز بين الناس الطيبين و السيئين . و عندما يعمل الناس فى ظروف عادية نعرف أن نميز بين الغض و السمين و لكننا لسنا فطنين فى الرؤية من خلال الذين يعملون فى ظروف غير عادية . إن عناصر هو فانغ معادية للثورة وضعت قناعا لتخفى وجوهها الحقيقية و لتعطي إنطباعا خاطئا " و يضيف : " عديد عناصر مجموعة هو فانغ قادرين على مغالطتنا لأن منظمات حزبنا ، منظمات الدولة و منظمات الجماهير و المؤسسات الثقافية و التربوية أو المؤسسات أخفقت فى القيام بمعالجة صارمة للإرشادات قبل قبولهم . كان ذلك كذلك أيضا لأننا كنا فى مرحلة عاصفة من الثورة فى الماضى القريب و حاول أناس من جميع الأنواع أن يقتربوا منا بما أننا حققنا الإنتصارات ، و بالتالى كانت المياه حتميا عكرة و صار الجيد مختلطا بالسيئ و لم نستطع بعدُ أن نحاصرهم و نغربلهم غربلة تامة . و فضلا عن ذلك ، فإن تحديد العناصر الضارة و توضيحها مشروط بالتوفيق بين القيادة الصحيحة من طرف الأجهزة القيادية و بين درجة عالية من الوعي السياسي من جانب الجماهير و لكن فى هذا المجال لم يكن عملنا فى الماضى دون نواقص. و هذه جميعها دروس بالنسبة لنا . "

و أخيرا نعرض كذلك - و لن ندخل فى معالجة هذه المسألة الآن بما أننا سنتناولها بالبحث لاحقا - الظروف التى حفت بصراع ماو تسى تونغ و الماركسيون - اللينينيون الصينيون ضد التحريفية المعاصرة بقيادة ليوتشاو تشى و لين بياو و أتباعهما الذين صدرت عنهم مواقفا خاطئة دون أن يظهروا محتواها المعادي للثورة . عندئذ فجّر ماو الصراع ضدهم بداية عن طريق النقد . و لما بان جليا

أنها ما كانت مجرد مسألة إنحرافات بل بالأحرى مسألة توجه أهدافه رجعية ، فضحهم ماو نفسه بوضوح و خاض ضدهم صراع حياة أو موت و إلتجأ ردا على تأثيراتهم إلى إستنهاض الجماهير العريضة .

و هذا يشير بالفعل إلى أن هؤلاء الممثلين للبرجوازية الذين تسللوا إلى الحزب و إلى الحكومة و الجيش و لعديد مجالات الثقافة ، هم جماعة من التحريفيين المعادين للثورة . و عندما تتوفر الظروف سوف يفتكون السلطة السياسية و سيحولون دكتاتورية البروليتاريا إلى دكتاتورية البرجوازية ...هم عملاء أوفياء للبرجوازية و الإمبرياليين . إلى جانب البرجوازية و الإمبرياليين يتمسكون بالإيديولوجيا البرجوازية المضطهدة و المستغِلة للبروليتاريا و يتمسكون بالنظام الرأسمالي و يعارضون الإيديولوجيا الماركسية - اللينينية و النظام الإشتراكي و صراعهم ضدنا هو مسألة حياة أو موت و ليست مسألة مساواة . و بالتالى فإن صراعنا ضدهم أيضا لا يمكن أن يكون إلا صراع حياة أو موت و علاقتنا معهم لا يمكن أن تكون بالمرة علاقة مساواة . "

من هنا نعتقد أنه من خلال أعمال ماو تسى تونغ و صراعه الملموس بلا هوادة ضد الإنتهازيين فى صفوف الحزب و خارجه يتجلى خطا صحيحا كاملا و تعاليما عظيمة للحركة الثورية وجب التمسك بها. لم يكن ماو شجع وجود التناقضات و ظهور الإنحرافات أو الكتل المعادية للحزب ، بل بالعكس خاض نضالا متواصلا ضدهما إلى أيامه الأخيرة على قيد الحياة، مطهرا الحزب فى كل مرة عندما كان قادرا على رؤية أن المعارضة ليست مجرد مسألة أخطاء إيديولوجية. إن حجم الحزب الشيوعي و المجتمع الصينيين حددا تعقد و مدى هذه المشاكل و جعلا من غير الممكن لماو تسى تونغ قيادة الماركسيين - اللينينيين لحلها خلال حياته وهو أمر بإعتبار هذه العوامل تحديدا ، يجعل المعركة التى خاضها تبدو حتى أكثر حدة .

فى الإتحاد السوفياتي أيضا ، كان الصراع بين الخطين فى صفوف الحزب البلشفي معقدا إلى أقصى حدّ ، و كانت النتيجة سلبية هنالك أيضا بما أن التحريفيين بلغوا مؤقتا السلطة . إذا إعتمدنا على ما ورد فى " تاريخ الحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي (البلشفي)" حتى فى علاقة بما حدث فى ذلك الحزب إثر إفتكالك السلطة ، نعثر على التالى :

" فى 1918 ، حصل مجموعة " الشيوعيين اليساريين " على أغلبية مكتب موسكو . و فى تلك السنة صرح لينين فى المؤتمر السابع للحزب الشيوعي السوفياتي " إن الأزمة الحادة التى يمر بها حزبنا بفعل تشكل معارضة يسارية فى صلبه هي أحد أخطر الأزمات التى عرفتها الثورة الروسية " (ص 240-241 من "تاريخ ..." ،طبعة بالفرنسية ، إعادة نشر "أونلوت" الكيباك ،1979).

و فى 1919 ، فى المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي السوفياتي ، قدّم بوخارين و بياتاكوف برنامج معارضة خطه معارض للخط الماركسي - اللينيني بصدد المسألة القومية و المسألة الزراعية إلخ . و حينها بالضبط برزت جماعة تسمى " المعارضة العسكرية " التى و إن عارضت تروتسكي فيما يتصل بهذه المسائل عبرت عن أفكار إنتهازية . و من جهتهما قاد سابرونوف و أوسنسكى كتلة أخرى أنكرت الدور القيادي للبروليتاريا فى السوفياتات.(مصدر سابق ، ص 260/257).

و يروى " تاريخ ..." أن المؤتمر التاسع للحزب الشيوعي السوفياتي إنعقد و ما كان لكافة عناصر الحزب نفس تفكير اللجنة المركزية فقد تململت و ترددت المجموعات الصغيرة المعارضة - التروتسكيين " المعارضة العمالية " ، و

" الشيوعيون اليساريون " و الوسطيون الديمقراطيون " إلخ - أمام الصعوبات التى واجهها الإنتقال إلى بناء إقتصاد سلمي . و وجد فى الحزب عدد لا بأس به من العناصر المناشفة سابقا و من الإشتراكيين الثوريين و من حزبي البوند و البروتستيين و جميع أنصاف القوميين من المناطق المجاورة لروسيا تحالفت غالبيتهم مع هذه المجموعة أو تلك من المعارضة . (مصدر سابق ، ص 279) .

و فى المؤتمر العاشر ، قدمت كافة هذه المجموعات رؤى معادية للماركسية و أصدر المؤتمر أمرا بالحل الفوري لجميع التكتلات ...و توعد من لا يستجيب لقرار المؤتمر بالطرد لا مشروط و فوري من الحزب" .(م س ، ص281) .

و فى 1921 ، تم التصدى الفعلي الأولى للمخادعين البيروقراطيين و الشيوعيين غير الشرفاء و المتذبذبين و المناشفة الذين أعادوا طلاء أوجههم و ظلت قلوبهم واقعيا مناشفة . و حسب " تاريخ ..." جرى طرد 170 ألف عضو بما يعنى 25 بالمائة من مجموع الأعضاء و مع ذلك كما سنرى بقيت أهم المجموعات الإنتهازية تنشط داخل الحزب . (مصدر سابق ، ص 286).

و فى نهاية 1923 ، يقول " تاريخ ..." خلال المؤتمر الثاني عشرة للحزب الشيوعي السوفياتي، جمع تروتسكي حوله كافة العناصر المناهضة للينينية داخل الحزب و صاغ أرضية معارضة للحزب و قيادته و سياساته .(م س ، ص 294) .

و فى جانفي 1924، فى الندوة 13 للحزب الشيوعي السوفياتي، صارع ستالين رؤى المعارضة و مع ذلك يشير"تاريخ ..." إلى أن التروتسكين لم يكفوا عن نشاطهم الإنقلابي . و فى ماي من السنة عينها ، تم التنديد بهم مجددا فى المؤتمر 13 غير أنه لم يتم القضاء عليهم بعدُ." (م س ، ص 295) .

و فى أفريل 1925، إبان الندوة 14 للحزب الشيوعي السوفياتي، تقدم التروتسكيون بنظريتهم فى "الثورة الدائمة ". و روّج بوخارين من جهته لخط يميني صريح. و فى ديسمبر من تلك السنة، إنعقد المؤتمر 14 للحزب ووفق "تاريخ ..." كان الوضع داخل الحزب محتدا و متصلبا. و لم يشهد أبدا فى تاريخه وضعا تحضر فيه مفوضية كاملة من مركز هام للحزب مثل لينتغراد لتظهر معارضة للجنته المركزية. ثم يشير إلى أنه بالرغم من هزيمتهم فى المؤتمر، لم ينضبط الزينوفيافيون للحزب بل شرعوا فى صراع ضد قرارات المؤتمر 14 . (م س ، ص 307).

و يستمر " تاريخ ..." قائلا : " فى صائفة 1926، إتحد التروتسكيون و الزينوفيافيون ليشكلوا الكتلة المعادية للحزب التى جعلوا منها نقطة إلتقاء بقايا كافة المجموعات المعارضة المهزومة وأسسوا حزبهم السري المعادي للينينية ..." .(م س، ص 314) و حاولوا فرض مناقشة عناصر الحزب لأرضيتهم و مع ذلك فهذا لم يمنع أهم التكتليين من أن يقدموا للجنة المركزية قرارا ضد النشاط التكتلي بغاية المغالطة . لكن يشير " تاريخ ..." إلى أن الكتلة لم تكف عن الوجود و واصل مكونوها نشاطهم السرّي ضد الحزب . فإستمروا فى العمل من أجل تجميع حزب معاد للينينية و شرعوا فى إصدار صحافة غير قانونية و جمعوا مساهمات الأعضاء و عملوا على نشر أرضيتهم نشرا واسعا ".(م س ، ص 314).

و فى نوفمبر 1926 ، فى الندوة 15 للحزب ، مرة أخرى ، ندّدت بهم الأغلبية بيد أنهم فى 1927 ظهروا بأرضية إنتهازية مسمات " أرضية ال 83 " تم نقاشها و لحقت بها الهزيمة فى أكتوبر 1927 ، ثم سعوا إلى تنظيم مظاهرات إحتجاج عامة فى موسكو و لينينغراد يوم 7 نوفمبر ، ذكرى الثورة لا أقل . لذلك وقع طرد كلّ من تروتسكي و زينوفياف من الحزب فى 14 نوفمبر 1927 . و فى ديسمبر من السنة ذاتها ، صادق مؤتمر الحزب الشيوعي السوفياتي على ذلك الطرد." (م س ، ص 320) .

و يذكر " تاريخ ..." أنه بعد المؤتمر 15 بقليل " قبلت غالبية المطرودين شروط إعادة الإدماج و صرحوا فى الصحافة بذلك. راجين التسامح معهم و لأجل إعطائهم فرصة للعودة لعضوية الحزب و الطبقة العاملة ، أعاد الحزب قبولهم فى صفوفه بيد أن الزمن بيّن دون إستثناءات أن تراجع قيادات كتلة تروتسكي و زينوفياف كان تراجعا مهادنا و منافقا على طول الخط .

حينها إلى جانب التسلل إلي الحزب ، ظهرت مجموعة يمينية أخرى بقيادة بوخارين و ريكوف و فى إجتماع اللجنة المركزية تقدموا بأرضية جديدة معادية للحزب .

و فى 1934، تم قتل ريكوف ، القائد الأعلى للحزب الشيوعي السوفياتي فبدأت المسيرات لتستمر إلى حدود1937 . و حسب " تاريخ ..." أظهرت المسيرات أن حثالة البشرية هؤلاء [بوخارين ، راداك إلخ] بالإرتباط بأعداء الشعب و تروتسكي و زينوفياف و كاميناف ، كانوا يتآمرون على لينين و الحزب و الدولة السوفياتية منذ الأيام الأولى من ثورة أكتوبر الإشتراكية و جرت محاكمتهم لأنهم باعوا أنفسهم إلى مخابرات ألمانيا الفاشية. و يسجل "تاريخ ..." أن المحكمة السوفياتية حكمت على الشياطين البوخارينيين و التروتسكيين برميهم بالرصاص.(م س ، ص 360) .

مذاك فصاعدا ، لم تسجل أية مظاهر صراع ضد المجموعات التكتلية داخل الحزب الشيوعي السوفياتي . و بدا و كأن دكتاتورية البروليتاريا و البناء الإشتراكي فى الإتحاد السوفياتي تطورت دون حواجز هامة فى صفوف الحزب الشيوعي السوفياتي . بيد أنه بعد أكثر بقليل من سنتين من موت ستالين ، نكتشف مع المؤتمر العشرين أن الحزب الشيوعي السوفياتي سقط بايدى التحريفيين الذين كانوا يحتلون بعدُ مواقعا عليا داخله و أن هؤلاء التحريفيين ، إثر التشنيع بستالين ، رفعوا أرضية معادية للماركسية وعملوا لفرضها على الحركة الشيوعية العالمية و سارعوا بإعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي و حولوه إلى قوة إمبريالية عظمى و أن جميع الدول التى تسمى بالديمقراطية الشعبية ، بإستثناء ألبانيا ، ساندت الخط التحريفي و ركزت الرأسمالية و أن كافة أحزاب الحركة الشيوعية العالمية وغالبية القادة و المناضلين خضعوا للخط التحريفي لخروتشاف و أتباعه . و الآن مرت أكثر من عشرين سنة على تلك الأحداث وما هنالك من كلمة عن نضال هام يقيمه ماركسيون - لينينيون ضد التحريفية فى الحكم و ضد رأسمالية الدولة سواء فى الإتحاد السوفياتي أو فى البلدان المرتبطة بحلف فرصوفيا .

مثلما سنرى البرجوازية التى تعيد تركيز الرأسمالية فى البلدان التى إفتكت فيها البروليتاريا سلطة الدولة ، ليست البرجوازية القديمة و ليست كذلك برجوازية جديدة ولدها الإنتاج الصغير بل هي بالأحرى برجوازية من نوع جديد نشأت فى أو تسللت إلى قيادة الأحزاب الشيوعية ذاتها و لها قاعدتها الإقتصادية فى إدارة إقتصاد الدولة مفرزة نظام رأسمالية الدولة . و من الأكيد أن هذه مسألة توجه رجعي نشأ فى صفوف الحركة الشيوعية العالمية ذاتها ، توجه لم يتعرف على تطوره و أهدافه لا لينين و لا ستالين. و لم

يستطع الماركسيون- اللينينيون داخل الأحزاب الشيوعية عبر العالم الرأسمالي أيضا منع هيمنتها عليها جميعا تقريبا . و فى هذا الإطار بالذات يترتب علينا تحليل الصراعات التى خاضها ماو تسى تونغ و الماركسيون- اللينينيون الصينيون ضد هذا التياردون التخلى عن هدف البحث العميق عن العوامل التى أفرزت هذا التيار.

4- التناقضات مع البرجوازية الوطنية :

فى الصين، كان على التقدم نحو الإشتراكية فالشيوعية أن يتم إنطلاقا من مجتمع مستعمر و شبه مستعمر و شبه إقطاعي . و تطلبت هذه الظروف قبل تركيز الإشتراكية ، ضرورة مرحلة سابقة هي ثورة ديمقراطية جديدة لغاية تحرير الوطن من الإمبريالية و القضاء على بقايا الإقطاعية و الإنهاء على سلطة البرجوازية الكبيرة المرتبطة بالإمبريالية . و قد جرت هذه السيرورة على أساس التحالف العمال والفلاحين و بتحالف مع شرائح من البرجوازية الوطنية بقيادة البروليتاريا.

ومع طرد الإمبريالية من الصين و الإطاحة بالقوى الإقطاعية و البرجوازية الكبيرة الكمبرادورية المرتبطة بالإمبريالية أي مع الإنتصار الكامل للثورة الديمقراطية الجديدة فيما يتصل بالسلطة السياسية لأجل المواصلة نحو الإشتراكية كان من اللازم الإبقاء على البرجوازية الوطنية لمدة زمنية طويلة نسبيا لتطوير قوى الإنتاج و البروليتاريا . و أفرزت هذه الوضعية مشكلة معقدة فى الصراع الطبقي فكان من الضروري السماح للرأسمالية بالتطور إلى حدود معينة تحت مراقبة القطاع الإقتصادي الذى تمت مشركته و بإرتباط به ، هذا من جهة ، و من جهة أخرى ، كان من الضروري إيقاف التوجه البرجوازي الذى كان يريد أن يتحول إلى الطبقة الحاكمة فى كل من الإقتصاد و السياسة و القضاء عليها كطبقة فى كلا المجالين خطوة خطوة لغاية المرور إلى الإشتراكية . و نظرا لأن هذه السيرورة أثرت تأثيرا كبيرا على الصراع الطبقي و الصراع بين الخطين فى الصين ، من المهم البحث فى كيفية سلوك ماو تسى تونغ و الماركسيين- اللينينيين الصينيين لمعالجتهما .

و مع أن ماو تسى تونغ يعتبر الفلاحين القوة الأساسية للثورة الصينية (بالنظر لحجمهم الكبير نسبة للسكان) و أنه يجب القيام بالثورة الديمقراطية الجديدة بتحالف مع البرجوازية الوطنية فإنه فى نفس الوقت ، وضّح بكل جلاء أنه فقط بقيادة الطبقة العاملة و حزبها يمكن لتلك الثورة أن تحقق الظفر . و فى 1936 ، مثلا ، فى مؤلفه " قضايا الإستراتيجيا فى الحرب الثورية الصينية " قال :

" ...أما جماهير الفلاحين الصينيين و البرجوازية الصغيرة الصينية فى المدن فيرغبون فى أن يسهموا بنشاط فى الحرب الثورية و أن يواصلوها حتى النصر النهائي . و هم يشكلون القوى الرئيسية فى الحرب الثورية ، إلا أن الإنتاج الصغير الذى يتميزون به يضيق نظراتهم السياسية (و بعض الجماهير العاطلة تحمل أفكارا فوضوية) ، و لذا يعجزون عن قيادة الحرب قيادة صحيحة . و هكذا ، فلا مفر ، فى هذا العصر الذى ظهرت فيه البروليتاريا على المسرح السياسي ، من أن تقع مسؤولية قيادة الحرب الثورية على كاهل الحزب الشيوعي الصيني . و لا بد لأية حرب ثورية فى هذا العصر أن تنتهى إلى الهزيمة ، إذا لم تجد قيادة البروليتاريا و الحزب الشيوعي أو خالفتها ..." (المجلد الأول من " مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة "، صفحة 281، بكين ، الطبعة العربية).

و فى السنة الموالية ، فى "مهمات الحزب الشيوعي الصيني فى مرحلة مقاومة اليابان " ، أكد :

" إن البرجوازية الصينية التى يمكن أن تساهم فى الكفاح ضد الإمبريالية و الإقطاعية فى ظروف تاريخية معينة ، تتذبذب و تصبح خائنة فى ظروف تاريخية أخرى نظرا لضعفها الإقتصادي و السياسي، و هذا قانون قد أثبته التاريخ الصيني . و هكذا فقد حكم التاريخ بأن ثورة الصين الديمقراطية البرجوازية ضد الإمبريالية و الإقطاعية هي مهمة لا يمكن تحقيقها بقيادة البرجوازية و إنما بقيادة البروليتاريا وحدها . و إضافة إلى ذلك فلا يمكن التغلب على ما يكمن فى طبيعة البرجوازية من تذبذب و عدم مثابرة على الثورة ، و لا يمكن تفادى إجهاض الثورة إلا إذا أطلق العنان، إلى أبعد الحدود ، لثبات البروليتاريا و مثابرتها فى مجرى الثورة الديمقراطية. و يبرز أمامنا هذا السؤال الآن : هل تتبع البروليتاريا البرجوازية أم تتبع البرجوازية البروليتاريا ؟ إن هذه القضية ـ قضية مسؤولية القيادة فى الثورة الصينية ـ هي النقطة الأساسية التى تحدد نجاح الثورة أو فشلها. "(مصدر سابق ، صفحة 399).

و يشدد ماو تسى تونغ على هذه النقطة الأساسية تقريبا فى كافة أعماله المكتوبة قبل إفتكاك السلطة غير أنه لم يكتف بشرح ضرورة قيادة بروليتارية عموما بل قام كذلك بتطوير هام لجدلية المناهج المختلفة المستعملة فى علاقة بسلوك البرجوازية غير المستقر و المتقلب . ففى مقاله " تقديم لمجلة الشيوعي "(1939) ، قال إنه على حزب البروليتاريا أن يخوض نضالا حازما فى جبهتين حول قضية تشكيل الجبهة المتحدة مع البرجوازية :

" فيكافح من ناحية ضد الخطأ المتمثل فى تجاهل إمكانية إنضمام البرجوازية إلى النضال الثوري فى فترات معينة و إلى حدود معينة . و هذا الخطأ يتجلى فى إعتبار البرجوازية فى الصين مماثلة تماما للبرجوازية فى البلدان الرأسمالية الأخرى و من ثم تجاهل تشكيل الجبهة المتحدة معها و تجاهل المحافظة على هذه الجبهة قدر المستطاع ، و هذه هي نزعة الباب المغلق " اليسارية ". و من ناحية أخرى، يكافح ضد الخطأ المتمثل فى عدم التمييز بين البروليتاريا و البرجوازية من حيث البرنامج و السياسة و الإيديولوجية و التطبيق العملي و

غيرها ، و فى تجاهل الفوارق المبدئية الموجودة فى تلك المجالات . و هذا الخطأ يتمثل فى تجاهل حقيقة أن البرجوازية (و لا سيما البرجوازية الكبيرة) لا تبذل كل ما فى وسعها لبسط نفوذها على البرجوازية الصغيرة و الفلاحين فحسب ، بل تبذل قصارى جهودها للتأثير على البروليتاريا و الحزب الشيوعي ، و تسعى سعيا حثيثا لكي تقضي على استقلالهما الإيديولوجي و السياسي والتنظيمي و تجعلهمنا ذيلا للبرجوازية و حزبها السياسي و لكي تستأثر زمرة البرجوازية بكل ثمار الثورة ، و يتمثل أيضا فى تجاهل حقيقة أن البرجوازية (و لا سيما البرجوازية الكبيرة) تخون الثورة كلما تعارضت الثورة مع المصالح الخاصة لزمرتها . " (المجلد 2 ، صفحة 399-400).

ثم تحدث عن ضرورة إنتهاج سياسة تحالف و صراع مع البرجوازية و كتب :

" و الإتحاد هنا معناه تشكيل الجبهة المتحدة مع البرجوازية . و الصراع هنا معناه الصراع " السلمي " و "اللادموي " فى الميدان الإيديولوجي و السياسي و التنظيمي أثناء الإتحاد مع البرجوازية ، و لكن حينما يضطر الحزب إلى فض الإتحاد معها سوف ينقلب هذا الصراع إلى نضال مسلح . فإذا لم يفهم حزبنا وجوب الإتحاد مع البرجوازية فى فترات معينة فلن يحقق تقدما و لن تحرز الثورة تطورا ، و إذا لم يفهم حزبنا وجوب شن صراع "سلمي " حازم جاد ضد البرجوازية أثناء الإتحاد معها ، فسوف يتحلل هو إيديولوجيا و سياسيا و تنظيميا و تفشل الثورة . و إذا لم يشن حزبنا نضالا مسلحا حازما جادا ضد البرجوازية عندما يضطر إلى فض الإتحاد معها ، فإن حزبنا بالمثل سوف يتحلل ، و إن الثورة سوف تفشل كذلك . " (م2 ، ص 401) .

و تاليا ، قبل إنتصار الثورة الديمقراطية الجديدة ، إعتبر ماو تسى تونغ أن هيمنة البروليتاريا شرط ضروري لا فقط لإنتصار هذه المرحلة من الثورة و إنما أيضا و حتى أكثر لإنتصار المرحلة الإشتراكية . ورد فى " الثورة الصينية و الحزب الشيوعي الصيني " :

" إذا إستثنينا الحزب الشيوعي الصيني ، فلن نجد أي حزب سياسي آخر (سواء أكان حزبا سياسيا للبرجوازية أم حزبا سياسيا للبرجوازية الصغيرة) يستطيع النهوض بمهمة قيادة هاتين الثورتين العظيمتين ، ثورة الصين الديمقراطية و ثورة الصين الإشتراكية ، و إنجازهما بصورة كاملة . و لقد أخذ الحزب الشيوعي الصيني ، منذ اليوم الأول لتأسيسه ـ هذه المهمة المزدوجة على عاتقه ، و ناضل ، طوال ثمانية عشر عاما ، بجهد جهيد من أجل تحقيقها .

إن هذه المهمة مجيدة جدا ، و لكنها أيضا شاقة للغاية . و ليس فى الإمكان إنجازها بدون حزب شيوعي صيني متبلشف ، تنتشر فروعه فى جميع أنحاء البلاد و يتحلى بطابع جماهيري واسع ، حزب متوطد كليا فى الميادين الإيديولوجية و السياسية و التنظيمية. لذا ، فيجب على كل عضو من أعضاء الحزب الشيوعي أن يقوم بدور نشيط فى بناء مثل هذا الحزب الشيوعي . "

(م2، ص 457-458).

و غداة إفتكاك السلطة عبر البلاد بأسرها فى جوان 1949 ، حدّد ماو تسى تونغ بوضوح نوع السلطة التى ينبغى تركيزها خلال الثورة الديمقراطية الشعبية و فى نفس الوقت مواصلة و ضمان قيادة البروليتاريا لسلطة الدولة تلك . فى مؤلفه " حول الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية " قال :

" إن الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية تقوم على تحالف الطبقة العاملة و طبقة الفلاحين و طبقة البرجوازية الصغيرة فى المدن ، و بصورة رئيسية تقوم على تحالف العمال و الفلاحين ، لأن هاتين الطبقتين تؤلفان 80 إلى 90 بالمائة من مجموع سكان الصين . إنهما القوة الرئيسية فى الإطاحة بالإمبريالية و زمرة الكومنتانغ الرجعية ، كما أن الإنتقال من الديمقراطية الجديدة إلى الإشتراكية يتوقف أساسا على تحالفهما .

إن الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية تتطلب قيادة الطبقة العاملة ، لأنها هي الطبقة الوحيدة النافذة البصيرة ، و أكثر الطبقات إنكارا للذات ، كما أنها أكثر الطبقات حزما فى الثورة . و يبرهن تاريخ الثورات بأكمله على أن الثورة تفشل إذا كانت بدون قيادة الطبقة العاملة و أنها تنتصر إذا قادتها هذه الطبقة . و فى عصر الإمبريالية ، لا يمكن لأية طبقة أخرى ، فى أي بلد كان ، أن تقود ثورة حقيقية إلى النصر . و الدليل على ذلك أن الثورات العديدة التى قادتها البرجوازية الصغيرة و البرجوازية الوطنية فى الصين فشلت جميعا . " (المجلد 4 من "مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " ، صفحة 532-533، الطبعة العربية).

و بالضبط إثر هذا يشرح ماو تسى تونغ لماذا من الضروري ، خلال مرحلة معينة فى الصين ، الإبقاء على تحالف مع البرجوازية الوطنية تحت هيمنة البروليتاريا .

" إن للبرجوازية الوطنية أهمية كبيرة فى المرحلة الراهنة . فالإمبريالية ما زالت تقف فى وجهنا ، وهي عدو شرس جدا . إن الصناعة الحديثة فى الصين ما زالت تشكل قسطا ضئيلا جدا فى مجمل الإقتصاد الوطني . لا تتوفر الآن إحصائيات دقيقة، و لكن يستفاد من بعض المعطيات أن قيمة إنتاج الصناعة الحديثة قبل حرب المقاومة ضد اليابان لم تكن تشكل فى كل الإقتصاد الوطني

سوى 10 بالمائة تقريبا من قيمة الإنتاج الإجمالية . و لمواجهة الإضطهاد الإمبريالي و رفع الإقتصاد المتأخر إلى مستوى أعلى ، ينبغى للصين أن تفيد من رأسمالية المدن و الريف بإستخدام جميع عواملها المفيدة و غير الضارة للإقتصاد الوطني و حياة الشعب ، ينبغى لنا أن نتحد مع البرجوازية الوطنية لأجل النضال المشترك. إن سياستنا الراهنة تقوم فى تحديد الرأسمالية و ليس فى إزالتها. و لكن البرجوازية الوطنية لا يمكنها أن تلعب الدور القيادي فى الثورة، و ينبغى ألا تشغل مركز السيطرة فى سلطة الدولة ، و سبب ذلك هو ضعفها الذى يحدده وضعها الإجتماعي و الإقتصادي ، فتفتقر إلى التبصر و الشجاعة الضرورية ، و فوق ذلك ، يخشى عدد كبير من أفرادها الجماهير الشعبية . "(م س ، ص 533) .

و عقب إفتكاك سلطة الدولة ، فى كل خطوة من الطريق ، أكّد ماو تسى تونغ و أعاد التأكيد على الدور القيادي للبروليتاريا لا سيما خلال السنوات التى شهدت الإسراع فى الإنتقال إلى الإشتراكية على الصعيد الإقتصادي كافة . و فى 1953 ، فى " نقد أفكار ليانغ شومينغ الرجعية " أعلن :

" نتمسك بصلابة بمبدأ ضرورة أن تمارس البروليتاريا قيادتها فى كل شيئ (على العمال و الفلاحين و الصناعيين و التجار و مختلف القوميات و الأحزاب الديمقراطية و التنظيمات الشعبية و كذلك الصناعة و الفلاحة و الشؤون السياسية و العسكرية ، بإختصار على كل شيئ). و فضلا عن ذلك نمارس الوحدة و الصراع . إذا كان هنالك من يريد أن يتعرف على نوايانا ، حسنا ، هذه واحدة منها وهي جوهرية . أليست هذه مسألة ذات بال ؟ " (المجلد 5 من "مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة" ، الطبعة الفرنسية ، صفحة 138) .

و تتحول السيطرة القيادية تدريجيا إلى دكتاتورية البروليتاريا مع تقدم البلاد بإتجاه الإشتراكية و معارضة البرجوازية لذلك. فى " حول العشر علاقات الكبرى " المكتوب فى 1956 عندما كان ماو تسى تونغ يدافع عن الإبقاء على وجود بعض الأحزاب التى تمثّل قطاعات من البرجوازية الوطنية كطريقة لجرها نحو التعاون و تعرية معارضتها للإشتراكية ، أعلن بصراحة :

" لكن حاليا ، الحزب البروليتاري و دكتاتورية البروليتاريا ضروريين مطلق الضرورة و ينبغى مواصلة تعزيزهما . و إذا لم نفعل ذلك لن نتمكن من قمع المعادين للثورة و مقاومة الإمبريالية و بناء الإشتراكية و لن نتمكن من توطيدها حين نكون قد قمنا ببنائها . إن نظرية لينين بصدد الحزب البروليتاري و دكتاتورية البروليتاريا لم " يتقادما" كما يدعى البعض . و هذه الدكتاتورية لا يمكن تكريسها دون فرض القسر " (م 5 ،ص 321) .

و فى السنة ذاتها ، فى خطاب فى الدورة العامة الثانية للجنة المركزية الثامنة ، اشار ماو تسى تونغ إلى أن "أجهزة دولتنا هي أجهزة دكتاتورية البروليتاريا " (م 5 ، ص 366).

و هكذا نلمس أن خط ماو تسى تونغ فيما يتصل بالبرجوازية الوطنية خطا ماديا جدليا عميقا هدفه أن يعالج بحكمة التناقض الذى ينجم عن التقدم فى الطريق الإشتراكي فى بلد متخلف مثل الصين ببقاياه الإقطاعية الوطيدة .و من جهة تتم الإستفادة من الوجود المستمر للبرجوازية الوطنية كأمر ضروري من أجل تطوير قوى الإنتاج التى لم تكن الدولة قادرة فورا على مسكها بأيديها و من جهة أخرى، يتم تقييد تطور البرجوازية بدمج مؤسساتها فى قطاع الدولة خطوة خطوة فى شكل مؤسسات تابعة لها و يتم بإصرارالصراع ضد أفكارها و ممارساتها الرجعية. و كان هذا الخط يؤدى إلى الإنتصار التام لولا تدخل البرجوازية البيروقراطية الجديدة التى ظهرت داخل الحزب و الدولة و التى إلى حدود كبيرة عرقلت هذه السيرورة . و من هنا كشفت بصراحة عن مخططاتها لتركيز رأسمالية الدولة.

نقطة إنطلاق ماو تسى تونغ كانت إعتبار أن التناقض الرئيسي فى الصين ، بعد إنتصار ثورة الديمقراطية الجديدة هو التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية و هذا التناقض فى جوهره تناقض عدائي . ففى مارس 1949 فى تقريرإلى الدورة العامة الثانية للجنة المركزية، فى معارضة لصياغة ليوتشاوتشى أن التناقض الرئيسي كان بين النظام الإشتراكي المتقدم و قوى الإنتاج المتأخرة " كتب ماو:

" و بعد إنتصار الثورة الصينية على نطاق البلاد و حل مشكلة الأرض ، سيبقى فى الصين تناقضان أساسيان . الأول داخلي وهو التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازية . و الثاني خارجي وهو التناقض بين الصين و الدول الإمبريالية ."

(المجلد4 ، الطبعة العربية ، صفحة 468) .

و شدد على هذا فى العديد من أعماله اللاحقة على غرار " حول المعالجة الصحيحة للتناقضات فى صلب الشعب " و ما إنفك يؤكد الطبيعة العدائية لهذا التناقض . بيد أنه حتى للطابع الرئيسي للتناقض مظهران . فللتناقض العدائي طابع غير عدائي أيضا و فى ظروف معينة يمكن معالجته و حتى حله بطرق غير عدائية ذلك أن أية خاصية للتناقض (فى هذه الحال عدائية) يمكنها أن تنقلب

إلى ضدها . إمكانية التحول هذه بالضبط ، فى ظروف صراع مناهض للإمبريالية و الإقطاعية فى بلد متخلف ، هي التى خولت تكوين جبهة موحدة مع بعض القطاعات من البرجوازية التى لها تناقض مع البروليتاريا أقل عمقا من تناقضها مع الإمبريالية أو البرجوازية الكمبرادورية . و فضلا عن ذلك تسمح هذه الخاصية حين تستخدم طرقا صحيحة بإمكانية أن تتمكن البروليتاريا ، فى بلد أنجز ثورة مناهضة للإمبريالية و الإقطاعية و البرجوازية الكمبرادورية ، من معالجة تناقضاتها مع البرجوازية الوطنية أو جزء منها بطرق غير عدائية لمدة معينة و فى ظروف معينة.

و هذه الإمكانية فى تحويل طابع تناقض إلى نقيضه السائد ، من طابع عدائي إلى طابع غير عدائي ، رغم تطويرها و تطبيقها بحكمة من قبل ماو تسى تونغ (دون أن يجعل بأية حال من الأحوال هذه الجدلية مجرد نفي الأضداد) قد سبق و أن مارسها مؤسسو الماركسية و لينين ذاته. و فعلا ، فى مؤلفه " "علم المنطق" لهيغل " قال :

" إن الديالكتيك هو النظرية التى تدرس كيف يمكن لضدين أن يكونا متحدين ، و كيف يصيران متحدين (يتبدلان فيصيران متحدين) - فى أية ظروف يكونان متحدين ، و يتحول أحدهما إلى نقيضه - و لماذا ينبغى للفكر الإنساني ألا ينظر إلى هذين الضدين كشيئين ميتين جامدين ، بل كشيئين حيين مشروطين قابلين للتبدل و لتحول أحدهما إلى نقيضه ." (و ذكره ماو تسى تونغ فى " فى التناقض " ، المجلد1 ، صفحة 489) . و إنطلاقا من نظرة مادية و جدلية يشير لينين إلى أن إمكانية التحول مرتبطة بالظروف الملموسة ، و ليست مطلقة و لا مجردة و ميتافيزيقية.

و فى مقاله " بصدد كراس يونيوس " بيّن لينين أنه :

" غني عن القول إن الحكم الأساسي فى الديالكتيك الماركسي يتلخص فى كون جميع الحدود فى الطبيعة و فى المجتمع هي إصطلاحية و متحركة ، و إنه ما من ظاهرة لا تستطيع أن تنقلب إلى ضدها إذا توفرت الظروف لذلك." (لينين" المختارات فى 10 مجلدات" ، المجلد 6 ، صفحة 71، دار التقدم موسكو ، الطبعة العربية) . و نبّه إثر ذلك إلى أن هذا مرتبط بظروف ملموسة فلا يجب أن نسقط فى السفسطة بإسم الديالكتيك. و مثال ذلك تفنيد لينين لكاوتسكي الذى صاغ "الطريق السلمي للإشتراكية " مستشهدا بإشارة ماركس و إنجلز إلى مثل هذه الإمكانية فى أنجلترا و فى الولايات المتحدة و لينين لم يفند تلك الإمكانية (التى تعنى معالجة تناقض عدائي بشكل غير عدائي) فى المطلق بل دلّل بالأحرى على الظروف الملموسة التى أدت بهم إلى إعتبار تلك الإمكانية حينها ، و هي ظروف كفت تماما عن الوجود لما إستشهد بها كاوتسكى.و من جهة أخرى ، قاد نفس الفكر المادي الجدلي لينين ، على الرغم من التناقض العدائي بين البروليتاريا و البرجوازية فى روسيا فى ظل الظروف الملموسة التى أوجدتها فى سبتمبر 1917 القوة الكبيرة للبروليتاريا و للتحضيرات للإنتفاضة ، قاده إلى التفكير فى الإمكانية الخاصة و الآنية لمعالجة التناقض العدائي لإفتكاك السلطة بطريقة سلمية ، دون إنتفاضة ، مثلما شرح فى مقاله " مهام الثورة " .

و إنجلز ذاته ، من جهته ، دعى إلى الإنتباه إلى أنه فى حين ألأن التناقض العدائي بين البرجوازية و نبلاء الإقطاع عولج بفرنسا عبر ثورة عنيفة ، فإنه فى إنجلترا من جهة أخرى ،" سنة 1869 ، أدت الثورة إلى تقريبا إتفاق بين جزء من النبلاء و البرجوازية" .

و على هذا الأساس ، كانت رؤية ماوتسى تونغ لمعالجة التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية الوطنية بطريقة غير عدائية فى ظل أولا ظروف الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية بقيادة البروليتاريا و ثم فى ظل دكتاتورية البروليتاريا ، كانت رؤية صحيحة للواقع الملموس للصين حتى حين كان التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية الوطنية هو تناقض عدائي . زيادة على ذلك ، لأجل الحصول على إنتاج رأسمالي بينما يتم تعزيز القطاع الإشتراكي فى الإقتصاد و لم يكن هنالك من طريق آخر سوى القيام بأقصى الجهود للإستمرار على مثل هذا الحل الذى هو طبعا ، لا يتوقف فقط على البروليبتاريا و لكن أيضا على سلوك البرجوازية . لقد ناضل ماو تسى تونغ فى سبيل الحفاظ على هذه العلاقة مع البرجوازية دون التخلى عن القضاء على الرأسمالية تدريجيا ، و عن النضال ضد جميع الجهود الرجعية للبرجوازية .

ذات قيمة لا حدود لها هي الدروس التى يمكن إستخلاصها من سياسة الوحدة و الصراع هذه مع البرجوازية الوطنية ، خاصة بالنسبة للبلدان التى يتعين عليها أن تمر بمرحلة الثورة الديمقراطية الجديدة و لا ينبغى أن نضع هذه الدروس جانبا ما آلت إليه مؤقتا الثورة الصينية بفعل الممارسات الخيانية و الرجعية لنوع آخر من البرجوازية الذى نشأ و تطور صلب الحزب الشيوعي و الدولة الصينيين . و علينا أن نأخذ بعين أنه كان على الثوريين الصينيين أن يناضلوا ضد بقايا القوى الرجعية المطاح بها عبر الثورة الديمقراطية الجديدة (البرجوازية الكمبرادورية و الإقطاعيون) . و ضد البرجوازية الوطنية و النوع الجديد من البرجوازية التى ظهرت داخل الإقتصاد الإشتراكي ذاته .

إثر إنتصار الثورة الديمقراطية الجديدة سنة 1949 ، صاغت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو تسى تونغ مخططا ل18 سنة للقيام بالتحويل الإشتراكي فى المدن و فى الريف . و بيّن ماو تسى تونغ فى "حول قضية التعاونيات الفلاحية " فى جويلية 1955 أن اللجنة المركزية " تتوقع أن يحقق فى الأساس التعاونيات الفلاحية فى ثمانية عشر سنة . خصصنا فترة ممتدة على أكثر

من ثلاث سنوات ، من تأسيس جمهورية الصين الشعبية فى أكتوبر 1949 إلى نهاية سنة 1952 ، إلى النهوض بإقتصادنا . فى ميدان الفلاحة ، إليكم ما أنجزناه خلال هذه الفترة : فإضافة إلى كوننا أنهينا الإصلاح الزراعي و ركزنا الإنتاج ، فى جميع المناطق المحررة سابقا، وسعنا بشكل كبير تنظيم مجموعات التعاون و شرعنا فى إيجاد تعاونيات نصف إشتراكية مما خوّل لنا تحصيل بعض التجربة . ثم أتى المخطط الخماسي الأول فى 1953 . و الآن منذ ثلاث سنوات تقريبا يستمر تحقيقه و حركتنا التعاونية تمتد إلى البلاد بأسرها فإغتنت تجربتنا . بين تأسيس جمهورية الصين الشعبية و إنهاء المخطط الخماسي الثالث تكون مرت 18 سنة فى الجملة . و خلال هذه الفترة ، نقترح أن نحقق بالأساس التحويل الإشتراكي للفلاحة إلى جانب التصنيع الإشتراكي و التحويل الإشتراكي للصناعات التقليدية و كذلك الصناعة و التجارة الرأسماليين . هل هذا ممكن ؟ تعلمنا التجربة السوفياتية أن هذا ممكن تماما . ففى الإتحاد السوفياتي إنتهت الحرب الأهلية فى 1920. و أنجزت التعاونيات الفلاحية فى 17 سنة ، من 1921 إلى 1937 لكن الجوهري فى هذه المهمة أنجز فى ست سنوات ، من 1929 إلى 1934 . " (صفحة 212 من المجلد الخامس من "المؤلفات المختارة لماو تسى تونغ " ، الطبعة الفرنسية) .

بيد أن ماو ، فى نهاية 1955 ، ملخصا تطور التعاونيات فى الريف يستخلص أنها تجاوزت بصفة واسعة الحسابات السابقة فقرّر الإسراع فى كافة سيرورة مشركة البلاد .

فى عمله " مقدمات للنهوض الإشتراكي فى ريف الصين " قال :

" فى تقريري المؤرخ فى 31 جويلية 1955 المخصص للتعاونيات الفلاحية ، أشرت إلى أن 16.900.000 عائلة فلاحية تجمعت فى تعاونيات . و هكذا ، فى غضون بضعة أشهر ، إزداد العدد بأكثر من خمسين مليون عائلة . و هذا حدث خارق للعادة . و هذا يدلل على أن سنة واحدة -1956 - تكفى لتتم عمليا التعاونيات نصف الإشتراكية فى فلاحتنا. و بعد ثلاثة أو أربعة سنوات (يعنى فى 1959 أو 1960) نكون قد أتممنا بالأساس تحويل التعاونيات من نوع نصف إشتراكية إلى تعاونيات إشتراكية كليا . و بالإضافة إلى ذلك يدلل على أنه للإستجابة إلى حاجيات التطور الفلاحي ، علينا أن نعمل من أجل إنهاء التحويل الإشتراكي فى الصين للصناعات التقليدية و كذلك للصناعة و التجارة الرأسماليين قبل التاريخ المتوقع .

و راكم ماو تسى تونغ تجارب جماهير الفلاحين فى الحركة التعاونية و لخصها ،و فى أواخر 1955 أعدّ كتبا يشمل أكثر من مائة ملاحظة ملخصا التقارير عن مختلف المناطق الريفية (و المجلد الخامس لا يحتوى منها إلا على 43 فحسب) .

و قد برزت بجلاء من قبل المعارضة الشرسة التى أبدتها العناصر الإنتهازية داخل الحزب الشيوعي الصيني مستخدمة ذرائع " ثورية " لإيقاف حركة المشركة فى الريف و حتى لحل العديد من التعاونيات. و سابقا فى 1953 وجد ماو تسى تونغ نفسه مضطرا للمطالبة بأنه " لا يمكن إرسال الوثائق و التلغرافات بإسم اللجنة المركزية إلا بعد أن أطلع عليها و إلا فهي غير صالحة " لأن ليوتشاوتشى و اتباعه الذين عارضوا إنتشار الحركة التعاونية ، أصدروا أوامر من وراء ظهر ماو تسى تونغ لإيقاف تلك الحركة و أمروا بحل التعاونيات. و أعدت البرجوازية الوطنية نفسها فى إطار تحالف مع البرجوازية الجديدة التى ولدت و ظهرت داخل الحزب الشيوعي ذاته و قد زودها بالطاقة بخاصة صعود خروتشاف و شركائه إلى السلطة فى الإتحاد السوفياتي ، و الذين لهم معه بالتأكيد روابط سرية منذ زمن طويل . و كانت البرجوازية الوطنية قد تلقت ضربة شديدة فى نهاية 1951 من خلال الحملة الشعبية التى أجريت فى المؤسسات الرأسمالية ضد الفساد و التهرب من الضرائب و إختلاس أملاك الدولة و التلاعب بعقود الحكومة و سرقة المعلومات الإقتصادية . و تلقت البرجوازية الجديدة التى كانت من جانبها تعمل على توطيد ذاتها صفعة بفعل الحملة المضادة للفساد و التبذير و البيروقراطية .

و فى أكتوبر 1955 ، دعا ماو تسى تونغ لإجتماع مع اللجنة التنفيذية للجامعة الوطنية للصناعة و التجارة و فى نوفمبر من السنة عينها ، أكّد :

" ستساعدنا التعاونيات الفلاحية على إحكام تحالفنا مع الفلاحين على أساس الإشتراكية البروليتارية و ليس على أساس الديمقراطية البرجوازية مما سيعزل البرجوازية مرة واحدة و سيسهل القضاء النهائي على الرأسمالية . و فى هذا الأمر لا نرحم بالمرة ! فى هذا الأمر الماركسية قاسية بالفعل لأنها حدّدت هدفها إستئصال الإمبريالية و الإقطاعية و الرأسمالية و الإنتاج الصغير إستئصالا من الجذور . بهذا الصدد من الأفضل ألا نكون رحيمين . إن بعض رفاقنا طيبون للغاية و لا يملكون صلابة كافية بمعنى أنهم ليسوا ماركسيين كما ينبغى . إنه لأمر جيد و ذو مغزى أيضا أن نقضي على البرجوازية و الراسمالية فى الصين وهي بلد يعد 600 مليون نسمة و غايتنا هي القضاء على الرأسمالية و سحقها سحقا من على وجه الأرض و جعلها شيئا من الماضى . "

و عن الدورة العامة السابعة للجنة المركزية السابعة ، صدر قرارالتحويل الشامل للصناعة و التجارة إلى مؤسسات متعاونة مع الدولة قاضية على المؤسسات الخاصة. و بين جانفى 1956 و نهاية تلك السنة ، حولت جميع فروع ال112 ألف مؤسسة صناعية

خاصة و 400 ألف مؤسسة تجارية و بالتالى كان الرأسماليون يتحصلون على ربح يقدر ب5بالمائة من قيمة ملكيتهم المنزوعة من طرف الدولة إلاّ أنه جرى القضاء على هذا الربح كليا مع الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى سنة 1966.

و على الرغم من موجات الضربات الكبرى الموجهة ضد البرجوازية فى قاعدتها الإقتصادية ، تواصل الصراع الطبقي معها . فى سنة 1957 ، فى مؤلفه " حول المعالجة الصحيحة للتناقضات فى صلب الشعب "، بيّن ماو تسى تونغ أن الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازية ، و الصراع الطبقي بين مختلف القوى السياسية و الصراع الطبقي بين البروليتاريا و البرجوازية فى المجال الإيديولوجي سيكون محتدما و معقدا و أحيانا حتى حادا . فالبروليتاريا تبحث عن تحويل العالم وفق نظرتها هي للعالم و كذلك تبحث البرجوازية عن تحويل العالم وفق نظرتها هي . و فى هذا الصدد لم تحسم بعد مسألة من سينتصر الإشتراكية أم الرأسمالية . (المجلد 5 ، صفحة 444 ، الطبعة الفرنسية)

و يضع ماو تسى تونغ طريقة مزدوجة فى تطوير الصراع فى المجال الإيديولوجي و تخص طريقة التعاطي مع المعادين للثورة المطاح بهم عبر الثورة الديمقراطية الجديدة و تخص الأخرى التفكير الخاطئ لدى المثقفين و البرجوازية الصغيرة و البرجوازية الوطنية .

" حين يتعلق الأمر بالمعادين للثورة الصرحاء و بالعناصر التى تخرب قضية الإشتراكية ، المسألة سهلة الحل : نحرمهم ببساطة من حرية التعبير . و لكن حين يتعلق الأمر بالأفكار الخاطئة الموجودة فى صلب الشعب ، فإنها قضية أخرى. هل يمكن أن نلغي هذه الأفكار و ألا ندع لها و لا إمكانية للتعبير عن نفسها ؟ بالطبع هذا غير ممكن . لن يكون الأمر غير ذى فعالية بل أيضا مضر للغاية لو إتبعنا طرقا تبسيطية لمعالجة القضايا الإيديولوجية فى صلب الشعب ، قضايا تتصل بالعالم الذهني للإنسان . يمكن أن نمنع التعبير عن الأفكار الخاطئة ، و مع ذلك ستظل موجودة هنا . و الأفكار الصحيحة إذا نشأت فى بيوت مكيفة و لم تتعرض للريح و المطر ،إذا لم تلقح ، لن تستطيع التغلب على الأفكار الخاطئة عندما تواجهها . و هكذا فقط عبر طريقة النقاش و النقد و المحاججة يمكننا فعلا تطوير الأفكار الصحيحة و القضاء على الأفكار الخاطئة و معالجة المشاكل .

و بالتأكيد ستجد الأفكار البرجوازية و الأفكار البرجوازية الصغيرة طريقة للتعبير عن نفسهما . و مما لا شك فيه أن هاتان الطبقتان ستجتهدان لفرض نفسيهما بكافة الوسائل الممكنة فى المسائل السياسية و الإيديولوجية . لا يمكن إلا أن يكون الأمر على هذا النحو. لا ينبغى أن نلتجأ إلى الطرق القسرية لمنعها من التعبير ، ينبغى أن نسمح لها بذلك و فى نفس الوقت يتعين أن نخوض نقاشا معها و ننقد أفكارها بطريقة مناسبة . و لا ريب أنه علينا أن نخضع للنقد جميع أنواع الأفكار الخاطئة . و يقينا نخطأ أن لا ننقد الأفكار الخاطئة و أن ندعها تنتشر بسلام و تتمكن من الأذهان - علينا نقد كل خطإ و مقاتلة كل عشبة سامة." (المجلد5، صفحة 446) و ذلك لتعويد جماهير الشعب بقيادة الحزب على النضال ضد تأثير إيديولوجيا البرجوازية و البرجوازية الصغيرة .

" تهدف سياسة " لتتفتح مائة زهرة لتتنافس مائة مدرسة " إلى تشجيع تطور الفن و تقدم العلم و كذلك إزدهار الثقافة الإشتراكية فى بلادنا فى ميادين الفن و مختلف الأشكال والأساليب ينبغى أن تتطور بحرية . فى تقديرنا ، سيكون ضارا لتطور الفن و العلم اللجوء إلى الإجراءات الإدارية لفرض هذا الأسلوب أو هذه المدرسة و منع أسلوب آخر أو مدرسة أخرى .الصحيح و الخاطئ فى الفن و العلم مسألة يجب معالجتها عبر النقاش الحر فى الأوساط الفنية و العلمية ، عبر ممارسة الفن و العلم و ليس عبر الطرق التبسيطية ".(المجلد 5 ، صفحة 443) .

وفى الشهر الموالي ، فى خطاب له فى الندوة الوطنية للحزب الشيوعي الصيني حول العمل الدعائي أضاف :

" تتطور الحقيقة فى صراعها ضد الخطإ . و هذا ينطبق على الماركسية . ففى خضم الصراع ضد الإيديولوجيا البرجوازية و البرجوازية الصغيرة تطورت و لا يمكنها التطور إلاّ فى هذا الخضم " (المجلد 5 ، صفحة 470) .

و من هنا نستشف أن سياسة إرساء حوار واسع فى صفوف الشعب إلى جانب سياسة النقاش و النقد و النقد الذاتي داخل الحزب للنضال ضد الأفكار الخاطئة واحدة من أهم إضافات ماو تسى تونغ ذات المغزى العظيم بالنسبة لبناء الإشتراكية و إيجاد الظروف التى تخول المرور إلى الشيوعية فالمسألة جوهريا هي مسألة جماهير الشعب الواسعة الصانعة للتاريخ بقيادة الحزب و الماركسية حيث تتدرب و تحرر نفسها عبر النقاش والتمييز الواعي بين الصحيح و الخطإ وبين التقدمي و الرجعي . ومهمة الحزب البروليتاري هي إيجاد الظروف التى تخول للطبقة العاملة و الجماهير أن تعي و تأخذ على عاتقها كافة المسائل الإيديولوجية و السياسية فيجعل الحزب نفسه غير ضروري كحزب قيادي و تضمحل الدولة . و حتى نبلغ الأهداف التى رسمها فى البداية مؤسسو الماركسية يلزم القضاء على تقسيم العمل و الفوارق بين العمل اليدوي و العمل الفكري و بين المدينة و الريف و الفوارق بين الحزب القيادي و الجماهير . و من المستحيل التقدم فى هذا الإتجاه إن تعامل الحزب القيادي تعاملا أبويا و أملى على الجماهير ما هو صحيح و ما هو خاطئ و ما هو تقدمي و ما هو رجعي . لا يمكن للحزب ، لقطاع طليعي أن يحتكر الوعي و التفكير و يحل محل الجماهير لأن ذلك لن يفعل سوى تأبيد الحاجة إليه .

و على العكس من ذلك ، يجب على الحزب أن يوجد الظروف لتفكر الجماهير لذاتها بمواجهة الأفكار الخاطئة و لتفكر بصيغة جيدة ، بتوجيه النقاش و إقناعها بالأفكار الصحيحة و بتفوق الماركسية مقارنة مع الإيديولوجيات المناقضة لها .

... فى البلدان الرأسمالية و غيرها ، بشأن القيادات النقابية ، يمكننا قول إنه ثمة قادة يمارسون بطريقة صحيحة فيقدمون معرفتهم بحرية إلى الجماهير معلمين إياها أن تفكر لذاتها و أن تعري كل مؤامرات المستغِلين و تنظم صفوفها و تأخذ المبادرة لكي تتجنب الشلل و عدم القدرة على التحرك إن سقط هؤلاء القادة فى النضال . و إجمالا يقومون بدور قيادي مجتهدين فى جعل أنفسهم فى كل مرة أقل ضرورة و مساعدين الجماهير على تحرير نفسها . و من جهة أخرى ثمة قادة من أجل تأبيد مواقعهم ، يحولون معارفهم إلى ملكية خاصة باذلين قصارى جهدهم ليجعلوا من أنفسهم ضروريين على الدوام و لا يفعلوا أي شيئ لتشجيع مبادرة الجماهير و قدرتها على تحرير نفسها .

و الشيئ نفسه يمكن أن يحدث مع حزب شيوعي فى السلطة أو مع قادة معينين داخل الحزب . و تمسى هذه السياسة الأبوية خطيرة جديا إذا ما إنحرف قادة الحزب أو الحزب نفسه عن الخط الثوري و لم تتمرس البروليتاريا و لم يتمرس الشعب على التمييز بين الصحيح و الخاطئ و بين التقدمي و الرجعي عبر المشاركة النشيطة فى الصراع الإيديولوجي . و إن إرساء خط تحريفي فى البلدان التى سبق و أن إفتكت فيها البروليتاريا السلطة لدليل على ذلك .

<u>5 / الصراع ضد التحريفية الصينية</u> :

من الطبيعي أن الشرط الضروري لتربية الجماهير على هذا الجدال الإيديولوجي هو وجود حزب شيوعي صلب ، مسلح بالماركسية-اللينينية . فدون طليعة تقنع الجماهير و توجهها خلال الصراع ضد الأفكار الخاطئة أو الرجعية ، يوجد خطر أن تنتصر هذه الأفكار الأخيرة و فى الصين ، كانت الطريقة الصحيحة للجدال التى رسمها ماو تسى تونغ و الماركسيون -اللينينيون الصينيون فى طريقها إلى النجاح فى صفوف الشعب لولا مسك التحريفيين بمواقع هامة فى الحزب الشيوعي الصيني .

لم يع ماو تسى تونغ المدى الحقيقي لهذه القوة التحريفية إلى حين تفجر الصراع ضد التحريفية السوفياتية . و يمكن أن يوجه له نقد جدي لأنه لم يتفطن لذلك غير أنه من الواضح أن لا لينين و لا ستالين تنبآ بمدى قوة التحريفية الناشئة فى صفوف الحزب الشيوعي ذاته و التى تهدف إلى تركيز نظام إستغلالي جديد فى شكل رأسمالية الدولة . و يعدّ التطور الإقتصادي الإشتراكي و مركزته بأيدى الدولة و إمكانية التخطيط له ، تعد قاعدة إقتصادية شديدة القوة يستخدمها التيار التحريفي كوسائل لإستغلال الشعب و إضطهاده عبر رأسمالية الدولة . مقارنة بجهود البرجوازية المطاح بها من أجل إعادة تركيز سلطتها و بولادة برجوازية من صلب الملاكين الصغار فإن خطر البرجوازية الجديدة خطر أكبر بكثير .

لقد توقع إنجلز هذا الخطر و فى مقدمته لكتاب ماركس " الحرب الأهلية فى فرنسا " نادى بتعزيز دكتاتورية البروليتاريا بعد الإستيلاء على السلطة لمنع " تحويل الدولة و أجهزتها من خادمة للمجتمع إلى سيدة عليه " و لتبقى "حاجزا فعليا دون التفتيش عن المذاهب و الوصولية " .

و لينين بدوره فى " تقرير عن برنامج الحزب " للمؤتمر الثامن ، حذّر من أن :

" البيروقراطيين القيصريين أخذوا ينتقلون شيئا فشيئا إلى المؤسسات السوفيتية ، حيث ينشرون الروح البيروقراطية ، و هم يتظاهرون بأنهم شيوعيون ، و هم يستحصلون على بطاقات عضوية الحزب الشيوعي فى روسيا لكي يؤمنوا نجاحا أكبر فى الترقى . و هكذا يعودون من الشباك بعد أن طردوا من الباب ." (صفحة 481 من "المختارات فى 10 أجزاء " المجلد 8 ، دار التقدم ، الطبعة العربية) .

لكن ما من قائد توقع مدى المشكلة التى لم تعد مشكلة تسلل أعداء للحزب و للدولة بل مشكلة فساد العناصر التى كانت فى الماضى ثورية و التى إعتادت على إمتيازات توفرها لها مواقعها فى السلطة و شرعت فى العمل على توطيد إمتيازاتها و توسيعها على حساب الشعب .

و حاليا ، رغم عدم توصل هذه الصراعات الإيديولوجية و السياسية العظيمة التى شجعها ماو تسى تونغ على النطاق الجماهيري إلى تحطيم أعداء الثورة الذين تسربوا إلى الحزب و الذين نشأوا فى صفوفه و فى أجهزة الدولة الصينية ، فمن مآثرها أنها أجبرت التحريفيين على إماطة اللثام و كشف كافة جوانبهم الرجعية .

و مثلما مرّ بنا وجد ماو تسى تونغ و الماركسيون - اللينينيون الصينيون أنفسهم يواجهون فضلا عن الرجعيين المطاح بهم بفضل الثورة و البرجوازية الوطنية ،التيار التحريفي المنافق الذى كان يخفى أغراضه الدنيئة و الذى كان يسيطر على مواقع هامة فى الحزب و الدولة . و لم يأخذ ماو تسى تونغ حذره من هذا و لم يتوقع الأبعاد الحقيقية ، إلا عندما طفقت تتعرى وجوه التحريفيين الذين

سيطروا على الحزب الشيوعي السوفياتي و سلطة الدولة فى الإتحاد السوفياتي ، بعد 1956. و فوق ذلك ، لم تكن المشكلة التى إعترضته حالة صينية منعزلة بقدر ما كانت ظاهرة تحريفية عالمية حقيقية عناصرها متشابكة و متعاونة مثلما سنرى تاليا .

فى البداية صار ممثلو البرجوازية الجديدة معروفين فى الحزب من خلال رؤاهم الرجعية رغم أنهم كانوا يختفون وراء تعليلات كانوا يدعون بها الدفاع عن الثورة . و نجح جلهم فى إخفاء عملهم التكتلي السري لمدة طويلة من الزمن . غايتهم عامة هي التسلل إلى الحزب و أجهزة الحكم و إفسادها و معارضة تطور الإشتراكية فى المدن و فى الأرياف حتى يكرسوا مخططاتهم الخاصة فى إعادة تركيز الرأسمالية و التفتيش عن حلفاء ضمن البرجوازية الوطنية و حتى ضمن رجعيين آخرين أسوأ .

و مثلما أشرنا كان هنالك ، إثر إنتصار الثورة الصينية فى 1949 إختلاف عميق بين ماو تسى تونغ و ليوتشاوتشى ،أحد أهم زعماء التحريفيين [لقّب لاحقا بخروتشاف الصين] فيما يتصل بالتناقض الرئيسي بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية . يؤكد ماو تسى تونغ فى ملاحظة مرسلة إلى خلايا الحزب فى 1952 يفند فيها رأي رئيس قسم العمل الجبهوي الموحد التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني و الذى قدم البرجوازية الوطنية على أنها طبقة وسطى ، يؤكد على أن : " إثر الإطاحة بطبقة الإقطاعيين و البرجوازية البيروقراطية ، صار التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازية الوطنية هو التناقض الرئيسي فى الصين .. ." (مجلد 5، صفحة 80) .

و بعدما صاغ هذا التأكيد فى أكتوبر 1957 ، وجد نفسه مضطرا إلى إعادة صياغته ونقد كون المؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني قدم التناقض الرئيسي على أنه تناقض بين "النظام الإشتراكي المتقدم و قوى الإنتاج الإجتماعية المتخلفة." وشدّد على أن "هذه صيغة غير صحيحة " .

من المعلوم أن ليوتشاوتشى و أتباعه يرغبون فى إيقاف الثورة عند مرحلة الثورة الديمقراطية الجديدة و التخلى عن نظرية الصراع الطبقي ضد البرجوازية معتبرين أن تطور قوى الإنتاج سيفضى إلى الإشتراكية . فى إجتماع المكتب السياسي إنعقد فى 1953 ، كان على ماو تسى تونغ أن يصارع شعارا نشره ليوتشاوتشى و آخرون ، شعار "تركيز نظام الديمقراطية الجديدة " و من ورائه أرادوا معارضة تقدم البناء الإشتراكي .

منذ مطلع الخمسينات، عارض ليو تشاوتشى و جماعته كلمة و فعلا الحركة التعاونية التى من خلالها كان الريف يتقدم نحو الإشتراكية و من الطبيعي أنهم عللوا آراءهم بجمل ظاهريا ماركسية و برروها بالدفاع عن مصالح جماهير الفلاحين و معارضة "الإنزلاق اليسراوي " فى الحركة التعاونية . و بذات الطريقة ، مخفين نواياهم الحقيقية بتعليلات تبدو ظاهريا ماركسية ، عارضوا التقدم السريع لمشركة الصناعة و التجارة و الصناعات الحرفية فى المدن .

و قبل ذلك ، فى ماي 1949 ، أثناء مؤتمر الشباب الأول ، صرّح ليوتشاوتشى أنه من الضروري تطوير الرأسمالية بصورة كبيرة و ان عدد المصانع و الآلات أهم من نظام الملكية . و فى مناسبة أخرى أعرب عن أنه " حين يكون للصين فى المستقبل فائض إنتاج ساعتها سيحين زمن بناء الإشتراكية " .

و على إثر إتمام القضاء فى الأساس على الصناعة و التجارة الخاصين و على الصناعة الحرفية ، فى 1956 ، غير ليوتشاوتشى و جماعته تكتيكهم و شرعوا فى التصريح بأن بهذه التحويلات إنتهى صراع الطبقات فى الصين . و مثلا فى 1957 ، فى ندوة لكوادر الحزب بشنغاي ، شدد على أن" البرجوازية قد تم القضاء عليها بالأساس " و أن الصراع الطبقي فى الصين إنتهى بالأساس " و مع ذلك واصل نشاطاته لتشجيع الرأسمالية فى الريف و المدينة مستعملا كالعادة تعليلات تبدو ظاهريا ماركسية . و فى 1961 ، أشار فيما يتعلق بإقتصاد الفلاحين إلى " إننا لا نخاف أن تخرج الرأسمالية من أيدينا و يجب الإبقاء على السوق الحرة " . و فى السنة الموالية ، أكد فى محادثاته مع كادر فى طريقه إلى الوحدات الأساسية " فى السنوات الماضية لم يكسب الفلاحون من الإقتصاد الجماعي " و تحدث فى خطاب له فى 1963 عن " أنه من الضروري القيام بتراجع كاف فى الصناعة و الفلاحة إلى جانب تركيز الإنتاج العائلي و برامج النشاطات الفردية أكثر فأكثر . " و تبع دنك سياو بينغ هذا التصريح بجملة غدت الآن شهيرة : " طالما إستطعنا رفع الإنتاج يمكننا العودة إلى الإستغلال الفردي . لا يهمّ إن كان القط أسود أم أبيض طالما أنه يصطاد الفئران " .

هذه و غيرها من الموضوعات الرجعية المقنعة بلغو ماركسي إستعملت تعلة " الدفاع عن مصالح الجماهير " و معارضة " الأخطاء اليسارية ". و قد حاربها ماو تسى تونغ و الماركسيون - اللينينيون الصينيون موجهين لها نقدا حادا ضمن خلايا الحزب و هم غير واعين بعد بالنوايا المبيتة التى تدفع المدافعين عنها . و كان مثل هذا النضال مقعدا للغاية بما أن التحريفيين – كما سنرى – يحتلون مواقعا هامة فى الحزب و فى أجهزة الدولة و ضمنوا مساندة بيروقراطية عريضة ضمن المواقع الوسطية فى كل من الحزب و الدولة . و زيادة على ذلك ، كانوا يعتمدون على المساندة السرية للتيار التحريفي الذى ركّز نفسه بمثل تلك الأشكال على النطاق العالمي .

و من جهته إشتغل دنك سياو بينغ نفسه [قائد تحريفي آخر سيكون على رأس الإنقلاب المضاد للثورة فى 1976 و على رأس الدولة لاحقا] بخاصة لما بلغ السيطرة على مركز الأمين العام للحزب الشيوعي الصيني بتسريب أتباعه إلى مراكز هامة فى الحزب و الدولة و بزرع الفساد فى صفوف كوادر الحزب و مختلف مؤسسات الدولة . و فى 1951 ، أحدث نظام حوافز مالية للموظفين و ركّز فى 1955و 1956 عدة أنماط من الحوافز التى تفسد و تشترى ولاء العديد من البيروقراطيين فى مستويات مختلفة . بهذه الطريقة أوجد عدة جوائز لأعمال خاصة يوزعها القياديون و شيد مدارسا خاصة بأبناء الكوادر الذين سيلعبون في ما بعد دورا إستفزازيا رجعيا أثناء الثورة الثقافية البروليتارية الكبر ى. أضف إلى ذلك نظام الإنتقاء غير العادل بالجامعات و الإمتحانات التى تساعد فعليا أبناء البرجوازية و الشرائح الإجتماعية التى إحتكرت الثقافة فى الماضى . و فى المؤسسات الصناعية و التجارية و الفلاحية أعيد تركيز إدارة الفرد الواحد المحاط بالتكنوقراطيين بعيدا عن مراقبة لجنة الحزب و الجماهير كل هذا مع إستعمال واسع لنظام الحوافز المالية كوسيلة لإفساد بعض القطاعات من الجماهير.

و بهذه الوسائل و ما شابه وطدت البرجوازية الجديدة قاعدة مساندتها داخل الحزب و الدولة (و كذلك ضمن القوات المسلحة) بعشرات الآلاف من الكوادر المتوسطة المستوى و عزلت الماركسيين - اللينينيين فى الحزب عن الجماهير .

وفى معاضدة منه لهذا العمل التخريبي للحزب ، أعاد ليوتشاوتشى نشر كتابه " كيف تكون شيوعيا جيدا؟ " و وزعه على نطاق واسع . و هو يعول على ما حصل و ما يقام من إفساد للحزب دعى إلى "ربط المصالح الشخصية بمصالح الحزب بصفة مطلقة و غير مشروطة " و أضاف " إن مصالح الحزب فوق كل إعتبار ، هذه هي أهم المبادئ التى توجه فكر جميع الشيوعيين و عملهم ." دون أن يأخذ بعين الإعتبار مبادئ و مصالح البروليتاريا و الشعب التى هي أساس وجود الحزب . و هكذا دافعين الإرتباط بالحزب إرتباطا أعمى ، أعدوا الظروف لمنع من لم يطلهم الفساد من الإنتفاض عندما يشرعون فى إستعماله صراحة كأداة لإعادة تركيز الرأسمالية . و فى نفس الوقت يعلل طرق الفساد بشأن الحياة المادية التى لقيت منهم التشجيع بتعلة أنها "ضرورية لضمان الظروف اللازمة للعمل و التعلم بما يسمح لهم بالقيام بأعمالهم بشكل مريح و يسمح بتحقيق مهام الحزب ".

و ترافق ذلك بدفع الوصوليين للإلتحاق بالحزب حيث صرّح أنه " من غير الضار أن تبحث بعض العناصر عن مساعدة فى الحزب الشيوعي ، إنها أتت بحثا عن حل لمشاكلها " . و من جهة أخرى دافع كتاب ليوتشاوشى عن فكرة أن " ثوريو العهود الأخرى ... يمكن أن يتحولوا ضد الطبقات المستغَلة ليضطهدوها و لكن هذا غير ممكن أبدا فيما يتصل بالثورة البروليتارية و الحزب الشيوعي " . و على هذا النحو ذرّ الغبار فى الأعين حتى لا تلاحظ الخيانة المفتوحة التى كانوا يعدون لها .

أما تقرير دنك سياو بينغ عن تغيير القانون الأساسي للحزب المقدم للمؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني على توطئة كاملة تعلن إضمحلال الطبقات الإجتماعية و تدافع عن أن " تجاوز الطرق القديمة لقبول عضوية الحزب غدت ضرورة نظرا إلى أن هذا المفهوم عن " التفريق بين العناصر الإجتماعية " صار فاقدا لمعناه القديم أو يكاد يفقد أي معنى له " .

و فى خطابه فى ندوة الكتاب العامين للجان الحزب للضواحي و البلديات و المناطق المستقلة ، فى جانفى 1957 إنطلق ماو فى نقده للوصولية و الفساد المتفشيين فى الحزب :

" حاليا ، داخل الحزب و خارجه ظهرت مشاكل إيديولوجية تستحق أن نتوقف عندها بصورة خاصة . و إليكم مثالا مشكل ظهر فى صفوفنا نحن . فبعض الكوادر مثلا ، يبحثون عن الشهرة و الإمتيازات و لا يفكرون إلا فى مصالحهم الخاصة . خلال تعديل المعاملات ، برز أن أناسا لم يكونوا راضين عن ترقية بدرجة و لا حتى بترقية بدرجتين ، و ظلوا ينتحبون فى فى بيوتهم. و لعله كانت من اللازم ترقية من ثلاث درجات لإخراجهم منها. و مع ذلك بكاؤهم هو الذى عجل بحل المشكلة : لن نطبق مستقبلا هذا النوع من التعديل فى معاملة الكوادر. و ستظل الأجور بشكل عام متساوية ، أو على الأقصى مع بعض الإختلافات الطفيفة . فى الماضى ، فى حكومة نبلاء الحرب فى بيبانغ ، وجد وزير أول يسمى تانغ تشاو يى صار لاحقا رئيس منطقة تشونغتشان من محافظة كوانغتونغ . لئن قبل وزير أول من المجتمع القديم أن يخدم كرئيس منطقة ، فلماذا إذا لا يستطيع وزراؤنا القيام بالشيئ ذاته ؟ فى تقديري ، إن الذين يسعون جاهدين للحصول على علاوات و لا يقبلون إلا بالترقيات و ليس بالعكس لا يساوون بهذا المضمار ذلك الوزير القديم . إنهم لا يسعون للتساوى مع الذين يعيشون حياة بسيطة و يعملون كثيرا و يتمتعون بالقليل و إنما يلهثون وراء الترف و الترقيات و المنصب السامي . الآن قد نمى هذا النوع من التفكير إلى حد كبير داخل حزبنا مما يقتضى إعارة الإنتباه إليه ." (المجلد 5 ، صفحة 380) .

و فى الخطاب عينه ، مع نقده للذين يعارضون سيرورة مشركة الريف ، تناول بالتحليل بعض الفوضى التى حصلت فى صفوف الطلبة و المثقفين فى الصين كصدى لما جدّ فى المجر تحت تأثير هجمات خروتشاف على ستالين .

و مع السماح للغاضبين من صفوف الشعب بالتعبير عن آراءهم جمع ماوتسي تونغ نقدهم المصيب وعبّأ الجماهير و أيقض وعيها فى الصراع ضد الأفكار الرجعية التى عبر عنها الغاضبون . و إعتبر انه من الضروري أن نوفر مجالا ووسائل تعبيرللشرائح الرجعية من البرجوازية الوطنية حتى تتمكن من " إفراغ سمومها" لكي تتوصل الجماهير لمعرفتها و صراعها على أفضل وجه . و بالطبع ليس الهدف سوى النضال الفعلي ضد هذه التوجهات غير الصحية فى المجتمع و إقتلاعها من الجذور . قال :

" يجب خوض صراع ضد التيارات الضارة فى المجتمع ، سواء فى صفوف الحزب أو الشخصيات الديمقراطية أو الطلبة ، تيارات بمعنى الأخطاء التى ليست أخطاء بعض الأشخاص و إنما تلك التى تطورت إلى تيارات يجب إلحاق الهزيمة بها نهائيا . . ."

و أضاف :

" فى دولتنا التى هي دولة دكتاتورية البروليتاريا لا ينبغى أن ندع بالطبع البذور السامة تنتشر دون مراقبة سواء داخل الحزب أو فى المجالات الإيديولوجية أو الأدبية أو الفنية . ينبغى أن نحاول أن نضمن أن الأزهار الماركسية العطرة تحتل الموقع الأساسي و المهيمن. ينبغى ألا نبقى على البذور السامة وما هو غير ماركسي أو مضاد للماركسية فى موقع ثانوي."

و فيما يتصل بالمعادين للثورة فالخط مغاير حيث يشير إلى أنه " ينبغى القضاء على المعادين للثورة . و حيث لم ننته من هذه المهمة مثلما كان متوقعا ، يبغى الإنتهاء منها فى غضون هذه السنة . و لئن بقي ما لم ينجز فى هذا الميدان ، يتعين إتمامه فى السنة المقبلة . " (المجلد 5 ، صفحة 412) .

و قد وقعت غالبية شرائح البرجوازية الوطنية فى هذا الشرك إذ فكرت أن التسهيلات التى لقيتها للإفصاح عن نقدها دليل على ضعف و تركت المجال الأكاديمي البحث و قامت بهجومات متصلة ضد الحزب و الإشتراكية . فكشف أمر العديد من الذين كانوا يصرحون بقبول الإشتراكية خوفا أمام الجماهير . و نظّم جماهيريا هجوم معاكس مركّز بما أطاح بالتعليلات الرجعية فاضحا إياهم كرجعيين حقيقة .

إتخذ هذا النضال ، فى البداية ، شكل حملة تصحيح ضد البيروقراطية و الإنعزالية و الذاتية منذ مطلع ماي 1957 . و بات طابع الحملة مفتوحا لمساهمة الجماهير مستعملة الدازيباو [نصوص حائطية ذات حروف كبيرة] . و سيستغل ماو تسى تونغ دروس التجربة أفضل إستغلال بعد ذلك خلال الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى . كان التحريفيون داخل الحزب يمارسون بحذر و تجنبوا الظهور جميعهم لدفع البرجوازية فى هجومها بما أنهم كانوا يخشون تعريض أنفسهم و كانوا يخططون لإفتكاك الحصن من الداخل . كما كانوا يخشون نقد البيروقراطية الذى نهضت به الجماهير . و مع ذلك تقدمت بعض العناصر بأفكارها الرجعية . ضمن عناصر الحزب الشيوعي و رابطة الشباب الشيوعي، أطل المتذبذبون برؤوسهم أو ذهبت نيّة بعضهم للقيام بذلك .

" تهدف هذه الحركة إلى تقديم توجه سياسي صحيح و رفع المستوى الإيديولوجي و تجاوز نواقص عملنا والتوحد مع الجماهير العريضة و عزل اليمينيين البرجوازيين و كافة العناصر الأخرى المناهضة للإشتراكية و شق صفوفهم. وضمن اليمينيين البرجوازيين الذين نتحدث عنهم هنالك ايضا الذين تسللوا للحزب الشيوعي أو لرابطة الشباب ، و يتخذون موقفا سياسيا مماثلا لموقف اليمينيين خارج الحزب و الرابطة . لقد خانوا قضية البروليتاريا الثورية لشنهم هجومات مسعورة ضد حزبنا . لذلك ينبغى فضحهم بعمق و طردهم من الحزب و الرابطة من أجل تطهير الصفوف " . (المجلد 5 ، صفحة 515-516).

وبادر ماو تسى تونغ بتنظيم حملة التصحيح بخطاب تلاه قبل أشهر من بدايتها فى ندوات الكوادر فى تسيان و نانكين . فيه أيضا قام بتحذير شديد اللهجة ضد مظاهر الفساد فى الحزب :

" منذ إنتصارنا فى الثورة، تراجعت الإرادة الثورية لدي بعض رفاقنا و بتراجع إندفاعهم الثوري تقلص تفانيهم فى خدمة الشعب قلبا و قالبا و حصل الشيئ نفسه بشأن تحدى الموت الذى تحلّوا به أيام القتال ضد أعدائنا .و فى نفس الوقت نراهم يطالبون بالمواقع و يتباهون بما يتميزون به من مأكل و مشرب و هم يتزاحمون من أجل الأجر و يبحثون عن الشهرة و الكسب . إنها نزعات بصدد النمو ."

و فى أكتوبر 1957 ، فى خطابه أمام الجلسة الثالثة عشر للندوة العليا للدولة ، قال :

" الثورة الإشتراكية أمر جديد بالنسبة لنا جميعا . فى الماضى لم ننجز سوى الثورة الديمقراطية ذات الطابع البرجوازي و التى كانت تهدف إلى القضاء على الملكية الإمبريالية و الملكية الإقطاعية و الملكية الرأسمالية البيروقراطية و مع ذلك لا تطال الملكية الخاصة و لا ملكية الرأسمال الوطني . و إذن نجح العديد من الناس فى إختبار الثورة الديمقراطية .. بعضهم كان قليل الحماس للذهاب بهذه الثورة إلى نهايتها و بالرغم عنهم تجاوزوا الإمتحان . و أراد آخرون الذهاب بها إلى نهايتها و فعلوا. و اليوم المنعرج هو الثورة

الإشتراكية هو الذى ينبغى تجاوزه و يجد البعض من الصعب القيام بذلك. و لنأخذ مثلا، حال عضو حزب فى هوباي كان فى السابق أجيرا فلاحيا . إنه من عائلة إضطرت على التسول طوال ثلاثة أجيال . عند التحرير تحرر و حتى حصل على نوع من الرفاه و صار كادر منطقة و مع ذلك ، كان يبدو غاضبا للغاية ضد الإشتراكية و كان لا يوافق بقوة على التعاونيات . كان يطالب ب"الحرية " و يعارض سياسة الشراء و البيع الموحدين للدولة " (المجلد 5 ، صفحة 543) .

و بعدُ لم يدرك ماو تسى تونغ عمق تغلغل هذا الفساد الذى أفرزته البرجوازية الجديدة التى نشأت من عدد كبير من الكوادر الوسطى و لم يدرك أيضا عمق رجعية طبيعة الخروتشافيين الصينيين. و فى خطاب له فى جانفى 1957 وقعت الإشارة إليه سابقا، واصل تأويل الرؤى الرجعية المموهة التى صاغها التحريفيون فى المناصب العليا أو أتباعهم الأقل درجة ، كأخطاء تذبذب. و أشار مثلا إلى أن : " غالبية كوادر حزبنا مستائين من المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي و يرون أنه ذهب بعيدا فى الهجوم على ستالين . وهذا إحساس و رد فعل طبيعيين غير أن أقلية من الكوادر أخذت تتذبذب. كلما أعلن عن إعصار قادم ، قبل هطول المطر، غادرت الحشرات جحورها فأنوفها حساسة للغاية و لها معرفة بأحوال الطقس . عندما إندلع إعصار فى المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي ، وجدت كذلك فى الصين حشرات غادرت جحورها . إنها عناصر حزبية مترددة تتذبذب أمام أدنى حدث . عندما سمعت عن حملة التنديد بستالين، شعرت براحة و إنحرفت إلى الجهة الأخرى . و أطلقت صراخا تحية لخروتشاف الذى إعتبرته على حق على طول الخط و أنها كانت دائما تحمل تلك الآراء ." (المجلد 5 ، صفحة 384) . و يسترسل بعد أسطر ليقول :

" شهد بعض أعضاء حزبنا فى الماضي أنواعا مختلفة من الإختبارات. و لكن من الصعب عليهم إجتياز إختبار الإشتراكية ...و إلى جانب أولئك وجد فى الحزب أناس عارضوا احركة التعاونيات الفلاحية . و بإختصار هنالك بعض الكوادر العليا فى الحزب غير قادرة على إجتياز إختبار الإشتراكية و هم مترددون ." (المجلد 5 ، صفحة 385) .

من البديهي أن ماو تسى تونغ إلى حينها لم يدرك المصالح الرجعية (و الروابط السرية) التى وجدت بين هؤلاء الكوادر فى المناصب العليا للحزب الشيوعي الصيني المترددة و خروتشاف و أتباعه فى الإتحاد السوفياتي و بلدان أخرى أين وقعت خيانة الإشتراكية و الذين سبق و أن تمكنوا من مغالطة ستالين بشأن مراميهم الحقيقية.

على كل حال ، بالضبط إثر إنطلاق حملة التصحيح فى 1957 إتخذت الكثير من الإجراءات الهادفة لمحاربة البيروقراطية فى الحزب و الدولة و مختلف أنواع المؤسسات .و فى ملاحظاته أمام الدورة العامة الثانية للجنة المركزية الثامنة ، شدد ماو تسى تونغ على أن " هنالك مئات الآلاف من الكوادر فى مستوى لجان الحزب بالمناطق يمسكون مصير البلاد بأيديهم . إذا فشلوا فى إنجاز عمل جيد ، عزلوا أنفسهم عن الجماهير و إذا لم يعيشوا عيشة بسيطة و لم يعملوا بجهد ، سيكون للعمال و الفلاحين عذر شرعي فى عدم الموافقة على الإبقاء عليهم . يجب أن نراقب العمل خشية تشجيع طريقة العمل البيروقراطية والتطور بإتجاه التحول إلى شريحة أرستقراطية معزولة عن الشعب . و سيكون للجماهير عذر شرعي فى إبعاد كل من يمارس البيروقراطية من العمل و كذلك كل من لا يقوم بجهود و لا يحاول أبدا أن يقدم تعويضات . أقول إنه من الأفضل الإستغناء عن مثل هؤلاء و يجب أن يتمّ الإستغناء عنهم . "

بعد ذلك ، ملخصا آراء الجماهير فى حملة التصحيح ، قال إنه من المتأكد أن على الكوادر القيادية (بما فيها كوادر الحزب الشيوعي و الإتحادات و الإدارة و رابطة الشباب الشيوعي) أن تساهم بإستمرار فى العمل اليدوي و ينبغى أن تتحد مع العمال فى حياتها اليومية و أن تتخلص بتصميم من الإمتيازات التى تفصلها عن الجماهير . نحتاج إلى جهود كبرى لتقليص و تبسيط خارطة العمل التنظيمية و تقليص عدد العاملين فى تنظيمات الحزب و الإدارة و النقابات و كذلك العاملين بالمؤسسات غير الضروريين و غير المنتجين . ينبغى أن نعير الإنتباه إلى تعويد الكوادر على المساهمة فى الإنتاج لوقت جزئي أو كامل. و ينبغى بذل جهود خاصة لإيجاد روابط وثيقة بين التقنيين و عمال الإدارة من جهة والعمال من جهة ثانية. و ينبغى مراجعة و تحطيم الحواجز التى تقف فى طريق الإنتاج و تعرقل مبادرة العمال . و طريقة جيدة لدفع العمال و الموظفين نحو العمل الإداري و لمحاربة البيروقراطية هي إجتماعات العمال بقيادة لجنة الحزب.

و بعد تلخيص هذه المرحلة التجريبية، يتعين إستعمال هذه الطريقة إستعمالا شاملا فى حملة التصحيح الراهنة و تعميمها على كافة البلاد . وفق توجيهات اللجنة المركزية، لإجتماعات العمال المهام و الصلوحيات التالية :

1- معالجة ونقاش تقرير عمل المعمل الذى يقدمه المدير و معالجة و نقاش خطة إنتاج المعمل المالية و التكنولوجية و العمل و الأجور و كذلك أهم الإجراءات لأجل تحقيق الخطة و تقديم الإقتراحات .

2- معالجة و نقاش إستعمال الحوافز المالية و الصحة العمومية و الرعاية الطبية و مالية الإتحاد و المالية تحت تصرف الإدارة لحماية العمل و كذلك مصاريف أخرى من أجل صحة العمال. بشأن هذه المسائل يمكن للقرارات أن تتخذ و تقدم لإدارة المؤسسة أو قطاعات معينة أخرى لتطبق طالما لم تتناقض مع مقررات و توجيهات خلايا المستوى الأعلى.

3- إقتراح تحويل الكوادر القيادية للمؤسسة نحو الخلية الإدارية التالية الأعلى عند الضرورة .

4- تقديم مقترحات إلى الخلية الأعلى حين لا يوافق إجتماع العمال على قراراتها . "

ويؤكد القرار على أن الإستعمال الشامل للدازيباو ضروري حتى يتمكن العمال و الموظفون من التعبير عن آراءهم . فمثل هذه المعلقات الحائطية ذات الحروف الكبيرة بشكلها البسيط و طريقتها الجميلة جيدة للغاية لتعبئة الجماهير إنهم جادون وواضحون فى نقدهم لأخطاء القياديين و أخطاء العمال ذاتهم و فى تقديم المقترحات لعقلنة العمل . و الدازيباو يمكن أن تتحول تدريجيا إلى وسيلة إتصال قارة هامة بواسطتها يمكن للنقد و النقد الذاتي أن ينتشر عبر المعامل و الدواوين و المعاهد.

مثّل هذا التوجيه نفسا جادا ضد الأرضية التى تغذى التحريفيين فى الحزب و فى الدولة و دفعا عميقا للجماهير و بثّ الخوف فى البيروقراطية الإنتهازية و قادتها الذين يعرقلونها بكل الأشكال الممكنة. فى الأعمال الجديدة لهنش ، فى 1958 إستخدم العمال مليون معلقة كبيرة /دازيباو و أحدثوا 360 ألف تجديد تقني و مع ذلك فإن هذه الإجراءات المعادية للبيروقراطية لن تستعمل بفعالية إلا إبان فترة نهوض الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى.

6 / القفزة الكبرى إلى الأمام :

معولا على إندفاع الجماهير ، رسم ماو تسى تونغ خطة القفزة الكبرى إلى الأمام للإسراع فى البناء الإشتراكي على أساس وعي الجماهير و مبادرتها و إندفاعها . فملأ الذعر صفوف التحريفيين الصينيين و شبكة بيروقراطييهم و كذلك المتآمرين السوفيات بفعل فكرة التقدم فى البناء الإشتراكي و خاصة بالمراهنة على وعي الجماهير و مبادرتها فإستعدوا لعرقلة هذا الخط عرقلة تامة. و رغم العراقيل التى وضعوها ، أدت القفزة الكبرى إلى الأمام إلى تقدم باهر فى الإنتاج و فى إنشاء صناعات جديدة أشكالها أكثر إشتراكية فى الريف بفضل إنضمام التعاونيات إلى الكمونات الشعبية و بخاصة بفضل إستخدام وعي الجماهير العريضة فى إنجاز البناء الإشتراكي .و منذ 1958 ، إنطلق العمل على صعيد آلاف المركبات الصناعية و المنجمية بما فيها 45 مركبا كبيرا جدا و 700 منها شرعت فى الإنتاج سنتها . و إرتفع إنتاج الحديد بنسبة 49.5 بالمائة مقارنة بالسنة السابقة فبلغ 8 ملايين طن (11 مليون طن إذا ما أخذنا بعين النظر الحديد المنتج بالوسائل البدائية وإن لم تكن له نفس الجودة) . و بلغ إنتاج الفحم الحجري 270 مليون طن وهو ضعف إنتاج 1957. و بلغ إنتاج الحبوب 250 مليون طن أي بنسبة أرفع ب 35 بالمائة من 1957 و إرتفع إنتاج القطن إلى 1.1 مليون طن أي بنسبة 28 بالمائة. و تحول ملايين الفلاحين إلى الإنتاج الصناعي مما رفع بصفة هامة من وزن الطبقة العاملة فى المجتمع .

و فى الحقيقة ، فيما يخص الجانب الإقتصادي ، إرتكبت أخطاء إعترف بها ماو تسى تونغ و تحمل مسؤوليتها . و من تلك الأخطاء خطأ عدم إنسجام إندفاع الجماهير الجبار إلى الأمام مع تخطيط ثاقب النظر أكثر و عدم الأخذ بنظر الإعتبار لضعف نظام المواصلات الصيني نسبة لكمية إرتفاع الإنتاج . وعلاوة على ذلك ، لم تكن هنالك حسابات موضوعية بصدد كيفية تحقيق الفلاحة تغذية الملايين الذين تحولوا إلى الإنتاج الصناعي فى المدن . بيد ان أهم المشاكل التى برزت خلال القفزة الكبرى إلى الأمام مردها العرقلة المركزة للتحريفيين الصينيين و شركاؤهم السوفيات و إلى الآفات الطبيعية المتعددة التى شهدتها الصين بين 1959و 1961. وفى أوت 1960 أمر خروتشاف بعودة 1390 من الإخصائيين السوفيات الذين كانوا يديرون و ينشؤون عدة مشاريع صناعية فى الصين ، و ألغي إنجاز257 مشروعا علميا و تقنيا مشتركا و أوقف بناء 300 مصنعا آخرين خاصة فى الصناعة الثقيلة . و شجعت البيروقراطية العاملة لفائدة التحريفيين الصينيين من جهتها على المضاربة فى القروض و كراء الأراضي و تحويل الأموال العمومية إلخ . و أرفقت ذلك بتشجيع إجراءات يسراوية لتفقد الحركة مصداقيتها وهو ما سيفعلونه بعد ذلك خلال الثورة الثقافية. و إضافة إلى كل هذا و فى إطار المحاصرة الثنائية الأمريكية السوفياتية للصين ، شهدت البلاد آفات طبيعية بين 1959و 1961 . إثر جفاف 1959 بسنة ، جعلت الفياضانات و الإعصارات 150 مليون هكتار من الأرض قاحلة ما يعادل نصف المساحة الجملية المزروعة و هلكت 60 مليونا أخرى و قطعت الطرق و السكك الحديدية إلى حد كبير و عمت الصين مجاعة قاسية.

و فى 1959 شنت البرجوازية الجديدة الصاعدة هجوما شاملا على الخط العام لبناء الإشتراكية مستخدمة الأخطاء المرتكبة فى القفزة الكبرى إلى الأمام تعلة و مستندة على ظروف الحياة الصعبة و التى زادت سوءا بفعل الآفات الطبيعية . فقام بينغ تاه هواي وهو عميل مفضوح للتحريفيين السوفيات و الذى كان قد إقترح تعصير الجيش الصيني بإستعمال الأسلحة السوفياتية لجعله تابعا للتحريفيين السوفيات ، قام بهجوم شرس على القفزة الكبرى إلى الأمام ناعتا تعبئة الجماهير ب " تعصب برجوازي صغير " و تمادى إلى حد الدعوة المفتوحة لتدخل سوفياتي معلنا أنه " إذا كان العمال و الفلاحون الصينيون غير جيدين ، فإن حدثا من النوع المجري يمكن أن يجدّ هنا و من الممكن أن يغدو ضروريا تدخل سوفياتي " . و بعث وزير الدفاع هذا و عنصر المكتب السياسي

للحزب الشيوعي الصيني المكلف باللجنة العسكرية للجنة المركزية ، بعث رسالة بنقده للقفزة الكبرى للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي و إلتقى خروتشاف للتآمر فى ماي 1959 . و لهذا المرتد روابط قوية مع كاو كانغ الذى تمت تعريته فى نهاية 1953. و هكذا دافع خروتشاف فى المؤتمر الثانى و العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي مبرزا الروابط بين جماعته و بعض شرائح البرجوازية الجديدة الصينية التى ترمى لإعادة تركيز الرأسمالية هي أيضا .

وإندفع كذلك ليوتشاوتشى و دنك سياو بينغ أنفسهما فى هجوم على القفزة الكبرى إلى الأمام حيث صرح دنك سياو بينغ :" تسير الأحمرة ببطء هذه حقيقة و لكنها قلما تتعرض إلى حوادث " . و عُيّن ليوتشاوتشى رئيسا للجمهورية فى 27 أفريل 1959 و إن لم يتمكنا من طرد ماو تسى تونغ نظرا للمساندة التى كان يتمتع بها فى صفوف الجماهير فإنهما عزلاه إلى أقصى الحدود . ففى 1959 لم يستطع ماو تسى تونغ أن ينشر فى الجريدة اليومية للحزب تقريرا لتشانغ تشن تشياو حول العادات البرجوازية داخل الحزب . و فى جانفى 1960 صاغ ماو تسى تونغ تعليقا على " إعلان أنشن " الذى كتبه عمال الحديد مطالبين بتطبيق مبادئ مناهضة للإدارة الفردية البيروقراطية بيد أن كتابة الحزب لم تعتبر نشر هذه الوثيقة "أكيدا ".

و إلتأمت الدورة الثامنة للجنة المركزية الثامنة فى 2 أوت 1959 و شن ماو تسى تونغ هجوما كاسحا على بينغ تاه هواي فقال : " عند مجيئي لاحظت أشياء ثلاثة : أننا حققنا أمورا عظيمة و أن عديد المشاكل لازالت فى حاجة إلى معالجة و أن المستقبل وضاء . و لكن برزت أنواع جديدة من المشاكل بقيام اليمين الإنتهازي بهجوم بلا هوادة على الحزب . لا يوجد جناح أكثر شيوعية ... و لا مبالغات خيالية و الان المشكل ليس معارضة اليسار و إنما معارضة اليمين ... بعد عدة شهور من النضال ضد تيارات يسارية من الطبيعي أن يظهر تيار يميني. فى الحقيقة وجدت نواقص و إرتكبت أخطاء غير أننا أصلحناها و مع ذلك ما إنفكوا يطالبون بإصلاحات. يستخدمون ذلك لمهاجمة الخط العام للحزب ساعين إلى إزاحتنا ".

و مثلما هو معلوم على نطاق واسع ، هدّد ماو تسى تونغ حينها بالعودة إلى الريف و بتنظيم جيش ضد الحكومة إذا ما ركّز اليمينيون سلطتهم .و قد ملأهم الذعر ، تراجع التحريفيون و قبلوا التضحية ببيتغ تاه هواي من أجل صيانة مواقعهم .

و بتعلة إصلاح "الأخطاء الإقتصادية " و "عقلنة الإنتاج " ، خلال الستينات ، أدخل التحريفيون مجددا الحوافز المالية و دفعوا بالجماهير خارج المساهمة فى إدارة المؤسسات مرسين من جديد هيمنة المديرين و التقنيين . و فى الوقت نفسه أرسلوا جماعات إصلاح للريف أطاحت بالعديد من القادة الثوريين و طالبت الجماهير بأن لا تعرقل عمل الكوادر التى عينتها تلك الجماعات . و فى 1962 تحت غطاء عمل و تعاليق كلاسيكية شرعوا فى مهاجمة خط الحزب و طالبوا بإعادة الإعتبار لبينغ تاه هواي . و من جانبه هاجم لو تينغ يي الذى كان مسؤولا عن التعليم ، القفزة الكبرى إلى الأمام و العمل لنصف وقت و الدراسة لنصف وقت وهي سياسة تركزت فى المعاهد حينذاك .

و إستمر ماو تسى تونغ يصارع التحريفيين و فى إجتماع بيتاهو ، فى 1962 ، فكرّر النداء : "لا ينبغى نسيان الصراع الطبقي " . و فى ماي 1963 صاغ وثيقة ال10 نقاط لدفع حركة التربية الإشتراكية . و بعد ذلك صاغ وثيقة ال23 نقطة لنفس الغرض . و أكد على أن " أهم نقطة فى هذه الحملة هي إصلاح أولئك الناس داخل الحزب ذوى السلطة و الذين يتبعون الطريق الرأسمالي ... بعض هؤلاء ذوى السلطة أتباع الطريق الرأسمالي يقومون بذلك بصفة مفضوحة و يتحرك آخرون وراء الستار . و يوجد بعض الذين يساندونهم فى مناصب دنيا و بعض آخر فى مناصب أعلى ... فى المناصب العليا ثمة من يعارضون بناء الإشتراكية فى الكمونات و فى الضواحي و فى المقاطعات و حتى فى العمل فى الجهات و فى اللجنة المركزية " . ثم يسترسل ليقول " بصورة عامة ، حاليا لا يطبق خط الحزب و ليست هنالك عناية بالثورة و البناء الإشتراكي ... لو لم نجد علاجا لهذا فإن تنظيما على غرار نادى بيتوفى سيتشكل يوما ما ."

<u>7/ الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى :</u>

و مثلما هو معروف للغاية ، فى نهاية 1965 ، إنطلقت أول معارك الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و لو أنها كانت فقط على المستوى الإيديولوجي (نقد مقالات تتضمن مقترحات غير مباشرة لإرجاع بينغ تاه هواي).

حركة الثورة الثقافية حركة جماهيرية عظيمة بدأت فى الأوساط الشبابية ثم شارك فيها العمال و الفلاحون للإطاحة بالتحريفيين فى الحزب و الدولة و لإعادة المسك بجزء السلطة السياسية الذى إستولوا عليه .وهي فى الوقت عينه محاولة لكنس سياساتهم الرجعية فى مجالات الإنتاج و التعليم و الثقافة و فيما يتصل بالخط العام لبناء الإشتراكية الذى عارضوه . و بالفعل إنقسمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني إلى مركزي قيادة مركز قيادة البرجوازية الجديدة و مركز قيادة البروليتاريا . للبرجوازية الجديدة كما سنلمس فى خضم الثورة الثقافية و خاصة من خلال الأحداث التى جدت بعد وفاة ماو تسى تونغ ، قاعدة قوية من المساندين ضمن الكوادر الوسطى للحزب و القوى المسلحة و الدولة عموما . لقد أعطى عمل الإفساد ثماره ، فى الإتحاد السوفياتي كذلك بعد وفاة ستالين أثبتت البرجوازية الجديدة سيطرتها على الحزب الشيوعي السوفياتي . و الشيئ نفسه وقع فى الأحزاب الشيوعية فى البلدان

الرأسمالية ذلك أن جلّها هيمنت عليها قيادة تحريفية و تبنت غالبية كوادر الحزب والجزء الأكبر من المنخرطين الخط الخروتشافي. و يمثّل الماركسيون - اللينينيون (بما فيهم قيادات بعض الأحزاب حالات إستثنائية) أقلية إنتهت إلى القطع مع التحريفيين لأجل تكوين أحزاب ماركسية – لينينية شيوعية حقيقية . وفى البلدان الرأسمالية و البلدان الإشتراكية سابقا يساند التحريفيون بعضهم البعض و يتعاونون فى صراعهم ضد الماركسيين - اللينينيين . و شرع كذلك الماركسيون - اللينينيون فى التعاون .

و لكن الإختلاف الأساسي مع التحريفيين الذين يحتلون موقعا مهيمنا فى صفوف الأحزاب الشيوعية للبلدان الإشتراكية سابقا هو أنهم يمسكون هنالك بالسلطة و يسيطرون على الإقتصاد و الدعاية و الجيش إلخ . و بالتالى من غير الكافي النضال ضدها إيديولوجيا و سياسيا لرسم خط تمايز بين المعسكرين و طردهم من الحزب أو الخروج عن الحزب حين يكونون هم المهيمنون عليه . و فى البلدان الإشتراكية سابقا من الضروري تعبئة الجماهير للإطاحة بهم من السلطة فى الحزب و الدولة . إنه صراع طبقي حقيقي من اللازم لغاية إبعادهم من السلطة التى إستولوا عليها المرور بمراحل كما فى أي صراع طبقي و عزل الأعداء الأخطر و القيام بتحالفات مؤقتة مع الذين يمكن أن يشكلوا خطرا أقل .

تحتاج أية معركة ثورية لحزب طليعي . و فى هذه المعركة ضد التحريفية فى البلدان حيث توصلت إلى المسك بأجزاء مفاتيح من سلطة الدولة ثمة حاجة أيضا لحزب قيادي ، لحزب شيوعي . و لكن هنا يطرح تناقض كبير نفسه بجدية . بما أن السيطرة التحريفية على جزء هام و حيوي من سلطة الدولة تتأتى من مواقع هامة و حيوية (كما نعتقد كان الحال بالنسبة للصين) إحتلوها فى طليعة الحزب .

كيف يمكن أن نلوم الماركسيين - اللينينيين الصينيين لعدم إستعمالهم للخلية القيادية للحزب الشيوعي الصيني فى الثورة الثقافية ؟ كيف كان بإمكانهم ذلك و الحال أن التحريفية هيمنت على الحزب ؟ و فى البلدان الرأسمالية هل يمكننا كماركسيين - لينينيين أن نستعمل هيكلة الحزب الشيوعي فى غالبية الأحيان ؟ ألسنا مجبرين على القيام بعمل تكتلي و على النضال ضد الإضطهاد التحريفي فى تلك الأحزاب و نجتهد لإنقاذ أوفر عدد من العناصر النزيهة و أخيرا نقطع مع التحريفيين ؟ و بالعكس بالنظر إلى ما حصل إثر وفاة ماو تسى تونغ ، لو كان هنالك أمر يمكن أن نلوم الماركسيين - اللينينيين الصينيين عليه فهو وعيهم و توقعهم بصفة متأخرة للفضح الشامل لقاعدة مساندة التحريفيين فى الحزب لا سيما ضمن الكوادر الوسطى أو قيامهم بذلك بصورة متأخرة . إبان الثورة الثقافية و بعدها ، واصلوا الحديث عن قيادة الحزب الشيوعي الصيني و الحال بالفعل أن ما يشار إليه هو مجموعة صغيرة من القياديين الثوريين الذين قادهم ماو و عناصر تبعتهم ، وسط عدد كثيف من الكوادر الوسطى و حتى عناصر ملتزمة علنيا و سريا مع التحريفيين حتى بعد إبعاد أهم القادة .

فى الأحزاب الشيوعية القديمة للبلدان الرأسمالية ، لمدة معينة قبل الإنفصال خضنا كماركسيين - لينينيين مثل هذه المعركة مع أن الأمر هنالك يتعلق بمشكلة إسترجاع سلطة دولة معقدة متحدثين بإسم الحزب الذى يمثلونه بالفعل و شرعيا و لكنه بعمق منقسم ، لأجل أن يستعيدوا الحزب الشيوعي الصيني . لم يعثر ماو تسى تونغ و الماركسيون- اللينينيون الصينيون على حل آخر سوى تعبئة الجماهير ضد ممثلى البرجوازية الجديدة الذين تسللوا للحزب و الحكومة و الجيش و لمختلف مجالات الثقافة التى هي معقل التحريفيين المعادين للثورة أو نشأوا ضمنها . و نظرا للقوة الكبرى الشديدة للتحريفيين فى الحزب و الدولة ، لجأ الماركسيون - اللينينيون إلى إستخدام التأثير الكبير لماو تسى تونغ على الجماهير و حتى إلى الإعتماد على لين بياو و القوات المسلحة هذا بالرغم من أنه كانت لماو إختلافات معه فى الماضى و أنه إستاء من طرق لين بياو الدغمائية (مثلما عبّر عن ذلك ماو تسى تونغ فى رسالة إلى زوجته سنة 1966) . و إستغل لين بياو سمعة

ماو ليعمل لحسابه و مآربه الخاصين . و بحكم العزلة التى وصل إليها ماو تسى تونغ فى السنوات السابقة على الثورة الثقافية و القوة التى كدسها التحريفيون يبدو هذا التحالف مع لين بياو (الذى بلغ حدّ الإنحراف عندما عُيّن خليفة لماو فى المؤتمر التاسع) معللا و حتميا . و كان تأكيد ماو تسى تونغ لقادة ألبانيا بأن " مجموعة المرتدين ليوتشاوتشى و دنك سياو بينغ إستولت على الحزب و الدولة و مكاسب الثورة الثقافية فى خطر " صحيح تمام الصحة و موضوعي غاية الموضوعية وهو يعكس العراقيل الضخمة التى واجهها الماركسيون - اللينينيون الصينيون فى سيرورة إستعادة السلطة . و فيما يتعلق بلين بياو هنالك دليل على أنه تآمر مع التحريفيين السوفيات فقط فى السبعينات .

كان من اللازم قيادة الجماهير للإطاحة بالتحريفيين فى ظل ظروف حزب منقسم يحتل فيه التحريفيون (المفضوحون و المتستّرون) مواقعا حيوية و فى ظروف التعويل على قوات مسلحة يقودها خائن متستر يتبع مخططاته الخاصة و ربط علاقات سرية مع قادة يشاطرونه مآمراته و فى ظروف كان فيها عدد كبير من الكوادر الوسطى فى الحزب و الدولة ، مثلما بينت الأحداث ، يدافع عن الإمتيازات الصغرى و يساند التحريفيين .

و مع أن ماو تسى تونغ و الماركسيون- اللينينيون الصينيون عولوا على المساندة الحماسية للجماهير ، كان بينهم و بين الجماهير جهاز وسيط كامل عرقل توجيهاتهم و أشعل الصدامات ضمن شرائح من الجماهير و شجع التيارات اليسراوية و بذل ما فى وسعه

لطمس مضمون الثورة الثقافية أو تحويره. و أن تكشف مجموعة الخمس الأولى المسؤولة عن قيادة الثورة الثقافية بعد ذلك على أنها تحريفية سعت لحرفها عن مسارها هو دليل ساطع على هذه الوضعية وهو ليس المثال الوحيد و الأهم مطلقا .

وفضلا عن ما تقدم، شكل التحريفيون الذين كانوا هدف سيرورة الكشف عنهم - ليوتشلوتشى و دنك سياو بينغ ... - عددا من " مجموعات العمل " توجهت إلى الجماهير بدعوى تشجيع الثورة الثقافية و فى الواقع لم يفعلوا سوى قمع القادة الثوريين و عناصر الحزب و سعوا إلى إفقاد الحركة مصداقيتها بالحثّ على الإطاحة بعدد كبير من الكوادر الوسطى حتى يحولوا رأس الرمح عنهم هم . و أرفقوا ذلك بقمع أراء الجماهير و إتهام كل من يعارضهم بأنه تحريفي و غذوا الصدامات اللامتناهية بين قطاعات من الجماهير و بكل الأشكال الممكنة عرقلوا تركيز القوى ضد الأعداء الرئيسيين . و نشطت هذه المجموعات طوال شهرين تقريبا و لم يوضع لها حد إلا فى أوت 1966 مع صدور " قرار ال16 نقطة " الشهير و مسك ماو من جديد قيادة الثورة الثقافية.

تشكلت المجموعة الثانية المسؤولة عن قيادة الثورة الثقافية من عناصر منها تشان بوتا و تاو تشو الذى أبعد لاحقا بإعتباره عميلا ليوتشاوتشى . و قد إستغل تاو تشو موقعه فى تلك المجموعة ليوجد " مجموعة إرتباط" توجهت إلى مراكز نضال الجماهير و أحدثت إنقسامات هامة و شجعت حتى على الصراعات المسلحة بين مختلف قوى الحرس الأحمر . و كذلك عمل تاو تشو على منع أي نقاش حول ليوتشاوتشى و دنك سياو بينغ و أفكارهما الرجعية كي لا يتم فضحهم . وشجع على توسيع هدف الثورة الثقافية و إستعمال الجمل المتطرفة لدفع الكوادر إلى حضن الذين هم فى الواقع الهدف الرئيسي للثورة الثقافية و الذين كانوا معادين لماو تسى تونغ . و زيادة على ذلك ، أحدث إنشقاقات و خلط كبيرين وسط الجماهير عند الدفاع عن بعض الكوادر و نقد آخرين . و أضحى كثير من الكوادر الوسطى شركاء فى قطع الإتصالات بين الحرس الأحمر و الطبقة العاملة لغاية إبقاء هذه الأخيرة بعيدة عن مسك قيادة الحركة . و كان تشان بوتا كما هو معلوم جيدا جزءا من المؤامرة السرية للين بياو.

و اخيرا يتعين أن نقول إن الماركسيين - اللينينيين و ماو تسى تونغ لم يكتشفوا الطابع الحقيقي للمؤامرة السرية التى كان يخطط لها التحريفيون إلا عبر الجدال ضد التحريفية السوفياتية و إدراك كيفية تركيز التحريفيين السوفيات لدولة رأسمالية و كذلك عبر سيرورة الثورة الثقافية . فلمدة طويلة كانوا يظنون أنهم يناضلون ضد إعادة تركيز الرأسمالية الكلاسيكية لا رأسمالية الدولة تحت قناع الإشتراكية . و للسبب ذاته لم تكن رؤيتهم لقاعدة المساندة التى أوجدها التحريفيون داخل شريحة عريضة من كوادر الحزب و الدولة بفعل الإمتيازات و الفساد واضحة جلية فى البداية. ومن مظاهر جدية ذلك الفساد سلوك أبناء الكوادر المجمعين فى معاهد خاصة بهم حيث نظموا لجنة عمل موحد دافعت عن فكرة أنهم ثوريون بالوراثة بما أنهم أبناء كوادر و رفعوا شعار " والد ثوري ، إبن شجاع ، والد رجعي، إبن جبان " و خططوا و نفذوا هجمات على الطريقة الفاشية على التنظيمات الثورية. و تبيّن الأدلة المجمعة ضدهم منذ تلك الفترة أن قادة حزبيين سامين كانوا يمولونهم . و على أي حال بسلوكهم و رؤاهم كشفوا قسطا هاما من عقلية آبائهم . و فى جهات عدة لم يترددوا فى إستعمال أنماط مختلفة من الفساد و الحيل لشق صفوف الجماهير و إيقاف كل من يطالب بالإطاحة بهم . وزير الفلاحة ذاته شجع هذه الممارسات فى بيكين و فى الريف . و فى شنغاي و مناطق أخرى دفعت حوافز مالية خاصة للعمال و أنشأت درجات أجور متباينة لصالح الأتباع و شلوا الإنتاج و حثوا على الرحلات الخالصة المعلوم للعاصمة. و بمساعد الكوادر السامية ، دفعوا نحو إعادة تركيز الكوادر ذوى الدرجات الأقل و الذين أطاحت بهم الجماهير . و عارضت اللجنة المركزية المرتبطة بالكوادر الوسطى بطريقة مفضوحة أو مقنعة إقالتهم . و لعب شو آن لاي دورا حيويا فى الدفاع عن الكوادر التى تبغضها الجماهير.

<u>8 / ضرورة الخطوة إلى الوراء :</u>

فى أوت بعد سفرة إستطلاعية عبر البلاد لاحظ ماو تسى تونغ مدى فقدان الكوادر الصلة بالجماهير و بالتالى أن الحزب لم يعد حزبا ثوريا صلبا يعتمد على هيكل عريض من قادة حزبيين قادرين على قيادة سيرورة الثورة الثقافية . و من جهة أخرى ، كانت تجربة تلك الكوادر الإدارية ضرورية لتجنب الكوارث الإقتصادية و للحفاظ على سلامة حدود البلاد . و كان القادة الجدد الذين برزوا من ضمن الجماهير تنقصهم التجربة الكافية . و تأكد ماو تسى تونغ أيضا من أن الجماهير منقسمة بسبب الأعمال المقصودة التى أتتها الكوادر المرتبطة بالتحريفيين و كذلك بفعل نشاط عناصر القوات المسلحة الذى لم يكن حينها معروفا، و المرتبطة بمؤامرة لين بياو و كانت تلعب دور " الحكم " فى الخلافات بين قطاعات من الجماهير . و المشكل الذى واجه ماو تسى تونغ فى كل مداه هو مشكل فقدان الحزب القيادي الذى يمكن أن يعوّل عليه فى تعميق تلك السيرورة . و حتى الكوادر الموالية للماركسية قد هاجمها بدهاء الذين أقاموا المؤامرات ضمن الجماهير و أحيانا وجهت الجماهير ضدهم دون سبب .

لذلك كان ماو تسى تونغ مجبرا على التقليص من حركة الثورة الثقافية مثلما عبّر عن ذلك فى أحاديث جويلية 1967 ساعيا قدر الإمكان إلى إنقاذ ما تم التوصل إليه سياسيا و إيديولوجيا . و بالفعل كان مضطرا للتعامل مع شوآن لاي الذى كان يستخدم كل خبراته للدفاع عن "جهاز الحزب " من جهة و من جهة أخرى مع لين بياو الذى كان من خلال الجيش يضمن لأغراضه الخاصة (غير المعروفة ساعتها) تجنب إمكانيات الصدام بين الجماهير وهي إمكانيات شجعها الذين عملوا على حرف الثورة الثقافية عن هدفها . و

دعى ماو تسى تونغ الجماهير لتتحد و لتشكل أجهزة سلطة مؤقتة مكونة من كوادر عريقة فى الثورية و ممثلين عن الجماهير و عناصر من القوات المسلحة يعينون مباشرة من قبل اللجنة العسكرية و دعى إلى التخلى عن الكمونات التى ركزت فى شنغاي كأجهزة حكم مباشر للجماهير كما إقترحت وثيقة ال16 نقطة للثورة الثقافية . فتركزت لجنة ثلاثة فى واحد . . و أشار ماو تسى تونغ بصراحة إلى الحاجة إلى حزب قيادي لمواصلة التقدم .

" هل ما زلنا فى حاجة إلى حزب ؟ تساءل و أجاب " ما زلنا فى حاجة إلى نواة حديدية لتعزيز ذواتنا على الطريق الممتد أمامنا ".

بإختصار واجه ماو تسى تونغ فى الصين مشكلا مشابها للمشاكل التى شهدناها فى الإتحاد السوفياتي إثر وفاة ستالين و فى غالبية الديمقراطيات الشعبية لأوروبا الشرقية و ضمن أحزاب البلدان الرأسمالية ذاتها : غياب احزاب قياداتها العليا و المتوسطة تمتلك وعيا شيوعيا صلبا .

و فى نفس الوقت الذى ناضل فيه ماو تسى تونغ فى سبيل الوحدة المبدئية للجماهير على أساس نقد عميق للخط التحريفي الرجعي ، إجتهد فى إعادة بناء الحزب حتى بحدود ضرورة الإبقاء على العديد من الكوادر البيروقراطية و إعادة الإعتبار للكوادر التى أبعدتها الجماهير . و إستغل التحريفيون هذا التعزيز لإعادة كوادر تابعة لهم. فى نشرة الدورة 22 للجنة المركزية المقامة فى أكتوبر 1968، نُقل عن ماو قوله " يجب أن يكون الحزب طليعة منظمة قوية قادرة على قيادة البروليتاريا و الجماهير الثورية فى الصراع ضد العدو الطبقي " و لهذا يجب أن " يتخلص من وجهات النظر الخاطئة "و تضيف النشرة " قوموا بوعي بتوطيد الحزب و بنائه ".

و تحدثت منشورات " الراية الحمراء " حينذاك عن " ضخ دم بروليتاري للحزب" و أشارت إلى أنه " فقط بتطوير حركة توطيد الحزب تتطور حركة الجماهيرية المفتوحة و يمكننا ضمان أن تكون المنظمات الشيوعية فى مختلف المستويات يقودها أناس موالون لماو تسى تونغ و لفكره و لخطه البروليتاري الثوري " .

و من جهة أخرى سعى ماو تسى تونغ لأن يجعل من البروليتاريا القائدة قيادة شاملة للحركة من أجل محاصرة التيارات البرجوازية الصغيرة التى ظهرت خلال الأشهر الأولى من الثورة الثقافية - و التى إستغلها أعداؤه أيما إستغلال . فى أحاديث جويلية التى سبقت الإشارة إليها ، أكد ماو تسى تونغ على أن المظهر الرئيسي للثورة الثقافية هو مشاركة جماهير العمال و الفلاحين و قال : " و بعد إجتماع عمل اللجنة المركزية جرى التشديد على نقد الخط الرجعي البرجوازي . و قد أثار ذلك النقد حماس العديد من الثوريين . و كان المثقفون الثوريون و الشبان الطلاب أول من حصل وعيه ، و هذا يطابق قوانين التطور الثوري . و فى شباط / جانفى من هذا العام ، تعبأ عمال شنغاي كما فعل عمال كل البلاد و الفلاحون كذلك .و هكذا كنست عاصفة كانون الثاني البلاد . إن تقدم الحركة أظهر أن العمال و الفلاحين هما دائما القوة الرئيسية - و الجنود ليسوا سوى عمال و فلاحين فى الزي الموحد- . و عندما نتكلم عن الجنود ، فهم بشكل أساسي عمال و فلاحون . و لن تكنس كل الرداءة البرجوازية إلا عندما تنتصب الجماهير العمالية و الفلاحية ، بينما يعود المثقفون الثوريون و الشبان الطلاب إلى مركز ثانوي ". (صفحة 298-299 من كتب جون دوبيه " تاريخ الثورة الثقافية البروليتارية فى الصين -1965-1969 " ، الملحق عدد4/ الوثيقة 4 ، دار الطليعة للطباعة و النشر ،بيروت)

ثم وجه نداءا لدفع الطبقة العاملة للنهوض بدورها الشامل فى الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و فى جميع مجالات العمل . إثر ذلك أكد على : " للقيام بالثورة البروليتارية فى التعليم من الضروري أن تكون القيادة بأيدى الطبقة العاملة ... ينبغى أن تبقى مجموعات العمال الدعائية فى المعاهد لتساهم فى إنجاز كافة مهام الصراع – النقد – التحويل فى المعاهد و ستكون على الدوام فى قيادة المعاهد . و فى الريف ينبغى أن تكون المعاهد مدارة من قبل صغار و متوسطى الفلاحين الفقراء - حلفاء الطبقة العاملة الأكثر وثوقا ."

و إشتدت عزلة ماو تسى تونغ و الماركسيين - اللينينيين المتماثلين مع أهدافه بفعل ضرورة الحد من الحركة الجماهيرية الواسعة للثورة الثقافية و بفعل غياب نواة حزب قيادي صلب فعلا لأجل قيادتها حتى التحقيق النهائي لأهدافها . لقد منعت ضرورة التعويل على شوآن لاي الذى لم يفصح عن علاقاته المتينة مع دنك سياو بينغ إلا بعد مؤامرة لين بياو ، منعت الثوريين من التدخل فى السياسة الخارجية للصين و مثلما هو معلوم ، دافع شو لآن لاي بغيرة عن كوادر مصلحة الربط التابعة للجنة المركزية المسؤولة عن الشؤون الخارجية .

بفضل تدقيق الأحزاب الماركسية - الليمنينية ، تبيّن أنه تم إبعاد مبكر جدا للثائرين من تلك المصلحة . و أبقي على الوزير تشن يى فى مركزه بالرغم من الإنتقادات الجماهيرية الحادة له . و ظلت مبادئ الماركسية- اللينينية و الخط الذى رسمه ماو تسى تونغ فى جداله ضد التحريفيين السوفيات سائدا بالأساس إلى حدود المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني حيث قدم شو آن لاي تقريرا عن الشؤون العالمية فيه أشار إلى :

" قال ستالين اللينينية هي ماركسية عصر الإمبريالية و الثورة البروليتارية ..." و أضاف " لم يتغير العصر و مبادئ اللينينية لم "يعفو عليها الزمن " و شدد على نضالات شعوب العالم و نقل عن ماو قوله " الشعب و الشعب وحده هو القوة المحركة لتاريخ العالم " و هذا سيتعارض مع ما سيفصح عنه شريكه دنك سياو بينغ فى السنة الموالية فى إطار الأمم المتحدة . و ندّد شو آن لاي "بالقوتين الأعظم - الولايات المتحدة و الإتحاد السوفياتي " . إلى جانب ذلك نعثر فى خطابه أيضا على بعض النقاط الثانوية التى يمكن أن تؤول كتنبئ دقيق بأفكار دنك سياو بينغ غير أنه عموما يعتبر مضمون التقرير متماثلا مع الخط الأممي السابق للصين .

كان بإمكان الماركسيين - اللينينيين الصينيين نشر أفكارهم عبر بعض وسائل الدعاية فى حين كانوا يفتقدون لوسيلة صلبة لقيادة الجماهير . لكن ضعفهم ووضعهم السابق أضحى أسوأ لما تكشفت مؤامرة لين بياو الإنقلابية فى 1971 . فأجبرت هذه المؤامرة ذات الجذور الممتدة فى القوات المسلحة و الحزب و مؤسسات الدولة القوى الماركسية - اللينينية الضعيفة داخل الحزب على التأكيد أكثر على إتفاقها المؤقت مع الذين رفضوا دفع الثورة الثقافية أية خطوة إلى الأمام أو الذين إرتبطوا علنيا أو سريا بالقوى التحريفية . و إضافة إلى الخطر الداخلي المحدق هنالك التهديد الصريح للقيادات السوفياتية بالهجوم العسكري على الصين . و على ما يبدو كان لين بياو مرتبطا بهذه القيادات السوفياتية التى ركزت عددا ضخما من فيالقها على الحدود الصينية و بعثت عديد الباخرات الحربية لتتجول قرب السواحل الصينية .

فى هذه اللحظة التاريخية الحرجة بدأت قوات أبعدت لكونها قيادات تحريفية فى الظهور من جديد وليس فحسب فى الهياكل الدنيا مثلماحدث سابقا طوال الثورة الثقافية و إنما هذه المرة حتى ضمن الهياكل القيادية العليا[بحكم الوضع الداخلي و الخارجي و ضغوطات شو آن لاي] .

و فى أفريل 1973 ، ظهر من جديد دنك سياو بينغ لأول مرة فى إحتفال عام. و بعد ذلك بقليل عاد إلى منصبه كمساعد للوزير الأول و فى أوت من تلك السنة عاد إلى عضوية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني . و فى 1974 ، تسلل إلى المكتب السياسي و تولى مسؤولياته فى إعادة تنظيم القوات المسلحة الشيء الذى يبيّن العلاقة بين رجوعه و الحاجة إلى تحييد تأثير لين بياو . و فى أفريل من تلك السنة شعر بأنه قوي بما فيه الكفاية ليصدح فى الأمم المتحدة بنظريته الرجعية " نظرية العوالم الثلاثة " و فى جانفى 1974 فى الدورة العاشرة للجنة المركزية نجح فى أن يعيّن مساعدا لرئيس اللجنة المركزية . و فى الشهر ذاته ، فى المؤتمر الوطني الرابع للشعب الذى لم يحضره ماو تسى تونغ (ويبدو أنه كذلك لم يحضر المؤتمر العاشر) ، تم تعيين دنك سياو بينغ مساعدا للوزير الأول و رئيسا للقوات المسلحة قائما بوظائف الوزير الأول نظرا لمرض شو آن لاي .

و فى ديسمبر 1973 جرى تغيير جزء من قادة القوات المسلحة و بدأت عملية إعادة الإعتبار للعديد من العناصر التى كانت هدفا للثورة الثقافية و فقط بين جويلية و أكتوبر 1975 أعيد الإعتبار لجماعة قيادة الجيش الذين أبعدوا و للمسؤولين عن جامعة بيكين و للحاكم السابق لمدينة شنغاي و لغيرهم .

9 / خيانة الخط الأممي لماو تسى تونغ :

أقيمت تحضيرات لزيارة نكسن للصين تبعا لجهود شوآن لاي بغرض إدخال الصين للأمم المتحدة و جاءت فى إطار التهديد الداخلي الجدى المتأتى من مؤامرة لين بياو فى سبتمبر 1971 و من التهديد الجدي الخارجي السوفياتي .و تمت زيارة نكسن خمسة اشهر بعد إماطة اللثام عن مؤامرةلين بياو و لا نعلم الأسباب التكتيكية التى دفعت بماو تسى تونغ لقبول مقابلة نيكسن . على كل حال فإن مجرد مقابلة قائد العدو فى ظروف تكتيكية معينة لا تعنى تنازلا مبدئيا . فالأمر عينه قام به قادة ثوريون كبار آخرون. و سبق أن كانت لماو تسى تونغ محادثات أيضا مع تشنغ كاي تشاك و بالتأكيد لم تعن التخلى عن النضال للإطاحة به .

فى أكتوبر 1972 ، بمناسبة الذكرى 23 للثورة الصينية ، نشرت أهم الجرائد الصينية إفتتاحية جاء فيها : " صارت معارضة طغيان و سيطرة القوتين الأعظم مطلبا مشتركا للشعوب " و " تناضل بعض البلدان التى تسيطر عليها بقوة التحريفية السوفياتية أو الإمبريالية الأمريكية لكي تنهى هذه التبعية " . " على طول السنة الماضية ، واصل بلدنا تطبيق الخط الثوري للرئيس ماو بصدد الشؤون الخارجية تطبيقا شاملا . و طورنا علاقات صداقة و تعاون و مساندة مع البلدان الإشتراكية الأخرى . و بصلابة ساندنا نضال الصمود فى وجه الإعتداء الأمريكي و نضالات التحرر الوطني لشعوب فتنام و اللاوس و كمبوديا و ساندنا النضال العادل لشعوب آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية من أجل إنتصارها و محافظتها على إستقلالها الوطني و دفاعها عن سيادة دولتها ." " إن مستقبل الحركة الثورية لشعوب العالم مشرق و لكن الطريق شائك . على شعوب العالم لتحقيق الإنتصار فى نضالها الثوري أن تعوّل أساسا على نفسها لترفع تدريجيا مستوى الوعي و شعور التنظيم فى سيرورة النضال و أن تدمج خطوة خطوة الحقيقة العالمية للماركسية - اللينينية مع الممارسة الثورية فى بلدانها هي. على الدوام ساندنا النضالات الثورية لشعوب العالم و نعلق بمالنا على الشعوب " . " فى الوضع العالمي المناسب نسبيا ينبغى أن نسعى أكثر لتطبيق الخط و السياسات الثورية التى صاغها الرئيس ماو " بصدد الشؤون الخارجية تطبيقا تاما . و ينبغى أن نتحد مع البلدان الإشتراكية الأخرى و البروليتاريا فى العالم قاطبة و مع الشعوب و

البلدان المحبة للسلام و التى تعارض الطغيان و ذلك بغاية النضال بتصميم ضد سياسات العدوان و الحرب الإمبريالية و الإمبريالية الإشتراكية ".

إذن لقاء ماو تسى تونغ مع نكسن يظل داخل إطار سياسة أممية صحيحة فى الأساس و متمايزة بعمق عن تلك التى صاغها دنك سياو بينغ بعد سنتين فى الأمم المتحدة.

نعتقد أن "رسالتنا المفتوحة " الموجهة للحزب الشيوعي الصيني و المنشورة فى نهاية 1977 و التى من خلالها قطعنا العلاقات مع قيادته الراهنة ، تبيّن بجلاء أن أفكار ماو تسى تونغ فى السياسة الأممية مثلما توجد فى كل من أعماله الماضية و فى الجدال الذى طوره ضد التحريفية السوفياتية لا علاقة لها بنظرية "العوالم الثلاثة "بل هي على النقيض منها تماما .

و فوق ذلك ، كانت السياسة الخارجية الملموسة للصين طوال الثورة الثقافية ، حينما كانت توجيهات ماو و قيادته مهيمنة ، كانت بالأساس صحيحة و تتضامن تضامنا كليا مع شعوب العالم و الماركسيين - اللينينيين.

فى " رسالتنا ..." تلك عقب عقدنا مقارنة بين كلا الخطين و عقب تبيان كيف أن خط دنك سياو بينغ فى جوهره مماثل للخط السوفياتي ، بإستثناء طموحاته الهيمنية الخاصة ، و عقب توثيق كثيف ، كخلاصة قلنا: " فى أعماله و فى منشورات الجدال ضد التحريفية السوفياتية ، يرى الرفيق ماو ما يلى : إن السياسة الإستعمارية للإمبريالية متواصلة فى شكل الإستعمار الجديد عبر عملائها و إن التحرر الوطني يتم من خلال الصراع الطبقي داخل البلد الذى تستعمره الإمبريالية ، عن طريق ثورة مناهضة للإمبريالية و القوى الداخلية التى تساند حكمها ،و إن ثورة التحرر الوطني هذه لا يمكن أن تنجح إلا إذا قادتها البروليتاريا لا البرجوازية . لا يمكن التوصل لأي تحرير فقط عبر إجراءات إقتصادية إستقلالية تتخذها البرجوازية و إن القوة المحركة للتاريخ هي الصراع الطبقي الذى تخوضه راهنا شعوب العالم بقيادة البروليتاريا و أحزابها الطليعية ، و إنه ينبغى على البروليتاريا فى البلدان الرأسمالية المتقدمة أن تهزم البرجوازية الإحتكارية المحلية لإفتكاك السلطة و بناء الإشتراكية و كذلك للنضال ضد القوى العظمى ، و إن النظرة التى تقفز على المضمون الطبقي للتناقض بين المعسكر الإشتراكي و المعسكر الإمبريالي و تخفق فى رؤية هذا التناقض بإعتباره تناقضا بين دول تحكمها دكتاتورية البروليتاريا و دول تحكمها دكتاتورية الرأسماليين الإحتكاريين مرفوضة ، و إن وجود الدول الإشتراكية غيّر طابع و آفاق حركة التحرر الوطني التى تسعى بقيادة البروليتاريا إلى تركيز الإشتراكية ، لا التطور الرأسمالي فى ظل دكتاتورية البرجوازية ، و إنه يجب على الدول الإشتراكية أن تمارس الأممية البروليتارية كجوهر لسياستها الخارجية و ألا تربطها أبدا بالتعايش السلمي أو بالشوفينية و الهيمنة ، و إنه من الممكن منع حرب عالمية جديدة بنضال الشعوب و القيام بالثورة حتى النهاية ، و إنه من الضروري النضال بحزم ضد كل من القوتين الأعظم الإمبريالية الأمريكية و الإمبريالية السوفياتية و معارضتهما بالجبهة الموحدة لشعوب العالم بقيادة البروليتاريا ".

و بالعكس يرى دنك سياو بينغ أن " السياسة الإستعمارية إضمحلت بالأساس و ان هنالك فقط "بقايا" أشكال من الإستعمار ، و أنه من الممكن "إنقاذ" و "توطيد" الإستقلال عبر بعض التغييرات فى العلاقات الإقتصادية العالمية ، و أنه سيتحقق التحرر الوطني عبر أعمال دول "العالم الثالث" بالقبول بالأساس كما هي بالحكومات البرجوازية ، عملاء الإمبريالية و مضطهدو الشعوب ، و أن القوى البرجوازية التى تسيطر على حكومات بلدان "العالم الثالث " ليست فحسب القوى القيادية للتحرر الوطني بل أيضا "القوى المحركة الدافعة لعجلة تاريخ العالم " ، و أنه يجب على بروليتاريا البلدان الرأسمالية المتقدمة لما يسمى "العالم الثاني" أن تتحالف مع برجوازيتها هي الإحتكارية و أن تعزّز الإتفاقيات العسكرية ووسائل أخرى من الهيمنة الإمبريالية الأمريكية و برجوازياتها هي الإحتكارية ، بتعلة أن هجوما من الإمبريالية الإشتراكية كان مداهما ، و أن المعسكر الإشتراكي لا يوجد و أن الصين ، مع كونها إشتراكية تنتمى إلى "العالم الثالث" الذى يتكون أساسا من بلدان تابعة للإستعمار و الإستعمار الجديد تحت سيطرة الولايات المتحدة أو الإمبريالية الإشتراكية ، و أن بلدان "العالم الثالث " مثل الصين يمكنها أن تطوّر إقتصادا للقضاء على "حالة الفقر و التخلف" التى هم فيها دون القيام بثورة تحرر وطني أو ثورة إشتراكية ، و أن سياسة الصين الخارجية هي بالأساس سياسة تعايش سلمي و ليست سياسة مرتكزة على الأممية البروليتارية ، و أن الحرب العالمية الثالثة حتمية و مداهمة و أن على حلفاء الإمبريالية الأمريكية أن يحسنوا من أسلحتهم و جيوشهم و إتفاقياتهم العسكرية لمواجهة الإمبريالية الإشتراكية و لهذا السبب يتعين وضع الصراع الطبقي بين معقفين ".

إذن هذان الخطان متعارضان كليا فخط تقوده الماركسية - اللينينية و آخر تقوده التحريفية . لقد ناضل ماو تسى تونغ فى جداله ضد السوفيات علنيا و جماهيريا ضد ذات الخط الذى رسمه الآن دنك سياو بينغ فلم يدافع البتة عن أطروحات دنك سياو بينغ الإنتهازية لا جماهيريا و لا فى أوساط خاصة على حدّ علمنا . و فى تقديرنا أنه لا وجود بديهيا لأسس أصلا للتفكير بأن ماو تسى تونغ تراجع تراجعا ب180 درجة فى خطه الأممي فى السنوات الأخيرة من حياته . إلى ذلك ، من غير المعقول أن ماركسيا مثل ماو تسى تونغ دون طموحات شخصية يستحيل تحريفيا تماما و مرتدا عن أفكاره و حياته . و حتى من وجهة نظر عملية ، من غير الوارد أن يتراجع ماو عن خطه الأممي لفائدة دنك سياو بينغ الذى سيخوض ماو تسى تونغ ضده معركة جديدة لأجل فضحه و طرده

من الحزب خلال تلك السنوات عينها (و هذا ما حصل فعلا) و قد صرح ماو بشأن دنك سياو بيتغ بأنه "لا يفرق بين الماركسية و الإمبريالية ، إنه يمثّل البرجوازية " .

الفرضية المنطقية الوحيدة بشأن ما حدث هي أنه لوجوده أقلي فى القيادة و ضمن كوادر الحزب الذى تسرّب إليه و نشأ فيه على مدى واسع التحريفيون رغم أنهم لم يجرؤوا على الإطاحة به بحكم تأثيره الكبير على الجماهير و كانوا يترقبون وفاته ليستغلوا سمعته ، لم يعد لماو تأثير كبير على قيادة الحزب و خاصة على سياسته الخارجية . و الأدهى أنه ثمة إشارات إلى أن صراعا خيض ضد أفكار دنك سياو بينغ فى السياسة الخارجية على أنّه لم يكن علنيا .

إثر وفاة ماو تسى تونغ ، أعرب القادة التحريفيون ذاتهم فى مقال ضمن "مجلة بيكين "عدد 45 : " فى بلادنا هنالك من يعارض بشدة نظرية الرئيس ماو حول العوالم الثلاثة و من هؤلاء المعارضين وانغ هونغ وان و تشانغ تشن تشياو و تشيانغ تشنغ و و ياو وايوان ، أو " مجموعة الأربعة ". رافعين أكثر الرايات "ثورية " ، عارضوا جهود الصين الرامية لتوحيد كل القوى التى يمكن التوحد معها و عارضوا محادثاتنا مع أكثر الأعداء خطرا . و سعوا دون جدوى لعرقلة بناء جبهة متحدة عالمية ضد الهيمنة و الفوضى و نضال الصين ضد هذه الهيمنة معتبرين الإمبريالية الإشتراكية دولة جيدة ."

و بهذا يحاول التحريفيون لا فحسب أن ينسبوا النظرية التحريفية لماو تسى تونغ وهو أمر لم يجرؤوا على فعله عندما كان على قيد الحياة و لكن أيضا إشاعة الفكرة العبثية القائلة بأن أولئك المعروفين بأنهم أقرب معاوني ماو تسى تونغ إبان الثورة الثقافية و فى معركته الكبرى الأخيرة للإطاحة بدنك سياو بينغ كانوا "ضد ماو " بهذا الموضوع الهام كان لأنهم كانوا يعارضون نظرية "العوالم الثلاثة " و من جهة أخرى إن ماو الذى كان يكافح من أجل الإطاحة بدنك سياو بينغ "إتفق معه " حول الخط الأممي رغم أنه قد قال أن دنك " لا يفرق بين الماركسية و الإمبريالية " . من البديهي أن هذا قمة الكذب و أنه فرضية عبثية.

و من أوضح الدلائل على تقلص تأثير ماو تسى تونغ على جهاز الحزب الشيوعي الصيني رغم سمعته بين الجماهير إثر إفتكاك التحريفيين مجددا لمراكز حساسة فى الحزب و الدولة بفعل مؤامرة لين بياو و التنازلات التى فرضت فرضا على الماركسيين - اللينينيين الصينيين حينها ، أن أعيد دنك سياو بينغ المطرود من الجهاز "بالإجماع" سنة 1976 تحت إلحاح ماو تسى تونغ عقب أحداث ساحة تيان آن مان و الحملة المديدة و المثابرة ضد إعادة الإعتبار لآرائه الرجعية و معارضته لمكاسب الثورة الثقافية ، أُعيد دنك سياو بينغ لكل مراكزه بعد فقط بضعة أشهر من وفاة ماو كذلك "بالإجماع" (طبعا إثر إيقاف أتباع ماو تسى تونغ).

10 / النضال يتجدد:

عندما قيّم ماو تسى تونغ الإستفاقة التى حدثت غداة إكتشاف مؤامرة لين بياو، تبيّنت صحة ما لاحظه خلال الثورة الثقافية و ما دفعه إلى وضع حدّ لمزيد تعميقها . لم يكن من الممكن تطهير الحزب الشيوعي الصيني فى كل مستوياته نظرا للتغلغل التحريفي الذى تبع الإتفاق المفروض فرضا للإطاحة بمؤامرة لين بياو . و لقتال التحريفيين مجددا ، ركز ماو تسى تونغ على المشاكل الداخلية للصين الأوضح و الأكثر مباشرة لفهم جماهير الشعب. و تصدى لجميع جهود دنك سياو بينغ الرامية إلى جعل الإقتصادوية فى القيادة فوق الصراع الطبقي و على حسابه ، و جهوده لتشويه مكاسب الثورة الثقافية - وهو ما فعله دنك على نطاق واسع عقب وفاة ماو . فى التعليم و فى المصانع و فى الريف نفسه ، سعى ماو تسى تونغ تدريجيا إلى خلق وعي يعيد إحياء التحرك الجماهيري . و فى الوقت نفسه ، ملخصا تجارب الثورة الثقافية التى واجهت عراقيل جدية وقف وراءها العديد من الكوادر الوسطى و حتى قطاع معين من العمال الذين سقطوا فى فخ الإقتصادوية والحوافز المالية، إقترح ماو التركيز على النضال الجديد لا فقط على الصيغ التحريفية و إنما أيضا على القاعدة الإجتماعية و الإقتصادية غير العادلة و التى إستخدمها القادة التحريفيون للتأثير على الكوادر الوسطى و كسب مساندتهم . إن وسيلة معالجة المشكل هي تعزيز دكتاتورية البروليتاريا و عبرها القضاء تدريجيا على بقايا الحق البرجوازي الذى مثّل قاعدة للإمتيازات التى كان يدافع عنها الكوادر التى عارضت الجماهير . للشروع فى هذا النضال قدم صيغة فى منتهى الوضوح بما يبين لنا الإستنتاجات التى توصل إليها فيما يخص العراقيل التى واجهتها الثورة الثقافية.

" لماذا تحدث لينين عن ممارسة الدكتاتورية على البرجوازية ؟ من الضروري أن تكون هذه المسألة واضحة. فغياب الوضوح بهذا الصدد يؤدى إلى التحريفية. يجب أن تعلم بهذا الأمة جمعاء."(" ماركس و إنجلز و لينين " حول دكتاتورية البروليتاريا " ، بيكين ، الطبعة الأنجليزية .)

" حاليا تمارس بلادنا الإنتاج السلعي و نظام أجور غير عادل كذلك ، على غرار ما فى سلّم الأجور ذو الثماني درجات ، و ما إلى ذلك . فى ظل دكتاتورية البروليتاريا لا يمكننا إلا أن نحدد مثل هذه الأشياء . لذلك إذا توصّل أناس من أمثال لين بياو إلى السلطة سيكون سهلا جدا بالنسبة لهم أن يركزوا النظام الرأسمالي .." (المصدر السابق).

و يستطرد مذكرا برأي لينين حول بناء دولة برجوازية دون برجوازية [فى "الدولة و الثورة "] وقائلا:" " فى كلمة ، الصين بلد إشتراكي . قبل التحرير كانت تشبه أكثر البلدان الرأسمالية. و حتى الآن ، يمارس نظام سلّم الأجور ذى الثماني درجات و التوزيع حسب العمل و التبادل النقدي و فى كل هذا تختلف قليلا جدا عن المجتمع القديم . نقطة الإختلاف هي أن نظام الملكية قد تغيّر ."(" ماركس و إنجلز و لينين " حول دكتاتورية البروليتاريا " ، بيكين ، الطبعة الأنجليزية .)

و قال فى الصدد نفسه :

"قال لينين : " إن الإنتاج الصغير يولد الرأسمالية و البرجوازية بإستمرار ، فى كل يوم و كل ساعة ، و بصورة عفوية و على نطاق واسع . " و أيضا تولد البرجوازية ضمن جزء من الطبقة العاملة و عناصر الحزب . فى كلّ من صفوف البروليتاريا و ضمن موظفى الدولة و أجهزة أخرى ، هنالك أناس يتعودون على نمط الحياة البرجوازية "(ماركس و إنجلز و لينين " حول دكتاتورية البروليتاريا " بيكين ، الطبعة الأنجليزية .)

قبل هذا ، فى الدورة الأولى للجنة المركزية التاسعة للحزب الشيوعي الصيني ، وهو يلخص الحواجز الجوهرية التى أعاقت الثورة الثقافية و ضرورة مواصلتها ، أشار إلى أنه :

" يبدو من الجوهري أن نواصل جهودنا للمضي بالثورة الثقافية البروليتارية الكبرى إلى النهاية . فقاعدتنا لم تتعزز. من ملاحظاتى الخاصة ، أقول إن فى الغالبية الكبرى من المصانع و لا أعنى الغالبية الغالبة أو الساحقة ، ليست القيادة بأيدى الماركسيين الحقيقيين و جماهير العمال . و لا يعزى هذا إلى أنه لم يوجد أناس جيدون فى قيادة المصانع . وجدوا . وجد أناس جيدون ضمن الكتاب العامين والكتاب العامين المساعدين و عناصر لجان الحزب و ضمن لجان و فروع الحزب . غير أنهم إتبعوا خط ليوتشاوتشى الداعي بالضبط إلى الدوافع المادية ، واضعا الربح فى مصاف القيادة و لم يكونوا ينشرون السياسات البروليتارية ، و عوض ذلك كانوا يطبقون نظام العلاوات إلخ ...لكن وجد فعلا أناس سيئون فى المصانع ...و هذا يثبت أن الثورة لم تنته بعدُ "(ستوارد شرام ، " ماو يتحدث إلى الشعب " ، صفحة 271-272، نشر الصحافة الجامعية الفرنسية 1977).

وقد نبّه لينين إلى مثل هذا الأفق لما أعرب فى أفريل 1918 عن :

" نعم بالإطاحة بالملاكين العقاريين و البرجوازية نظفنا الطريق لكننا لم نشيد صرح الإشتراكية . على الأرضية النظيفة من جيل من البرجوازية ، ستظهر أجيال جديدة بإستمرار فى التاريخ طالما أن الأرضية تسمح لهم بالظهور و طالما تسمح بظهور عدد من البرجوازيين . بالنسبة لأولئك الذين ينظرون إلى الإنتصار على الرأسماليين بالطريقة التى تنظر إليه البرجوازية الصغيرة ، فإن كل واحد منهم ، فى الواقع ، منبع جيل جديد من البرجوازية "(لينين " المهام الراهنة للحكومة السوفياتية " الأعمال الكاملة ، المجلد 30 ، صفحة 300 ، الطبعة الأنجليزية .)

بفضل إستخلاص دروس ما حدث فى الإتحاد السوفياتي و بلدان أخرى يسيطر عليها التحريفيون و كذلك دروس ما حدث أثناء الثورة الثقافية ، توصّل ماو تسى تونغ إلى فهم جلي لنوايا البرجوازية الجديدة الصاعدة و التربة التى تغذيها أي إستمرار الحق البرجوازي الذى يظل قائما خلال المرحلة الإشتراكية كمرحلة إنتقالية من الرأسمالية إلى الشيوعية.

بعدُ فى 1964 ، دللت حركة التربية الإشتراكية على أن عناصرا من الحزب : " قد تحولت أو هي فى طريق التحول إلى عناصر برجوازية تشرب دم العمال ، كيف يمكن لهذه القيادات المتبعة للطريق الرأسمالي أن تفهم الحاجة إلى ثورة إشتراكية ؟ هؤلاء الناس هم هدف النضال ، هدف الثورة و من المستحيل التعويل عليهم فى حركة التعليم الإشتراكية ". ومباشرة قبل وفاة ماو بقليل أثبت دنك سياو بينغ و أتباعه أنهم :" مع الثورة الإشتراكية يصبح هؤلاء تحت النار.

مع الثورة الإشتراكية يجدون أنفسهم هم تحت النار . زمن التحوّل إلى التعاونيات الفلاحية وجد أناس فى الحزب عارضوه و حين شرعنا فى نقد الحق البرجوازي تصدوا للدفاع عنه .

إنكم تقومون بالثورة الاشتراكية و بعد لا تعرفون أين توجد البرجوازية . إنها بالضبط داخل الحزب الشيوعي - أولئك فى السلطة السائرين فى الطريق الرأسمالي. إن السائرين فى الطريق الرأسمالي لا زالوا على الطريق الرأسمالي " (" مجلة بيكين " عدد 11 ، 12 مارس 1976، الطبعة الأنجليزية .)

و هنا لا حاجة إلى تبيان أن الخط الذى يطبقه دنك سياو بينغ إثر إعادة الإعتبار له ، بعد وفاة ماو ، هو الأطروحة المناقضة لجميع

ما جرى النضال من أجله طوال الثورة الثقافية . إنه لم يعد تركيز الحوافز المالية و نظام الإنتقاء فى المعاهد ووضع الإنتاج قبل الصراع الطبقي و نظام الإدارة القديم فى المعامل و إدخال تعديلات إضطهادية فى ظروف العمل و تعميق الإختلافات فى الحق البرجوازي فقط بل إنه أعاد للبرجوازية القديمة حقوقا إنتزعتها منها الثورة الثقافية . و كذلك أعاد إلى مناصبهم أهم التحريفيين و منهم بينغ تشان أول المطرودين و ليوتشاوتشى و غيرهم و حتى بينغ تاه واي أعيد الإعتبار له لاحقا.

و يمضى أحد المقالات الناقدة لأقرب معاونى ماو تسى تونغ القابعين الآن فى السجن ، بعيدا إلى حد إعتبار و نعت الفترة السابقة ب" دكتاتورية إيديولوجية فاشية " و دعى إلى قلب الأحكام الخاطئة لبعض "القادة الكبار " . و إجمالا ، ليس تواصل الصراع بين التنكيل بماو تسى تونغ و إستغلال سمعته لترويج تحريفية خرقاء سوى دليلا على نفاق دنك سياو بينغ و أتباعه و كذبهم . و ينسجم الخط الأممي الشوفيني الهيمني و غير المبدئي لدنك سياو بينغ الذى يسعى إلى تحويل الصين إلى قوة عظمى إمبريالية تمام الإنسجام مع خطه الداخلي لإعادة تركيز الرأسمالية وهو أمر لطالما قاتلت ضده الثورة الثقافية بتخطيط ماو و قيادته. و هذا يؤكد الطابع العدائي بين خط دنك سياو بينغ من جهة و أهداف ماو تسى تونغ فى معارضة إعادة تركيز الرأسمالية فى الصين عبر الثورة الثقافية و من ثمة صراعه ضد دنك سياو بينغ و مخططاته الهيمنية و الشوفينية.

<u>11 / إستنتاجات :</u>

نعتقد أن الحركة الشيوعية العالمية ، منذ فترة الحرب العالمية الثانية ، تواجه تيارا تحريفيا يختلف بشكل عميق عن التيارات التحريفية زمن الأممية الأولى و الثانية و له مظاهر أساسية كمدافع على نظام الإستغلال الرأسمالي . فالتحريفية المعاصرة إلى جانب كونها تشجع موضوعيا على هيمنة البرجوازية التقليدية بحرف البروليتاريا عن القيام بالثورة ، فهي أيضا تأمل فى أن تصبح برجوازية جديدة من خلال رأسمالية الدولة المقنعة بقناع إشتراكي. و حسب الظروف يمكن أن يتم هذا المسار بالتعاون مع قطاعات من البرجوازية التقليدية . و قد أعطى هذا التيار التحريفي الجديد دفعا حيويا بتركيز أنظمة راسمالية الدولة (و حتى إمبريالية كما هو الحال بالنسبة للإتحاد السوفياتي) فى بلدان كانت البروليتاريا قد إفتكّت فيها السلطة. و ساهمت ثانويا فى هذا التحويل للإشتراكية إلى دولة رأسمالية جملة من الأخطاء الإيديولوجية التى حصلت أثناء البناء الإشتراكي و فى دور الحزب الطلائعي و فى علاقة الحزب بالبروليتاريا و الجماهير الشعبية عموما .

إننا مقتنعون بأن تجربة الثورة الثقافية و أفكار و ماو تاسى تونغ و خطه الذى ألهمها ، تمثل تطبيقا خلاقا للماركسية -اللينينية على واقع الصين و تطورها وهي تنطوى على دروس غاية فى الأهمية من أجل الصراع ضد التيار التحريفي المعاصر و التحليل العميق للأسباب الكامنة وراء إعادة تركيز الرأسمالية فى مجموع البلدان الإشتراكية السابقة و للحيلولة دون إعادة تركيز الرأسمالية مستقبلا . و نعتقد ان تأكيد ماو تسى تونغ على أهمية تطبيق الماركسية - اللينينية و مبادئها العالمية على الواقع الملموس لكل بلد و تجنب الدغمائية و التحريفية و التجريبية جد قيم ، و نرى ذات قيمة كبيرة مفهومه الجدلي للحزب و طريقته فى التفريق بين طبيعة التناقضات صلب الحزب و منهجه فى التعاطي معها ،و نعتبر فى أقصى الأهمية مفهومه أن على القيادة تيسير السيرورة و ليس "حلها" حلا من فوق أو حلا أبويا و على كافة عناصر الحزب أن تساهم فى النضال و أن تتعلم عبر مساهمتها النشيطة فى مكافحة الأخطاء التى تظهر فى الحزب و ان يساعدوا على إصلاحها و فى مكافحة الكتل المعادية للحزب و القضاء عليها .

و من الأهمية بمكان عظمة فكرة ماو حول تطوير النضال فى صفوف الجماهير الشعبية لا سيما البروليتاريا ، فى ظل قيادة الحزب الإيديولوجية بطريقة تجعل الجماهير تتعلم كيفية التمييز بين الأصدقاء و الأعداء و النضال ضد أعدائها فتتحررمن تأثيرهم عليها ، و نعتبر ذات دلالة كبرى فهم ماو أن على الجماهير فى ظل قيادة الحزب أن تمسك أكثر فأكثر بين أيديها شؤون الدولة و الدفاع و الإقتصاد و التخطيط و الصحة و إدارة المؤسسات و التعليم و الفن و الثقافة و كافة مجالات المجتمع ، و نعتبر مصيرية الأهمية التى أولاها ماو تسى تونغ لدورالإيديولوجيا فى الإنتقال من الإشتراكية إلى الشيوعية و لدور الوعي الثوري و إجراءات الصراع ضد بقرطة الكوادر و إنعزالهم عن الجماهير و معارضتهم لها ، على غرار الحاجة للجماهير لا سيما البروليتاريا فى بناء الحزب و إصلاح الأخطاء التى يرتكبها أعضاؤه . و نقدر حيوية فكرة ماو القائلة بضرورة تحديد و محاصرة بقايا الحق البرجوازي فى ظل الإشتراكية ، هذا الحق البرجوازي الذى يمثّل أرضية تغذى نموّ الشرائح الجديدة من البرجوازية و التحريفية بما فى ذلك فى صفوف الحزب الشيوعي .

و ختاما ، نعتقد أن فى أفكار ماو تسى تونغ و ممارسته طوال حياته ثمة مفاهيم أخرى ذات أهمية ثورية و منها بالأساس معالجته المادية الجدلية الصحيحة للمشاكل . و لا نقول إن ماو أوجد جميع هذه الصياغات ، رغم إسهاماته القيمة هو ذاته ، لكنه دون أدنى شك، طورها و طبقها على أرقى مستوى بما سمح له ، فى الواقع المعقد للغاية فى الصين ، بقيادة مئات الملايين من الناس و حزب يعد أعضاؤه بعشرات الملايين و التقدم بحزم فى البناء الإشتراكي إيديولوجيا و سياسيا فاضحا التحريفية المعاصرة على الصعيد الأممي و مقاتلا بلا هوادة فى الصين أعداء الثورة لما يناهز العشرين سنة بعد إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي و بلدان إشتراكية أخرى سابقا .

بطريق الحتم أن ماو إرتكب أخطاء فيما يتصل بفهمه الملموس بيد أنه لم ينحرف أبدا عن مبادئ الماركسية -اللينينية شأنه فى ذلك شأن كبار القادة الماركسيين . و يتحمل جميع الماركسيين-اللينينيين مسؤولية الهزيمة المؤقتة طالما أننا لم نعرف كيف نكشف و نفضح خصوصيات التحريفية المعاصرة التى هيمنت تقريبا على كافة الأحزاب الشيوعية القديمة. بحكم تركيبته الطبقية التى ورثها عن المجتمع الصيني و صعاب موضوعية جمة أخرى أمام بلترته الإيديولوجية و المادية، لم يقدر الحزب الشيوعي الصيني أن يكون إستثناءا فى السيرورة التى شهدها العالم قاطبة. و السياسات المغرقة فى الرجعية لقيادات الصين اليوم هي مثال عن شراسة الأعداء الذين كان على ماو تسى تونغ مواجهتهم حتى وفاته مما يزيد فى التأكيد على شمائله و جرئته الثورية .

نحن على يقين من أن النضال المستمر و الذى أطلقه الماركسيون- اللينينيون الصينيون بقيادة ماو تسى تونغ ضد التحريفية المعاصرة عالميا و فى بلادهم بذرة ستعطى أكلها فى المستقبل و ان الماركسيين - اللينينيين الصينيين سينظمون صفوفهم و يقودون الشعب الصيني العظيم و المناضل و مستلهمين أفكار الماركسية - اللينينية و ماو تسى تونغ سيكنسون مرة واحدة الزبالة التحريفية ./.

==

- 4 -

==

" فى الردّ على الهجوم الدغمائي - التحريفي على فكر ماو تسى تونغ "

بقلم ج. وورنار

(تعاليق حول كتاب أنور خوجا " الإمبريالية و الثورة " ، 1979)

أوّل ما تفحّصنا كتاب أنور خوجا الجديد ،" الإمبريالية و الثورة " ، تملّكنا شعور بأنّ لا نعير أهمّية لهذا المؤلَّف الخسيس و السطحي، و بأن ننصح القارئ بأن يعود بالأحرى إلى مؤلفات ماو تسى تونغ فهي تكشف بوضوح أنّ جلّ التهم التى يوجهها خوجا لماو تمثّل بكلّ بساطة تلاعبا فاضحا بالإستشهادات، و تحريفا للوقائع و أكاذيبا فجّة ، و من ثمّة ندعو القارئ إلى أن يعود لعديد المواقف النقدية السوفياتية لماو ، مواقف نقدية رغم إنتمائها لذات المنهج و تقديمها لغالبية الأطروحات ذاتها مثل أطروحات خوجا، فإنّ لها على الأقلّ ميزة التقديم المنظّم و التام للخطّ التحريفي.

و مع ذلك ، يجعل واقع الحركة الشيوعية العالمية الراهن من غير الممكن إتباع هذا المسار رغم وجود الرغبة فى ذلك. فقد أدّى إستيلاء أتباع الطريق الرأسمالي و على رأسهم هواو كوفينغ و دنك سياو بينغ ، على السلطة فى الصين الثورية ، أدّى إلى إستسلام بعض الماركسيين- اللينينيين القدامي ، و إلى إحباط الكثير من الناس الآخرين. و تركّزت إنتباه الحركة الشيوعية العالمية على خوجا و حزب العمل الألباني آملين ، وسط هذا الصخب و الغموض فى صفوف الشيوعيين ، رؤية حزب العمل الألباني يواصل النهوض بدور هام فى النضال ضد التحريفية. و قد دفع إلى هذا الأمل ردّ الفعل الأوّلي للألبانيين ، بالرغم من كونه مليئا إنتقائية و أطروحات متناقضة.

لكن خوجا و قيادة حزب العمل الألباني قد إختارا طريقا آخر، مستعملين سُمعة حزب العمل الألباني (و هي سُمعة لسخرية الأقدار إكتسبها فى جزئها الأكبر من كون خوجا إتّحد مع ماو و الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى فى فترة كان فيها التحريفيون يهاجمونهم من كافة الجهات) **للعودة إلى الوراء** متنكّرين للمكاسب المحقّقة أثناء النضال ضد التحريفية المعاصرة للعقدين الأخيرين ، راغبين فى بناء خطّ تحريفي على الصعيد السياسي و الإيديولوجي ، خطّ يعتمد على تقديس و تركيز الأخطاء التى غرتكبها الثوريّون منذ ثلاثينات القرن العشرين ز و كلّ هذا بإسم " نقاوة " الماركسية- اللينينية **!**

من الأكيد أنّها ليست المرّة الأولى فى التاريخ أن تدّعى التحريفية بأنّها ماركسية " أرتودكسية" ، محاولة تصوير الشيوعيين الثوريين الحقيقيين بريشة " الإنحراف" او حتى متعصّبين. كان كارل كاوتسكي الماركسي الأرتودكسي فى زمنه فى صراع مع اللينينية .و تروتسكي ، أيضا ، كان يدّعى أنّه ماركسي " بروليتاري" و " نقيّ"، و فى نفس الوقت كان يبذل قصارى جهده لتلغيم و تحطيم الدولة الإشتراكية الأولى فى العالم.

وعلى عكس وجهة النظر التى تميّز كتابات انور خوجا ، لا العالم يتقدّم على طريق يسير و مباشر. و ما هو صحيح للعالم ذاته صحيح أيضا بالنسبة للماركسية - اللينينية التى هي قبل كلّ شيئ علم قائم على فهم تناقضات الطبيعة و المجتمع وأداة للتقدّم بالمجتمع وفق قوانين حركة هذه التناقضات – علم يُثرى ،و لا يمكنه إلاّ أن يُثرى و يتعمّق بإستمرار أثناء الممارسة الثورية.

يطلق خوجا عديد التهم ضد ماو تسى تونغ ، تهم تعتمد على أطروحات سنتطرّق إليها هنا الواحدة تلو الأخرى، لكن يتكشّف أنّه من الواضح أن خوجا غير قادر تماما على فهم علم الجدلية الحي ، إنّه خلط كان يحتفظ به لنفسه طالما أنّ الصين الثورية كانت تتقدّم مناضلة ضد أعداء خوجا الذين إعترف هو أيضا بأنّهم أعداءه؛ خلط تحوّل إلى تناقض عدائي يريد خوجا أن يفرضه على الحركة الشيوعية العالمية بأسرها الآن و قد وقع الإنقلاب مؤقّتا على مسار تقدّم الصين.

فى الواقع ، فى وصف من أوصافه النادرة الصحيحة نسبيّا لخطّ ماو ، كتب خوجا : " عموما يعالج ماو تسى تونغ مسألة الثورة التى يعتبرها سيرورة لا نهاية لها ، تتكرّر دوريّا خلال كافة وجود الإنسانية ، سيرورة تمرّ من الهزيمة إلى الإنتصار و من الإنتصار إلى الهزيمة و هكذا دواليك". (1) أكيد أن خوجا يهدف من وراء هذا المقتطف المختار،إلى جعلنا نفهم أنّ ماو لا يرى سوى تكرار دائري للأشياء ،و ليس **التقدّم** فى المجتمع الإنساني . لكن ما يبدو أجلى (لأنّ هذا تعميم لرؤية ماو لا ينطلي كحيلة على كلّ من درس كتاباته) هو رؤية خوجا ذاته للثورة ، أي أنّ الثورة تفكيك مأسوف عليه، و إن كان أحيانا ضروريّا ، ينزله التاريخ بالمجتمع فى لحظات نادرة جدّا، و تفكيك ينتهى إلى الأبد منذ أن تتمكّن الطبقة العاملة (أو منقذين من نسلها متحمّسين جدّا لمصالح الطبقة العاملة) من إفتكاك السلطة من أيدى المستغِلّين القدامى لإنجاز " التقدّم بلا إنقطاع " على طول آفاق ننسكي العريضة و المستقيمة جدّا ، بإتجاه هدف يشبه كثيرا النظرة الدينية لمملكة الإلاه على الأرض أين سيقع تعويض أي نواع ،أي صراع ، أي خلاف بالوفاق و الإستقرار التامين.

يريد خوجا على حدّ سواء أن يهاجم الماركسية - اللينينية و فكر ماو تسى تونغ و أن يتميّز عن التحريفية المعاصرة و بالتالى ، يتبنّى رؤية تحريفية جوهريّا ،و حتى عديد الأطروحات التحريفية التى عفا عنها الزمن ، مخفيا إيّاها بغطاء سميك من الدغمائية ، و من هنا إستعمالنا لمصطلح **دغمائي – تحريفي** .

يعالج " الإمبريالية و الثورة " عدّة مواضيع و الردّ على كلّ الأخطاء و كلّ تحريفات الماركسية التى يتضمّنها يتطلّب كتابا أطول من كتاب خوجا. و مقالنا هذا يتناول تقريبا بشكل خاص القسم الثالث من الجزء الثاني ،أي " فكر ماو تسى تونغ نظرية معادية للماركسية ".و حتى هنا ، لا نتناول الإنحرافات و الأخطاء و الأكاذيب بجميع أوجهها ، و مع ذلك مقالنا بطول و تفاصيل كافية ليتذوّق القارئ الخطّ المعادي للثورة لدى خوجا ، و حتى ليشعر بالقرف منه. (يسعى خوجا ، شأنه شأن القادة التحريفيين الصينيين ، إلى أن يلصق بماو تطوير النظرية الرجعية ل" العوالم الثلاثة ". و قد تناول الحزب الشيوعي الثوري ، الولايات المتحدة الأمريكية هذه المسألة بالبحث فى مقاله " إستراتيجيا العوالم الثلاثة تبرير للإستسلام" ، ضمن المجلّة الشهرية للجنة المركزية للحزب ، " الثورة " عدد شهر نوفمبر 1978. و مقالنا هذا لا يتطرّق لا إلى الصورة التي يرسمها خوجا للوضع العالمي الحالي ، و لا إلى الإلتقاء المتزايد دوما بين وجهات نظر خوجا و مؤامرات الإمبرياليين الإشتراكيين السوفيات.)

1- أنور خوجا و مسار الثورة الصينية :

حسب أنور خوجا ، يُهيمن على الحزب الشيوعي الصيني " فكر ماو تسى تونغ " الرجعي منذ 1935 ، سنة التركيز الجوهري لقيادة ماو للحزب. و على ما يبدو ، حسب خوجا، وانغ مينغ هو الذى كان يجسّد الخطّ الصحيح، رغم أنّ إسم هذا المرتدّ لا يظهر فى الكتاب. كان وانغ مينغ قائد الحزب الشيوعي الصيني طوال عدّة سنوات إلى هزيمة خطّه فى 1935؛ ميزتان تسمان مساره داخل الحزب : أوّلا ، كان خطّه السياسي خاطئا على طول الخطّ ،ما جعله يقع فى إنحرافات إنتهازية يمينية و " يسارية " ؛ و ثانيا ، كان يتمتّع بثقة و دعم الأممية الشيوعية و على الأرجح دعم ستالين.

قادة الحزب الشيوعي الذين كانوا يشاطرون وانغ مينغ الخطّ (و الذين يطلقون على أنفسهم تسمية " الأمميّون" و الذين يطلق عليهم أحيانا إسم " 28 و نصف بلشفي" ، إعتبارا لأنّ وانغ مينغ كان يدّعى أنّه هو و بعض الطلبة العائدين من موسكو كانوا " بلاشفة مائة بالمائة "). بدؤوا لعب دور هام فى وضع حرج للثورة الصينية. كانوا يرفضون الإعتراف بأنّ الثورة الصينية قد مُنيت بتراجع مؤقّت بعد هزيمة السنوات 1924-1927 و أنّ فترة طويلة من الدفاع الإستراتيجي كانت بالتالى ضرورية.

قام ماو بتحليل للظروف الملموسة فى الصين ، تحليل قائم على الماركسية - اللينينية و آخذا بعين النظر الأطروحات الجوهرية للينين و ستالين حول الثورة الصينية ؛ بلغ إستنتاج أنّه بالرغم من أنّ الثورة قد منيت بهزائم ، توجد العديد من الظروف التى تسمح بأن ترسي فى الكثير من المناطق فى الصين قواعد إرتكاز ريفية يحيط بها العدوّ. وفى إرتباط وثيق بهذا الموضوع ، وجدت مسألة الفلاّحين و لاحظ ماو بصيغة صحيحة بأنّه فى المرحلة الديمقراطية ، يجب على الفلاحين أن يشكّلوا القوّة **الرئيسية** (وليس القوّة القيادية) للثورة.و تعبئة الفلاحين تحت قيادة الحزب الشيوعي و إنجاز الثورة الزراعية كانا ضروريين لتطوّر قواعد الإرتكاز .

بصدد هذه الأطروحات و كذلك بشأن الكثير من المسائل السياسية و العسكرية الناجمة عنها ، كان وانغ مينغ يعارض بشدّة ماو . مثله مثل خوجا ، كان وانغ مينغ يحاجج ضد أطروحة ماو التى حسبها يجب محاصرة المدن إنطلاقا من الريف. و مثله مثل خوجا ، لم يكن وانغ مينغ يستطيع فهم مدّ الثورة و جزرها: كان بالأحرى يرسم صورة وضع موضوعي مواتى دائما لا يفتقد إلاّ إلى العامل الذاتي لتنظيم هجوم فوريّ و الإنتصار على السلطة الرجعية.و على الصعيد العسكري و السياسي و الإيديولوجي ، كان وانغ مينغ يقود الحزب بخطّ سياسي خاطئ ،و أدّى إلى الهزيمة على أيدى تشانكاي تشاك فى حملته الخامسة ل" التطويق و السحق" ، هزيكة فرضت على الجيش الأحمر التراجع ،و القيام بالمسيرة الكبرى الشهيرة. و نتيجة لهذا الخطّ الإنتهازي " اليساري" تمّ القضاء على عدد كبير من أعضاء الحزب الشيوعي و الجيش الأحمر و كذلك قواعد الإرتكاز.

و من الأكيد أنّ كلّ هذه القصّة جدّ معروفة ،و التقييم السياسي لهذه الإنحرافات يمثّل جزءا هاما من عمل ماو تسى تونغ. و إضافة إلى ذلك ، بالإعتماد على دحض هذا الخطّ خاصّة إستطاع الحزب الشيوعي الصيني أن ينجح فى أن يمضي بالمسيرة الكبرى الشهيرة إلى نهايتها كما مضى بالثورة الصينية إلى نهايتها هي الأخرى.

لكن أنور خوجا ، شأنه فى ذلك شأن وانغ مينغ و التحريفيين السوفيات ، يتّهم ماو ب" القومية" و ب" العقلية الفلاحية" و بالإنتهازية لأنّ ماو طبّق الماركسية ـ اللينينية على الظروف الملموسة للصين ، مطوّرا هكذا خطّا سياسيا كاملا قاد الثورة إلى الإنتصار.

لننظر فى بعض الحجج العميقة التى يعتمدها خوجا لمهاجمة ماو :

" هذه النظرية البرجوازية الصغيرة [التى لا تعترف بالدور القيادي للبروليتاريا] ، عبّر عنها ماو تسى تونغ فى أطروحته العامة " محاصرة المدن إنطلاقا من الريف " حيث كتب " يمكن للريف الثوري أن يحاصر المدينة ...يجب على العمل فى الريف أن يلعب الدور الرئيسي فى الحركة الثورية الصينية ، بينما يظلّ للعمل فى المدينة دور ثانوي". و قد كرّر ماو هذه الفكرة عندما تناول كذلك دور الفلاحين فى السلطة. قال إنّ كلّ الأحزاب و القوى السياسية الأخرى يجب أن تخضع للفلاحين و لمفاهيمهم.كتب " ...يهبّ فى هذه النهضة مئات ملايين من الفلاحين ...بسرعة خارقة و قوّة جارفة كالعاصفة العاتية، لا تستطيع أيّة قوّة أخرى ،مهما كانت عظيمة ، أن تقف فى وجهها...أمّا الأحزاب الثورية و الرفاق الثوريون فأنّهم سيجدون أنفسهم جميعا أمام إختيار الفلاحين الذين سيقرّرون قبولهم او رفضهم ." (المجلّد الأوّل من " مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " الطبعة العربية ، صفحة 30).حسب ماو ، يعود الدور الهيمني فى الثورة للفلاحين و ليس للطبقة العاملة " (2)

هذه إذا ، مثال عن عمق تفكير أنور خوجا ، لكن أين يوجد مبدأ وفقه المركز الرئيسي لعمل الحزب يجب ان يكون فى المدن؟ إن كنّا نقوم بثورة فى بلد حيث يشكّل الفلاحون 80 بالمائة من سكّانه ،و إن **دفعت** الثورة إلى خارج المدن ، إن منيت الحركة بإنهيار مؤقت وإن وجدت **إمكانية** تركيز سلطة سياسية حمراء فى الريف، مثلما كان الحال فى الصين ، كيف يمكن أن نقول إنّه من الخطإ أن نجعل من الريف " مركز العمل الرئيسي للحزب" أو أن نطوّر إستراتيجيا " محاصرة المدن إنطلاقا من الريف"؟ فى ظلّ مثل هذه الظروف ـ نثلما فى الصين ،عدم التحرّك عل هذا النحو لم يكن ليعني سوى سياسة مغامراتية متهوّرة؟ و سرعان ما أدّت هذه السياسة إلى الإستسلام أمام العدوّ بالضبط لأنّ الخطّ " اليساري" الذى كان يتمثّل فى التركّز فى المدن و رفض " محاصرة المدن إنطلاقا من الريف" ، كان غير قادر على إستنهاض القوى اللازمة للثورة، نظرا للظروف الملموسة للصين فى تلك الحقبة.

وجدّ كاشف هو أن أحدث خوجا هذا الضجيج بشأن المقولة الشهيرة لماو المقتطفة من " تقرير عن تحقيقات عن حركة الفلاحين فى خونان" الذى يقول فيه ماو إنّ العاصفة العاتية لحركة الفلاحين ستضع "الأحزاب الثورية و الرفاق... أمام إختيار الفلاحين الذين سيقرّرون قبولهم او رفضهم ." لأنّ هذا العمل الكلاسيكي قد تعرّض تاريخياّ لهجمات التحريفيين ، بمن فيهم تشان توسيو، ووانغ نيتغ و المرتدّون السوفيات.

ما يؤكّده ما وفى " تقرير عن تحقيقات عن حركة الفلاحين فى خونان" ليس انّ **البروليتاريا** لا يجب أن تقود الفلاحين ، لكن العكس بالضبط. إنّه ناضل ضد التوجهات اليمينية ، شكلا و مضمونا ،لقادة الحزب الذين كانوا يعتبرون أنّ حركة الفلاحين كانت تتجه توجّها خاطئا و أنّها تقترف " تجاوزات كبرى" كانوا يعتقدون أنّها تهدّد التحالف مع البرجوازية الوطنية (فى هذه الحال الكيومنتانغ) و أنّه يجب إمّا رفض الإعتراف بالحركة و إمّا معارضتها معارضة تامة و إمّا على الأقلّ محاصرتها. عندما أعاد ذكر مقولة ماو :" أمّا الأحزاب الثورية و الرفاق الثوريون فأنّهم سيجدون أنفسهم جميعا أمام إختيار الفلاحين الذين سيقرّرون قبولهم او رفضهم ." ؛ حذف خوجا عمدا الجمل التى تكشف النيّة الحقيقية التى كتب وفقها ماو التقرير ألا وهي :" أتسير على رأس الفلاحين و تقودهم ؟ أم تقف وراء ظهورهم كعيبا لهم؟ أم تقف فى وجوههم تناهضهم؟ إنّ لكلّ صيني الحرية فى أن يختار أحد هذه المواقف الثلاثة، بيد أنّ الظروف ستجبرك على الإختيار العاجل".(3)

إذن ، من الجلي (إن لم نقطّع اوصال مقولات ماو مثلما يفعل خوجا عادة من بداية هجومه إلى نهايته) أنّ ماو لا يريد قول إنّ الفلاحين يجب أن يقودوا الحزب، لكن بالضبط **العكس**، أي أنّ الحزب يجب أن يتقدّم و أن يضع نفسه على **رأس** التمرّد العاصف ، حركة تمرّد الفلاحين.

و ستالين نفسه هاجم ذات الأخطاء المقترفة عندئذ من قبل قادة الحزب الشيوعي الصيني : " أعلم أنّه يوجد أنصار الكيومنتنغ و حتى شيوعيون صينيون لا يعتقدون أنّه من الممكن إندلاع ثورة فى الريف لأنّهم يخشون أن تكسر الجبهة المتحدة المناهضة للإمبريالية إذا شارك الفلاحون فى الثورة . أيّها الرفاق ، هذا خطأ خطير جدّا... و فى رأيى حان الوقت لوضع حدّ لهذا الجمود و هذه " الحيادية" تجاه الفلاّحين...(4)

إن الإحتقار الذى يعرب عنه خوجا تجاه الفلاحين و إستنقاصه من دورهم المركزي فى السيرورة الثورية للبلدان مثل الصين مرتبطان بعدم قدرته على فهم طبيعة هذه الثورات ذاتها. كن لينين و ستالين و ليس ماو ، السبّاقان إلى تطوير أطروحة حسبها الثورات فى بلدان آسيا كانت ذات طابع ديمقراطي برجوازي،و الهدف مزدوج : طرد الإمبريالية الأجنبية و هزم فئات الطبقة الرأسمالية المرتبطة بهذه الإمبريالية ؛ و حلّ المسألة الزراعية: تحطيم البقايا الإقطاعية و تحقيق مبدأ " الأرض لمن يفلحها".

و مرّة أخرى ، كان ستالين واضحا جدّا بصدد هذه المسألة : " كان رأي الكومنترن و لا زال ، أنّ قاعدة الثورة الصينية فى المرحلة الحالية [1927] هي الثورة الزراعية الفلاحية " (5)

(نفس الأطروحة وجدت عدّة مرّات فى كتابات ستالين حول الصين ، و كذلك فى مقرّرات الكومنترن حول الثورة الصينية أنظروا مثلا قرار اللجنة التنفيذية الثامنة للجلسة العامة للأممية الشيوعية حول مسألة الصين (ماي 1927) التى تؤكّد :

" الثورة الزراعية ، بما فيها مصادرة الأراضي و تأميمها : هذا هو المضمون الإجتماعي –الإقتصادي الداخلي للمرحلة الجديدة للثورة الصينية... و يجب على الحزب الشيوعي أن يضع نفسه على رأس هذه الحركة و أن يقودها"(6).

أو مرّة أخرى ، قرار جوان 1930 حول المسألة الصينية:

" المسألة الزراعية هي قاعدة الثورة الصينية التى تتطوّر فى شكل حروب فلاحية بقيادة البروليتاريا".(7)

و بالطبع لا يعنى هذا أن ستالين أو الكومنترن كانا دائما على صواب فيما يتعلّق بتحليلهما أو توصياتهما بصدد الثورة الصينية.)

يتّهم خوجا : " لم يستطع ماو تسى تونغ أبدا أن يفهم و لا أن يفسّر بصورة صحيحة العلاقات الوثيقة القائمة بين الديمقراطية – البرجوازية و الثورة البروليتارية. فى تعارض مع النظرية الماركسية- اللينينية التى بيّنت علميّا أنّه بين الثورة الديمقراطية – البرجوازية و الثورة الإشتراكية لا يوجد سور صيني، و أنّ الثورتان لا يجب أن تفصلا الواحدة عن الأخرى بمدّة طويلة ، كان ماو تسى تونغ يؤكّد أن " التحوّل فى الثورة هو من المهمّات المقبلة... أمّا متى يتحقّق هذا التحول ... سوف يتطلّب زمنا طويلا. وينبغى ألاّ نعلن التحول بطيش ، قبل أن تتوفّر جميع الشروط الضرورية فى المجال السياسي و الإقتصادي ،و قبل أن يصبح هذا التحوّل مفيدا و ليس مضرّا بالأغلبية الساحقة من أبناء الشعب فى جميع أرجاء البلاد".(8)

بعدُ قد يكون القارئ المنتبه قد تساءل : ما الذى يحذفه خوجا بهذه النقاط المسترسلة؟ تستعمل النقاط الأولى لحذف جملة لماو: " فمن المؤكّد أنّ الثورة الديمقراطية سوف تتحوّل فى المستقبل إلى ثورة إشتراكية ". و النقاط التالية تحذف جزءا من الجملة المشدّد عليها أدناه : " أمّا متى يتحقّق هذا التحول فذلك امر يتوقّف على توفّر الشروط اللازمة وهو سوف يتطلّب زمنا طويلا." (9)

(ندع للقارئ مهمّة تقرير إن كان المترجمون الألبانيون يذكرون عمدا الطبعة **الألبانية** لأعمال ماو من أجل منعهم من المقارنة بين عملية خوجا المضطربة هذه و النصّ الأصلي ، أو أنّ الأمر يتعلّق ببساطة بمنهج غير نسؤول إلى أبعد حدّ إزاء مسألة ذات أهمّية كهذه. على كلّ حال ، يجعل هذا المنهج **غير ممكن عمليّا** أن يعود غالبية القراء إلى النصّ الأصلي ، خاصة أنّ مقالات **المؤلفات المختارة** لماو غير مذكورة. [بالعربية " مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " المجلّد 1، صفحة 248].)

هكذا نرى أنّ خوجا يحذف نقطتين حيويّتين فى سياسة ماو : 1) أنّ التحوّل إلى الثورة الإشتراكية حتمي، و 2) أنّ هذا التحوّل يتوقّف على " توفّر الشروط اللازمة". و يضيف خوجا :

" لقد تمسّك ماو تسى تونغ ، طوال الثورة ،و حتى بعد التحرير ، بهذا المفهوم المعادي للماركسية المناهض لتحوّل الثورة الديمقراطية –البرجوازية إلى ثورة إشتراكية. و هكذا ، فى 1940 ، قال ماو تسى تونغ إنّ : " الثورة الصينية لا بدّ أن تمرّ ب...الديمقراطية الجديدة و الخطوة الثانية هي الإشتراكية. و الأكثر من ذلك أن الخطوة الأولى ستتطلّب وقتا طويلا جدّا..." (10)

و هنا نورد للقارئ الفقرة الكاملة التى إقتطف منها خوجا " مقولته" ؛ وهي فقرة صادرة عن ترجمة صينية رسمية ، ودون النقاط المسترسلة المريحة لخوجا:

" ممّا لا يتطرّق غليه الشكّ أنّ الثورة الحالية هي الخطوة الأولى وهي ستتطوّر فيا بعد إلى الخطوة الثانية ، أي الإشتراكية. و لن تبلغ الصين عصر السعادة الحقيقية إلاّ حين تدخل عصر الإشتراكية . و لكن لم يحن الوقت بعد لتطبيق الإشتراكية. فالمهمّة الحالية للثورة الصينية هي محاربة الإمبريالية و الإقطاعية ،و لا مجال للكلام عن الإشتراكية قبل إنجاز هذه المهمّة. و الثورة الصينية لا بدّ أن تمرّ بخطوتين، الخطوة الولى هي الديمقراطية الجديدة و الخطوة الثانية هي الإشتراكية . و الأكثر من ذلك أن الخطوة الأولى ستتطلّب وقتا طويلا جدّا ،و لا يمكن إنجازها بين ليلة و ضحاها. نحن لسنا طوباويين فلا يجوز لنا أن نغضّ النظر عن الظروف الواقعية الحالية." (11).

و مجدّدا ، من الواضح، حسب الفقرات ذاتها أنّ خوجا ، لأجل الدفاع عن أكاذيبه، يحاول تخطئة و تحريف أنّ ماو أشار بجلاء إلى أنّ ثورة الديمقراطية الجديدة **تقود** إلى الإشتراكية عندما تتوفّر الظروف اللازمة وهي ظروف حدّدها ماو بهزيمة الإمبريالية و الإقطاعية.

خوجا على صواب : لا وجود ل" سور صيني " يفصل مرحلتي الثورة لكنّه فى العمق ، يرغب فى إنكار الوجود الفعلي **لمرحلتين مختلفتين للثورة** تتحدّد بالضرورة بتحالفات طبقية و مهام مختلفة. يسعى خوجا إلى خلط كلّ شيء ، إلى مزج الإثنين فى واحد ؛ و ينتج عن ذلك نوعا من الشكل الغريب من الثورة الديمقراطية-الإشتراكية ذات نفس الخصوصيّات العملية فى البلدان الإمبريالية و البلدان المضطهَدَة. خطّ خوجا إنتقائي و مرتبك إلى درجة أنّه من المستحيل التوصّل إلى فهم صحيح لما يريد قوله. هل يريد أن يقول إنّ الثورة الصينية قبل 1949 كانت (أو كان يجب أن تكون) ثورة **إشتراكية؟** هل ينقل خطّ بعض القادة الصينيين (الذين تمتّعوا ببعض الدعم من الكومنترن) و الذى وفقه ستتحوّل الثورة البرجوازية إلى ثورة إشتراكية منذ إفتكاك السلطة فى محافظة أو محافظتين هامتين؟ أم هل يريد أن يقول إنّ ماو لم يغترف بأنّ الثورة يتتحوّل إلى ثورة إشتراكية مع إفتكاك السلطة على النطاق الوطني؟ على كلّ حال سنرى أنّ ماو و ليس خوجا أو وانغ مينغ هو الذى كان على صواب.

(و بالطبع، من الممكن أيضا أن يكون خوجا يطلق عمدا الأكاذيب ضد ماو. على كلّ حال ،من البديهي أنّ الثورة فى ألبانيا تنتمى إلى النوع الأوّل من الثورات ذات المرحلتين ،و أنّ حزب العمل الأباني ، حسب تاريخه الرسمي، يبدو قد فهم جيّدا هذه المسألة ، مشيرا إلى أنّ الثورة الألبانية كانت فى البداية " ثورة ديمقراطية معادية للإمبريالية" تطوّرت لاحقا إلى ثورة إشتراكية،و شارحا أنّ " فى المرحلة الأولى من الثورة كان الهدف الإستراتيجي للحزب هو ضمان الإستقلال الوطني و إرساء نظام ديمقراطية شعبية" (12) . و إضافة إلى ذلك ، وقع شرح خطّ الحزب الألباني بعد تحرير ألبانيا على النحو التالي: " فى الظروف الجديدة ، أطلق الحزب الشيوعي الألباني شعار الوحدة الوطنية. و هذه الوحدة يجب أن تشمل ، فضلا عن الجماهير الشعبية العريضة التى شاركت بنشاط فى نضال التحرّر الوطني ،كافة الذين ظلّوا بعيدين عن هذا النضال أو وقعت مغالطتهم من قبل القادة الرجعيين ، لكن الذين يستطيعون الآن تقديم مساهمتهم فى بناء المجتمع الجديد".(13).

ألا يبيّن هذا المقتطف بالوضوح الكافي تركيز مرحلة مغايرة جدّا للمرحلة الإشتراكية؟ و فعلا ، يمكن أن يكون هذا خطّا صحيحا للحزب الشيوعي الألباني (كما كان يسمى عهدئذ).و صحّة مثل هذا الخطّ ليست موضع سؤال هنا (رغم أنّ الحزب الألباني ذاته قد إعترف بأنّه أثناء هذه الفترة ، قام بجملة من الأخطاء اليمينية)(14)؛ الأساسي هنا هو أنّ خوجا قد لعب دورا رئيسيا فى الثورة ذات الطبيعة الديمقراطية الواضحة ، مرحلة ،حسب تقييم خوجا و الحزب فى تلك الفترة ، ستدوم لمدّة زمنية طويلة نوعا ما ، إثر إفتكاك السلطة؛ و مع ذلك الآن ، يتهم ماو بأنّه إقترف نوعا من المحرّمات إذ طوّر نظريّة ثورة الديمقراطية الجديدة. نشكّ هنا بالأحرى بأن الأمر يتعلّق بخدعة أكثر منه خلط لدى خوجا.)

عمدا يخلط خوجا بين كون الثورة الإشتراكية يمكن أن تنجز **مهام** ديمقراطية (و ثورة أكتوبر أبلغ مثال) و مفهوم الثورة الديمقراطية –البرجوازية ذاتها.

و ليس مفاجئا ، فى الجزء الأوّل من كتابه حيث يقترح خوجا وصفاته للثورة فى كافة بلدان العالم (دون تحديد ،حقّا، طريق كلّ بلد بعينه)، يظهر أنّه غير قادر تماما على فهم المسألة ،و بالفعل ينتج عن ذلك خلط فظيع:

" صار الرابط [بين الثورة البروليتايرية فى الغرب و النضال فى المستعمرات و البلدان التابعة- ج. و] أكثر بديهية ، أكثر طبيعية ، اليوم ، بينما غالبية الشعوب ، وهي تقلب النظام الإستعماري القديم ، قد أنجزت خطوة كبرى إلى الأمام نحو الإستقلال بإيجاد دولها القومية الخاصّة و أنّه بعد هذه الخطوة ، يطمحون إلى المضيّ أبعد إلى الأمام. إنهم يريدون القضاء على النظام الإستعماري الجديد و التحرّر من كلّ تبعيّة الإمبريالية ، من كلّ إستغلال للرأسمال الأجنبي، و الحصول على سيادتهم و إستقلالهم التام ، الإقتصادي و

السياسي. و قد ثبت بأنّه لا يمكن أن نحقّق هذه الطموحات و نبلغ هذه الأهداف إلاّ بالقضاء على كلّ هيمنة أو تبعيّة أجنبية ، و بالتحرّر من إضطهاد و إستغلال الحكّام البرجوازيين و الملاّك العقاريين الكبار فى البلاد.

و يترتّب عن ذلك أن الثورة الوطنية –الديمقراطية ، المعادية للإمبريالية و من أجل التحرّر الوطني مرتبطة و متشابكة مع الثورة الإشتراكية، لأنّها فى هجومها على الإمبريالية و الرجعية ،وهم أعداء مشتركون بين البروليتاريا و الشعوب ، تفتح الأولى أيضا الطريق للتغييرات الإجتماعية الكبرى، و تساهم فى إنتصار الثورة الإشتراكية ، وهي تهاجم البرجوازية الإمبريالية ، بإجتثاث مواقعها الإقتصادية و السياسية ، توجد الظروف المواتية لحركات التحرّر و تسهّل الإنتصار".(15).

رغم أنّ خوجا يُحيل عنا على " الملاكين العقّاريين الكبار " فإنّ هذه الفقرة ،و كذلك فى كتابه بأسره،مدهشة لغياب أيّة نقاش لطابع الثورة المعادي للإقطاع فى عديد بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية. ذلك انّ النضال ضد الإقطاعية هو الذى يعطى الثورة الديمقراطية طابعها **البرجوازي.**

فى الفقرة أعلاه **يمزج** بمهارة الثورة الإشتراكية و الثورة الديمقراطية –البرجوازية ،مؤكّدا أنّ الإستقلال، و السيادة إلخ لا يمكن بلوغهما إلاّ ب " التحرّر من إضطهاد و إستغلال الحكّام البرجوازيين و الملاّك العقّاريين الكبار فى البلاد". و طبعا ، صحيح فى آخر المطاف ، أنّ التحرّر الحقيقي من الإمبريالية مرتبط بالثورة الإشتراكية. و قد أشار ماو إلى هذا فى عديد المناسبات ،مثلا فى تصريحه الشهير ، " فقط الإشتراكية يمكن أن تنقذ الصين". المسألة هي أنّ الثورة الإشتراكية و الثورة الديمقراطية – البرجوازية **ليستا متماثلتين،** يعنى أنّه خلال الثورة الديمقراطية –البرجوازية ، بعض القوى البرجوازية (قوى إستغلالية) يمكن أن تلعب دورا إيجابيّا.

بتهكّم ، رغم أن خوجا قام بمحاولات ليعتبر نفسه تلميذا وفيّا لستالين ، فإنّه ستالين هو الذى ،فى معرض كتابته عن مرتدّ آخر، قيّم بإختصار الأخطاء الجوهرية لخوجا بصدد مسألة الثورة الصينية: " الخطأ الجوهري لتروتسكي (و بالتالى للمعارضة) هو أنّه يستخفّ بالثورة الزراعية فى الصين ، و لا يفهم طابعها الديمقراطي –البرجوازي و ينكر أن توجد فى الصين الظروف الأوّلية الضرورية لحركة فلاحية تشمل ملايين الفلاحين و يستخفّ بدور الفلاحين فى الثورة الصينية."(16)

و على عكس إحتجاجات خوجا ، فإنّ ماو بالذات هو الذى شرح العلاقة بين المرحلة الديمقراطية –البرجوازية و المرحلة الإشتراكية. بداية ، أثرى ماو الأطروحة الجوهرية للينين القائلة بأنّ الثورات الديمقراطية –البرجوازية للبلدان التابعة و المستعمرات فى عصر الإمبريالية و الثورة البروليتارية الجديدة (يعنى منذ أكتوبر فى روسيا سنة 1917) لم تعد جزءا من الثورة البرجوازية القديمة ،و إنّما تنتمى بالأحرى إلى الثورة البروليتارية العالمية الجديدة.

لقد أكّد ما وفى عديد المناسبات أنّ البرجوازية الوطنية فى الصين و فى البلدان المشابهة للصين **ليس بوسعها أن تقود** الثورة الديمقراطية –البرجوازية إلى النصر . وهي عرضة لسوء المعاملة من الإمبريالية ، أحيانا تدخل هذه البرجوازية فى تناقض معها و تلتحق من وقت لآخر بالنضال الثوري . لكن بالضبط بسبب ضعفها و جمودها السياسي و الإقتصادي ، و بسبب العلاقات التى لا تزال تربطها ببعض القطاعات الهامة (الكمبرادورية) للبرجوازية و للملكية العقارية ، ستتسم هذه الطبقة على الدوام فى أفضل الأحوال بالتذبذب ، وستستسلم أحيانا للقوى الإمبريالية و للرجعية المحلّية.

و بالتالى ، قيادة الشعب ، و قبل كلّ شيء الفلاحين لإتمام الثورة الديمقراطية-البرجوازية ، باتت مهمّة **البروليتاريا**. و بالفعل ، شرح ماو بالضبط لأنّ الثورة الصينية قد قادتها البروليتاريا و طليعتها ، الحزب الشيوعي ، فهي توصف بثورة الديمقراطية **الجديدة** (و ليس القديمة) ، و أنّ هذه الثورة لا تهدف إلى " إرساء مجتمع رأسمالي و دولة دكتاتورية برجوازية" بل بالأحرى ، " تمهّد طريقا أوسع و أرحب من أجل تطوّر الإشتراكية" (17)

و شرح ماو مضيفا :" و على الرغم من أنّ الثورة الصينية فى المرحلة الأولى هذه (بمراحلها الصغيرة المتعدّدة) هي ، من حيث طبيعتها الإجتماعية ، ثورة ديمقراطية برجوازية من نمط جديد و لم تصبح بعد ثورة إشتراكية بروليتارية ، إلاّ أنّها قد أصبحت منذ زمن طويل جزءا من الثورة العالمية الإشتراكية البروليتارية ، بل أصبحت بالأحرى فى الوقت الحاضر جزءا بالغ الأهمّية من هذه الثورة العالمية و حليفا عظيما لها. إنّ الخطوة الأولى أو المرحلة الأولى لهذه الثورة لن تكون ،و لا يمكن أن تكون إقامة مجتمع رأسمالي خاضع لدكتاتورية البرجوازية الصينية ، بل ستنتهى هذه المرحلة الأولى بإقامة مجتمع للديمقراطية الجديدة خاضع للدكتاتورية المشتركة لجميع الطبقات الثورية فى الصين بزعامة البروليتاريا الصينية . و من ثمّ ستتطوّر هذه الثورة إلى المرحلة الثانية التى سيقام فيها مجتمع إشتراكي فى الصين.

هذه هي أهمّ الخصائص الأساسية للثورة الصينية فى الوقت الراهن ،و مجرى الثورة الجديد خلال السنوات العشرين الأخيرة (إعتبارا من حركة 4 مايو – أيار- 1919) ،و هذا هو المضمون الحيّ الملموس للثورة الصينية الحالية. " (18)

بإستمرار يشدّد ماو على الرابط الحقيقي بين الثورة الديمقراطية - البرجوازية و الثورة الإشتراكية : أنّ فقط إتمام الثورة الديمقراطية ، أي إلحاق الهزيمة بالإمبريالية و الإقطاعية ، يمهّد الطريق للثورة الإشتراكية ، و أنّ هذه الثورة لا يمكن أن تنجز دون توفّر هذه الشروط. و شدّد ماو **أيضا** على أنّ مواصلة الثورة إلى أبعد من المرحلة الديمقراطية ،و المرور إلى المرحلة الإشتراكية ، لا يمكن أن يتحقّقا إلاّ فى ظلّ قيادة البروليتاريا و حزبها.

و نظرا لأنّ خوجا غير قادر على فهم (أو يدعى عدم فهم) الطابع الطبقي للمرحلة الأولى من الثورة الصينية ، ليس من المفاجئ أن يهاجم كذلك الخطّ العسكري لماو تسى تونغ، حرب الشعب ، خطّ يعتمد بالتحديد على فهم صحيح لظروف الثورة الصينية. و هذا ما يقوله خوجا بهذا الصدد ، ضمن وصفة يقترحها للثورة فى كلّ البلدان:

" وفى الظروف الملموسة لبلد و الوضع العام ، يمكن أن تكون الإنتفاضة المسلّحة إنفجارا فجئيّا أو سيرورة ثورية أطول ، لكن ليست محدودة أو دون أفق ملموس ، مثلما تعلن " نظرية حرب الشعب طويلة الأمد" لماو تسى تونغ. إن عقدنا مقارنة بين تعاليم ماركس و إنجلز و لينين و ستالين حول الإنتفاضة الثورية المسلّحة من جهة و نظرية ماو حول " حرب الشعب" ، فإنّ الطابع المعادي للماركسية و المعادي للينينية و المعادي للعلم لهذه النظرية يبدو جليّا. تقوم تعاليم الماركسية - اللينينية على أنّ الإنتفاضة المسلّحة وثيقة العلاقة بالصراع فى المدن و فى الأرياف نفى ظلّ قيادة الطبقة العاملة و حزبها الثوري.

و نظرا لأنّ النظرية الماوية ضد الدور القيادي للبروليتاريا فى الثورة فهي تعتبر الريف قاعدة وحيدة للإنتفاضة المسلّحة و تتجاهل النضال المسلّح للجماهير الكادحة فى المدن. إنّها ترتئي أنّه إنطلاقا من الأرياف تجب حاصرة المدن المعتبرة قلاعا للبرجوازية المعادية للثورة. و يعكس هذا قلّة الثقة فى الطبقة العاملة و تنكّر لدورها الهيمني".(19)

مهمّ! جدّا! هذا المقتطف لخوجا يوضّح أكثر إحتجاجاته (المذكورة أعلاه) على كون ماو أكّد أنّ الثورة الديمقراطية الجديدة يمكن أن تتطلّب " مرحلة طويلة ". تهمة خوجا التى مفادها أنّ ماو قد طالب بحرب لا نهاية لها و " دون أفق ملموس" سخيفة بشكل بيّن. لقد إرتأى ماو بوضوح أنّ للحرب ذاتها (أو بالأحرى فى حال الصين ؛ ثلاث مراحل متباينة : المرحلة الأولى ضد الكيومنتنغ ، و الثانية ضد اليابان و الثالثة من جديد ضد الكيومنتنغ، مثّلت الشكل الجوهري لمواصلة الثورة إلى تحقيق أهدافها الأولى التى كانت طرد الإمبريالية من البلاد، و حلّ المسألة الزراعية. لا يمكن أن توجد "أفاق " " ملموسة " أكثر من هذه!

يكشف نقد خوجا لحرب الشعب بصورة أوضح الطابع الأساسي اليميني ل " يسراويته". ونودّ أن نسأل خوجا : ما هو الطريق الذى **كان على** الثورة الصينية أن تتبعه إثر هزيمة الثورة فى 1924-1927 ، أي عندما إنتصرت الثورة المضادة فى المدن و كان يتمّ ذبح الشيوعيين؟ على ما يبدو ، كان صحيحا تركيز مناطق إرتكاز فى الريف ، شرط عدم فقدان " الأفق الملموس" ، بمعنى إنتصار سريع (فى بضعة سنوات) على القوى الرجعية. و هذا الخطّ بالفعل ، كان خطّ وانغ مينغ الذى أمر الجيش الأحمر ، متوقّعا إنتصارا فوريّا و إنهيار العدوّ ، بشنّ هجوم مستمرّ. و جاءت نتيجة هذه السياسة هزيمة هائلة للثورة الصينية ، و خسارة كافة قواعد الإرتكاز فى جنوب الصين ،و ضرورة الإبحار فى المسيرة الكبرى.

إن إستمعنا لخوجا ، يجب أن نستخلص أنّه كان من الخاطئ الإنطلاق فى كفاح مسلّح طالما لا يوجد أفق إنتصار فوري. حسب رأيه ، الإحتفاظ بالسلطة الحمراء فى الريف فى حال إنعدام إمكانية إفتكاك سريع للمدن ، يكون تخلّيا عن الطبقة العاملة و فقدان للثقة فى دورها الهيمني. هذه طريقة تفكير ميكانيكية حقّا ، بالغة " قمم" لم يسبق أبدا بلوغها. ذلك أنّ الإنتهازيين أثناء الثورة الصينية (لا سيما التروتسكيين) كانوا يدافعون عن مثل طرق التفكير هذه، وانغ مينغ من برجه العاجي فى موسكو ، كان الوحيد الذى كرّر هذه **السفسطة** حتى بعد أن بيّن التاريخ أنّها سفسطة.

كان خوجا يودّ أن يرى حلّ الجيش الأحمر من قبل الحزب الشيوعي الصيني أو إن لم يفعل ذلك ، أن يهاجم هذا الأخير بكلّ بساطة المدن بطرق غير مدروسة و إنتحارية ، فى حين أنّ الظروف غير مواتية لإنتصار على المستوى الوطني؛ كان هذا ليؤدّى كذلك إلى حلّ الجيش الأحمر. أيعتقد خوجا جدّيا أنّ " هيمنة البروليتاريا " تكون قد تحقّقت بصفة أفضل لو لم توجد قواعد إرتكاز ريفية، و لو أنّ الحزب الشيوعي و قد تعرّض لضربات الإرهاب الأبيض ، قد صار متقلّصا إلى قوى متناثرة تقوم بعمل قانوني و غير قانوني فى المدن؟ هل من الصحيح أنّ مثل هذا الوضع كان سيعجّل بتطوّر إنتفاضة جديدة فى الصين؟ أم ، أليست سياسة ماو أي تطوير قواعد إرتكاز ثورية ، فى الأخير ، هي التى ساهمت خلال النضال ، فى الإعداد للإستيلاء المستقبلي على المدن؟

و لا يمكن أن نمسك أنفسنا عن توجيه سؤال آخر لخوجا :أين يوجد فى كتبات ماركس و إنجلز و لينين و ستالين خطّ محدّد بشأن الطريق الذى يجب إتباعه لإفتكاك السلطة بالقوّة المسلّحة فى بلد مثل الصين؟ بلا شكّ، لا وجود لمثل هذه الوصفة، لأنّ قادة البروليتاريا العظام ، على عكس خوجا ، لم يكونوا لينطلقوا فى إصدار تخمينات حول الأحداث الممكنة التى لم تحصل بعدُ.و نظرا لأنّه قبل الثورة فى الصين ، لم توجد أبدا ثورة قادتها الطبقة العاملة فى مثل هذه البلاد ، أليس من السخيف نصحنا بأن نقارن كتابات ماو مع كتابات عسكرية لقادة ماركسيين- لينينيين سبقوه لإكتشاف أخطاء ماو؟ و فضلا عن ذلك ، إن عقدنا هذه المقارنة نكتشف أن ماو يتجاوز حتى القادة الكبار

الذين سبقوه و لم يحلّل فقط سيرورة الحرب الثورية فى الصين لكنّه أيضا قدّم مساهمات لا تقدّر بثمن فى الخطّ الماركسي عموما فى ما يخصّ المسائل العسكرية.(20)

وهذا ليس غريبا بما أنّه تراكمت لدي ماو تجربة أوفر من سابقيه فيما يتصل بممارسة الحرب الثورية. و على خوجا أن يلاحظ أيضا التصريح الذى أدلى به ستالين فى هذا المضمار سنة 1926 إذ قال " فى الصين الثورة المسلّحة تواجه الثورة المضادة المسلّحة" (21)

دغماتحريفية خوجا تمنعه من الفهم الصحيح للعلاقة بين السياسة و الحرب. بإعتبار أنّه حسب رأيه ، لا يمكن للضدين أن يتحوّل الواحد منهما إلى نقيضه (موضوع ستطرّق إليه فى الصفحات التالية) لا يمكنه فهم أنّ الحرب الثورية ذاتها كانت فى الصين الطريق الرئيسي للقيام بالعمل السياسي على النطاق الواسع فى صفوف الجماهير. لقد وضّح ماو بصفة جيّدة هذا الأمر وهو يقيّم أهمّية المسيرة الكبرى :

" ...مسيرتنا الكبرى هي أوّل مسيرة من نوعها سجلها التاريخ وبأنّها بيان و فرقة للدعاية و آلة بذارة...إنّ المسيرة الكبرى بيان ،إذ أنّها أعلنت للعالم أجمع أن رجال الجيش الأحمر هم أبطال ،و أنّ الإمبرياليين و عملاءهم – تشيانغ كاي تشيك و أمثاله- هم ضعفاء عاجزون... إنّ المسيرة الكبرى فرقة للدعاية أيضا ، إنّها أوضحت لحوالي مئتي ملين من أبناء الشعب فى الإحدى عشرة مقاطعة أن طريق الجيش الأحمر هو الطريق الوحيد الذى يؤدّى إلى تحرّرهم. كيف كان يمكن لهذه الجماهير الغفيرة ، لولا المسيرة الكبرى ، أن تعرف بمثل هذه السرعة وجود تلك الحقيقة العظمى فى الدنيا ، التى تتجسد فى الجيش الحمر؟ إنّ المسيرة الكبرى آلة بذارة أيضا ، إذ أنّها قد بذرت بذورا كثيرة فى الإحدى عشرة مقاطعة، وهي بذور سوف تنبت و تورق و تزهر و تثمر، و تعطى حصادا فى المستقبل. ..و من الذى قاد هذه المسيرة الكبرى إلى النصر؟ إنه الحزب الشيوعي . فلولا الحزب الشيوعي لما كان من الممكن تصوّر القيام بمثل هذه المسيرة الكبرى. " (22)

و هكذا نرى أنّ الحرب الثورية لم تكن جرّد مسألة عسكرية ،و إنّما الشكل الرئسي للصراع الطبقي فى الصين. و الذين كانوا قد أكّدوا على كون الثورة يجب أن تنجز وفق نمط الثورة الروسية (ثورة تميّزت بفترة طويلة من الإعداد خلالها كان الصراع يتمّ رئيسيّا على المستوى السياسي و ليس العسكري متبوعة بإنتفاضة و حرب أهلية) كانوا سيحكمون عل الطبقة العاملة و كذلك على الشعب الصيني بعدم القيام بأيّة ثورة.

يدعى خوجا أنّ كلّ خطّ ماو لمحاصرة المدن إنطلاقا من الريف يمثّل تخلّيا عن هيمنة البروليتاريا. فى الحقيقة عدم شنّ النضال المسلّح فى الريف كان سيعنى بالذات انّ الطبقة العاملة **لن تمارس** قيادتها (هيمنتها) فى الثورة ، خاصة فى علاقة بمئات ملايين الفلاحين الصينيين.

تعنى هينة البروليتاريا قبل كلّ شيئ قيادة حزبها السياسي الطليعي ، الحزب الشيوعي.و هذا لا يعنى بالضرورة أنّ البروليتاريا قوّة رئيسية فى الثورة (هذا خوجا ذاته مضطرّ للإعتراف به).و تتمثّل قيادة البروليتاريا فى توحيد الجماهير المضطهَدَة تحت راية الطبقة العاملة حول برنامجها للثورة. فى الظروف الملموسة للصين ، كان هذا المبدأ يتطلّب أن توجد البروليتاريا ، عبر حزبها ، فى الصفوف الأولى للنضال ضد الإمبريالية و الإقطاعية، فى نفس الوقت الذى يتمّ فيه بناء السلطة السياسية المستقلّة للحزب الشيوعي الذى بإمكانه وحده أن يقود الثورة إلى الإنتصار و من هناك إلى الإشتراكية. و نظرا لهذه المبادئ ، عدم شنّ حرب فى الريف كان سيؤدّى إلى غياب قيادة البروليتاريا للفلاحين ، و بالتالى كانت إمكانية إنجاز الثورة ستتبخّر.

لماذا لم تكن الثورة قادرة على إحراز الإنتصار أوّلا فى المدن، لتتوسّع تاليا إلى الريف، على غرار الثورة الروسية،مثلا؟ لأنّ المدن لم تكن وحدها هي **المعتبرة** (مثلما يقول خوجا) حصونا للبرجوازية المعادية للثورة – **كانت كذلك فعلا.** فى المدن، كانت توجد تجمعات فيالق العدوّ نو إضافة إلى ذلك، كانت الفيالق الإمبريالية تستطيع بسهولة بلوغ المدن،و هناك كانت تقدر على تقديم المساعدة الأكثر فعالية للقوّات الرجعية الصينية. و الطبقة العاملة هي أيضا كانت مرتكزة فى المدن ن لكنّها لم تكن قويذة بما فيه الكفاية و لم يكن الوضع مناسبا حتى تنجح فى شنّ إنتفاضات و تمسك بالسلطة السياسية. و بالفعل، قد حاول العمّال القيام بمثل هذه الإنتفاضات التى إنتهت إلى أن أغرقها العدو فى حمّام من الدم.

لقعد مقارنة ، يمكن أن نلقي نظرة على الوضع العالمي فى مجمله. فقد إعتقد ماركس و إنجلز (و قد مثّل ذلك "مبدأ" معترفا به ماركسيّا) أنّ الثورة ستحدث أوّلا فى بلدان أوروبا الغربية ، بلدان قد بلغت أعلى مستوى تطوّر رأسمالي. و فقط زمن ثورة أكتوبر ،طوّر لينين أطروحة أنّ الثورة ستحدث أوّلا فى البلد الذى يمثّل **الحلقة الأضعف** فى النظام الإمبريالي. و قد إتّهم لينين من طرف " الماركسي الأرتودكسي" كاوتسكي بأنّه تخلّى عن البروليتاريا لأنّه كان مقتنعا بأّ الثورة البروليتارية يمكن بالفعل أن تحدث أوّلاّ فى مجتمع يُهيمن عليه بعدُ الفلاحون ، مثل روسيا فى تلك الحقبة. و بالطبع ، أثبتت ثورة أكتوبر أنّ أطروحة لينين كانت صحيحة. و نفس الشيء فى الصين ، لم يكن فقط التناقض الرئيسي الذى ينبغى معالجته لإتمام الثورة الديمقراطية (المسألة الزراعية) متركّزا فى الريف ، لكن أيضا أنّ الرجعيين كانوا الأكثر ضعفا و أنّ البروليتاريا كان بإستطاعتها أن تقود الجماهير الشعبية فى تركيز السلطة السياسية و الحفاظ عليها.

يريد منّا خوجا أن نفهم أنّ ماو يتبنّى محاصرة المدن إنطلاقا من الريف كإستراتيجيا للإنتصار فى كافة البلدان. بالعكس تماما فقد حدّد ماو أنّ نموذج ثورة أكتوبر ن الإنتفاضة فى المدن ، ستمثّل طريق السلطة فى البلدان الإمبريالية . إلى ذلك ، لم يقل ماو إطلاقا أنّ النضال الثوري ل**كلّ** البلدان التابعة و المستعمرات سيتطوّر وفق نفس الطريق الصيني. فى البداية ، كان يعتقد أنّ الصين كانت البلد الوحيد أين سيقود هذا الطريق إلى الإنتصار ، لعدّة أسباب شرحها بالتفصيل ، مثل كون الصين لم تكن مستعمرة و إنّما شبه مستعمرة فيها تتنافس مختلف القوى الإمبريالية المتنازعة لإخضاعها و أنّ المجال الترابي الشاسع للصين كان مناسبا لمناورات القوات الثورية. و مع ذلك ، أثبت تطوّر النضال الثوري ، لا سيما فى آسيا ، دون شكّ أنّ خطّ ماو بصدد حرب الشعب و محاصرة المدن إنطلاقا من الريف إلخ ينطبق على عديد البلدان الأخرى فضلا عن الصين. و رغم ان طريق السلطة ليس بتاتا متماثلا بالضبط فى بلدين مختلفين ، من الواضح أنّ النضال المسلّح فى الفيتنام ، مثلا، قد تطوّر جوهريّا ، حسب المبادئ التى صاغها لأوّل مرّة ماو.

رغم أنّه من الأكيد أنّ حرب الشعب المتميّزة بمحاصرة المدن إنطلاقا من الريف، لن تكون الطريق العالمي ل**كافة** بلدان آسيا و أفريقيا و أمريكا اللاتينية ، يبقى مع ذلك من الأكيد أنّ فى هذا الطريق إنخرطت عديد الشعوب ،و أنّه سيكون طريق الإنتصار بالنسبة للكثيرين، إن لم نقل الغالبية ، من هذه البلدان . إنّ معارضة مبدئية لخطّ ماو بصدد حرب الشعب معارضة للثورة فى البلدان المضطهَدَة.

يُعلن خوجا أنّ :

" طبقة الفلاحين و البرجوازية الصغيرة لا تستطيعان قيادة البروليتاريا فى الثورة . أن نعتقد و نتبنّى العكس يعنى معارضة الماركسية-اللينينية. هذا واحد من أهمّ مصادر مفاهيم ماو المعادية للماركسية و التى مارست تأثيرا سيّئا طوال الثورة الصينية" (23)

بالطبع لا يمكن لخوجا أن يقدّم أي دليل على إدّعائه بأن ماو كان ينادى بقيادة الطبقة العاملة من قبل الفلاحين؛ و بالفعل مؤلفات ماو جميعها تبيّن بكثير من الوضوح وجهة نظر معارضة تماما ، و هذه النقطة متكرّرة عشرات المرّات فى ثنايا كتاباته.كلّ ما يستطيع أن يدّعيه خوجا هو أنّه بما أنّ ما كان يحدّد انّ عمل الحزب يجب ان يرتكز فى الريف ، و بما أنّه إعترف بأنّ المسألة الزراعية تمثّل التناقض الداخلي الرئيسي الذى يجب على الثورة الديمقراطية حلّه ، بالتالى هذا يثبت أن ماو كان ينادى بقيادة العمّال من قبل الفلاحين!

كان ماو تماما على صواب حينما أكّد أن :" فى مجرى الثورة فى الصين شبه المستعمرة يمكن أن تفشل نضالات الفلاحين فقط فى حالة حرمانها من قيادة العمال ، امّا أن تصاب الثورة بضرر بسبب نموّ نضالات الفلاحين و تفوقها على قوى العمّال فهو أمر مستحيل".(24) تأكيد أنّ " قيادة " البروليتاريا تتطلّب التخلّى عن نضال الفلاحين أو خنقه إلى أن تحصل إنتفاضة الحركة العمّالية ، يعنى خيانة الثورة.

و بالفعل ، إنطلق ماو فى نضال بلا هوادة خلال مرحلتي الثورة لأجل ضمان أن تمارس الإيديولوجيا البروليتارية - الماركسية- اللينينية – هيمنتها فى صفوف الحزب؛ وقد ناضل بلا هوادة ضد كافة أنواع الإنحرافات البرجوازية منها و البرجوازية الصغيرة،التى كانت تعبّر عن نفسها فى صفوف الحزب خلال مرحلتي الثورة. و قد حلّل مختلف الإنحرافات و بيّن **جذورها الطبقية** فى المجتمع (تحليل يبدو أن خوجا غير قادر على القيام به أصلا فيما يتعلّق بالصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية ، مثلما نرى ذلك فيما بعد). و مهاجما الإنحراف البرجوازي الصغير فى صفوف الحزب الشيوعي الصيني (ممثّلا خاصّة بوانغ مينغ ، بطل خوجا بوضوح) ، أبدى ماو ملاحظات هي بعد غاية فى الأهمّية بالنسبة لنقاشنا حول وجهة نظر خوجا.

و هذه الفقرة جديرة بالذكر تامّة :

" أوّلا، طريقة التفكير. بشكل عام ، عندما نتناول البرجوازية الصغيرة مشكلا ، تفكّر بصورة ذاتية ، تنظر للأشياء من زاوية واحدة ؛ أي أنّها لا تنطلق من نظرة موضوعية لمجموع القوى الطبقية النسبية، لكنّها تأخذ أمانيها الذاتية و إنطباعاتها و أفكارها الخيالية على أنّها ظروف واقعية ، تعدّ مظهرا واحدا على أنّه المظاهر كلّها ،و الجزء على أنّه الكلّ ، و شجرة على أنّها الغابة . و ينزع المثقفون البرجوازيون الصغار المنفصلون عن سيرورات الإنتاج العملية إلى أن يكونوا عقديين، كما سبق و أن قلنا، لأنّهم ليست لديهم إلاّ معارف حصلوا عليها من الكتب و يفتقرون للمعارف العملية. و البرجوازيون الصغار المشاركون فى الإنتاج ينزعون إلى التجريبية ، كما سبق أن أشرنا أعلاه، لأنّه رغم أن هؤلاء الناس لا يفتقرون إلى المعارف الحسّية ، فإنّهم يظهرون ضيق نظر و عدم إنضباط ،و إنعزالية و محافِظة، مميّزين للمنتجين الصغار.

ثانيا، التوجه السياسي. سياسيّا ، تتجه البرجوازية الصغيرة نحو التذبذب بين " اليسار" و اليمين ، بسبب نمط عيشها و طريقة تفكيرها الذاتية و الإحادية الجانب النابعة عنها. و الكثير من الثوريين البرجوازيين الصغار النموذجيين يتسرّعون لبلوغ إنتصار سريع للثورة يؤدّى إلى تغيير جذري فى وضعهم القائم. وبالتالى لأنّ فاقدي الصبر تجاه الجهود الثورية " اليسارية" و ينزعون إلى التحوّل إلى إنعزاليين و مغامراتيين، إحساسا و عملا. و مثل هذه النزعة السياسية البرجوازية الصغيرة ،حينما تنعكس فى الحزب ، تؤدّى إلى أخطاء " يسارية" سبق و أن أشرنا إليها، فى ما يتصل بالمهام الثورية ،و قواعد الإرتكاز ، و التوجه التكتيكي و الخطّ العسكري.

لكن فى ظروف أخرى ، نفس مجموعة الثوريين البرجوازيين الصغار أو مجموعة أخرى ، ستعبّر ربّما عن يأس و تشاؤم ،متبعة البرجوازية، و تعلن عن أحاسيس ووجهات نظر يمينية. التشتوسياوية خلال الفترة الأولى من المسيرة الكبرى ، كانوا جميعا إنعكاسات لهذه الأفكار البرجوازية الصغيرة اليمينية فى صفوف الحزب. و حينما إندلعت الحرب المناهضة لليابان ، ظهرت الأفكار الإستسلامية... إزاء إمتحان الظروف المتغيّرة ، تكشف الإيديولوجيا البرجوازية الصغيرة جانبها السيئ بالتذبذب بين " اليسار" و اليمين ، بتوجهها نحو دفع الأمور إلى الأقصى و إلى إعتبار امانيها واقعا ، أو بالإنتهازية. و يمثّل كلّ هذا إنعكاسا إيديولوجيا لوضعها الإقتصادي غير المستقرّ."(25)

إذن ، نلمس من هذا المقتطف أن ماو كان واعيا جدّا لمشكل الإنحرافات عن الماركسية- اللينينية فى الحزب، و أنّه كان يكشف بوضوح جذورها الطبقية. مثلا، فى مقتطف لآخر من ذات النصّ أعلاه، ناقش مشكلة الناس من أصل برجوازي صغير الذين " إنتموا إلى الحزب تنظيميّا ، لكن ليس إيديولوجيّا، ليس جوهريّا ، و هم غالبا ليبراليون ، إصلاحيّون، فوضويّون، بلانكيّون ، يضعون قناع الماركسية- اللينينية ، وهم بالتالى غير قادرين على أن يوصلوا إلى الإنتصار ليس فحسب الحركة الشيوعية فى صين الغد ، و إنّما أيضا حركة اليوم من اجل الديمقراطية الجديدة." و شدّد على الحاجة إلى " تربيتهم و النضال ضدّهم بشكل جدّي لكن صحيح و صبور " و إلاّ فإنّ مثل هؤلاء الناس سيحاولون " أن يشكّلوا سمات الحزب –سمات طليعة البروليتاريا، على صورتهم هم و يستولون على قيادة الحزب..." (26)

بطبيعة الحال ، المشكل الذى يطرقه ماو هنا سيصبح بالنسبة للحزب الشيوعي الصيني مشكلا خطيرا جدّا على المدى البعيد،مشكلا ساهم مساهمة كبيرة فى إنقلاب 1976 و فى إفتكاك المسؤولين السائرين فى الطريق الرأسمالي للحزب. و من البديهي أنّ ماو قد تعرّف مبكّرا جدّا على المشكل ،و قد إجتهد بجدّية لإيجاد وسائل صيانة الطابع البروليتاري للحزب.

إنّه خوجا و ليس ماو هو الذى يصوغ خطّا برجوازيّا صغيرا و غير بروليتاري فيما يخصّ الثورة الصينية. إنّه بالذات الخطّ الذى يلخّصه ما وفى النصّ أعلاه ، خطّ ، عمليّا يطالب بإنتصار سريع و خطوات إلى الأمام غير مدروسة فى فترة معيّنة من الصراع، و عندما لا يفتح هذا فى الحال " أفقا ملموسا " لإنتصار ، يطالب عندئذ بأن يكفّ الشيوعيون عن قيادة الفلاحين و أن يركّزوا عملهم فى المدن و أن يترقّبوا (بصيغة أخرى أن يستسلموا!) إلى أن توجد ظروف " ملائمة أكثر".

ماو تسى تونغ ، الكومنترن ، الإتحاد السوفياتي و ستالين

بغاية وصف ماو بأنه قومي ضيق الأفق و شوفيني صيني ، إدعى خوجا بأن ماو لم ينضبط لتوجيهات الكومنترن فى ما يتصل بالخط الأساسي للثورة الصينية و بأنه لا يعتبر الإتحاد السوفياتي "وطن البروليتارية العالمية " و بأنه تحرّأ على نقد ستالين . ما يميّز وجهة نظر خوجا فى هذه المسألة هو خليط من الأفكار الخاطئة (وهي خاصية من خاصياته مثلما سنرى لاحقا) و من أنصاف الحقائق و الكذب الرخيص .

و مع ذلك ،ما هو بديهي مرة أخرى لكلّ إنسان درس كتابات ماو تسى تونغ هو أن ماو و الحزب الشيوعي الصيني ما إنفكا يساندان على الدوام الإتحاد السوفياتي و ستالين . و قد أشار ماو فى عدّة مناسبات إلى أن الإتحاد السوفياتي كان يمثّل وطن البروليتاريا العالمية ، و علّم الشيوعيين و الشعب وفق هذه الروح و هذا أمر لا جدال فيه . لقد أدرك جيدا الأهمية الحيوية لثورة أكتوبر و لوجود دولة إشتراكية قوية مثل الإتحاد السوفياتي لأجل التغيير الراديكالي للطابع السياسي للعالم قاطبة فصرّح بأن : " بعثت إلينا طلقات مدافع ثورة أكتوبر بالماركسية – اللينينية "(ماو تسي تونغ ص 67 من "عاشت اللينينية " كتب سنة 1960 إحياء للذكرى التسعين لمولد لينين ، دار النشر باللغات الأجنبية بيكين ،الطبعة العربية).

و بالتأكيد لن نستطيع قول إن نصوصا كالنص التالي تمثّل إستهانة بأهمية دور الإتحاد السوفياتي بالنسبة لنجاح الثورة الصينية :

"إذا كانت الصين تريد الإستقلال فإنها لا تستطيع بتاتا الإستغناء عن مساعدة الدولة الإشتراكية و البروليتاريا العالمية . و هذا يعنى أنها لا تستطيع الإستغناء عن مساعدة الإتحاد السوفياتي و لا عن المساعدة التى تقدمها لها البروليتاريا فى اليابان و بريطانيا و الولايات المتحدة و فرنسا و ألمانيا و إيطاليا عن طريق نضالاتها ضد الرأسمالية فى بلدانها و على الرغم من أنه لا يمكن القول بأن الثورة الصينية لن يتحقق إنتصارها إلا بعد إنتصار الثورة فى اليابان و بريطانيا و الولايات المتحدة و فرنسا و ألمانيا و إيطاليا ، أو فى بلد أو بلدين منها ، و لكن مما لا يتطرق إليه الشك أنها لن تنتصر إذا لم تدغمها قوة البروليتاريا فى هذه البلدان . و على الأخص فإن المساعدة السوفياتية شرط لا يمكن الإستغناء عنه إطلاقا من أجل إنتصار الصين النهائي فى حرب المقاومة . و غن رفضنا المساعدة السوفياتية ، فإن الثورة ستخفق ." (مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة ، المجلد الثاني ، صفحة 495 ، ضمن "حول الديمقراطية الجديدة ").

و أما فيما يتعلق بستالين و الكومنترن ، فإن ماو كان فى الواقع متفقا مع الخط الأساسي للثورة الصينية الذى إقترحه ستالين . و قد سبق و أن رأينا هذا الإتفاق حول المسائل الأساسية للثورة الصينية (أي الدور المفتاح للفلاحين و الثورة الزراعية و طابع الثورة الديمقراطي البرجوازي و كون الثورة المسلحة تواجه مباشرة الثورة المضادة المسلحة) و خوجا و ليس ماو هو الذى ينحرف عن المبادئ الجوهرية التى صاغها ستالين بشأن الثورة الصينية .

بيد أن ماو تسى تونغ شدّد أيما تشديد على أن الثورة الصينية لا يمكن أن تكون نسخة طبق الأصل للثورة الروسية و ذلك بالرغم من إلحاح بعض الدغمائيين .و فوق ذلك ، شدّد على أنه لا زالت هنالك حاجة إلى تطبيق الماركسية – اللينينية على الظروف الملموسة للثورة الصينية .هذا من ناحية و من ناحية أخرى ، من الواضح الجلي أن ستالين و خاصة ممثلو الكومنترن فى الصين ، إقترفوا أخطاء عديدة و خطيرة فى حق الثورة الصينية عندما أرادوا وضع مخطط محدد سلفا لهذه الثورة .

و الأمثلة كثيرة على ذلك . فخلال ثورة 1924-1927 ، لعب ممثلو الكومنترن فى الصين (لا سيما بورودين) دورا محزنا فى الثورة ، مدافعين عن خط "الوحدة قبل كل شيئ" مع الكومنتنغ و تشان كاي تشاك. و فيما بعد صرّح ماو :

" كان بورودين يمينيا أكثر تعنت بقليل من تشان تو سيوو، كان مستعدا لتقديم كل شيئ للحصول على رضا البرجوازية ، حتى إلى نزع سلاح العمال وهو ما إنتهى إلى الأمر به " (ذكره هان سوين فى الصفحة 114 من " طوفان الفجر ، ماو تسى تونغ و الثورة الصينية ،1893 -1954" ، بستن 1972، الولايات المتحدة ،الطبعة باللغة الأنجليزية) .

ورغم أن مواقف بورودين كانت على يمين المواقف الرسمية للكومنترن ، فإن هذا لم يشكل لوحده جوهر أخطائه . فمثلا ، تمذت تسمية تشان كاي تشاك عضوا شرفيا فى اللجنة التنفيذية للكومنترن وهو منصب ظل فيه إلى سنة 1927 ، أي بعد إفتضاح طبيعته بفترة طويلة . إلى ذلك ، كانت لستالين تطلعات غير واقعية بشأن حكومة الكومنتنغ فى ووهان (التى وصفها بأنها برجوازية صغيرة) ، فكان يعتقد أن هذه الحكومة ستحافظ على تحالفها مع الشيوعيين حين يغادر تشان كاي تشاك خندق الثورة .

و من البديهي أن الكومنترن أساء النصح للحزب الصيني وهو أمر يقرّ به ببساطة الجميع بإستثناء أنور خوجا. ففى 1939 قال بورودين نفسه لآنا لويس سترونغ : " لقد أخطأت ، لم أفهم الثورة الصينية ... إرتكبت أخطاء عديدة " (نفس المصدر السابق ،صفحة 156) .

و حتى بعد بداية مجزرة شملت آلاف الشيوعيين و العمال ، أمرت القيادة الإنتهازية اليمينية ، بدعم من بورودين و ممثلون آخرون للكومنترن بنزع سلاح العمال و سعت إلى إيقاف حركة الفلاحين ،على أمل إرضاء ما سمّي ب "يسار" الكومنتنغ ، و تمّ ذلك رغم معارضة ماو .

و ستالين كما مرّ بنا ،كان يقدّم خطا عاما صحيحا بصدد الدور الحاسم لتعبئة الفلاحين ، غير أنه فى أكتوبر 1926 ، إقترف خطأ خطيرا إذ أرسل تليغرافا إلى شنغاي حيث صرح أنه إلى أن يجري الإستيلاء على هذه المدينة ، لا ينبغى أن تتصاعد شدّة حركة الفلاحين و شدد على إستعمال " القرس و الحذر " . و قد إعترف ستالين لاحقا بأنه أخطأ فى بعث ذلك التليغراف و أشار إلى أنه " لم يعتبر أبدا و لا يعتبر راهنا أن الكومنترن معصوم من الخطإ ". (ستالين ، " الوضع العالمي و الدفاع عن الإتحاد السوفياتي "، المجلد 10 من أعماله ، صفحة 18 من الطبعة الأنجليزية)

و إثر بضعة أسابيع ، ألغى ستالين التليغراف ، و فى شهر نوفمبر، ألحّ قرار الكومنترن على ضرورة إستنهاض الفلاحين. غير أن التليغراف لعب دورا ضارا للغاية إذ أعار سمعة الحزب الشيوعي السوفياتي و الكومنترن إلى اليمين الذى كان يدفعه تشان توسيو و بورودين .

و قام ستالين بتصريح مهم بشأن العلاقة بين الكومنترن و الثورة الصينية يصلح فى توضيح مدى خطل أطروحات أنور خوجا :

"رغم التقدم الإيديولوجي لحزبنا ، لا زلنا نجد به و للأسف ، ما يزعم أنهم "قادة " يعتقدون بصراحة بأن الثورة فى الصين يمكن أن تقاد ، إن أمكننا القول ، بتليغراف و وفق المبادئ المعترف بها عالميا الكومنترن ، دون الأخذ بتاتا بعين الإعتبار الخصوصيات الوطنية للصين و لإقتصادها و لنظامها السياسي و لثقافتها ولطرق عيشها وعاداتها و تقاليدها . و بالفعل ما يميّز هؤلاء " القادة " عن القادة الحقيقيين هو أنه يضعون فى جيوبهم قوالب جاهزة "تناسب" كافة البلدان وهي قوالب جاهزة "ضرورية " فى كل الظروف . و بالنسبة لهم ، الحاجة إلى الأخذ بعين الإعتبار للخصوصيات الوطنية و للميزات الخاصة الوطنية لكل بلد لا وجود لها ...

وهم يصرون على أن الأحزاب الشيوعية تطورت و صارت أحزابا جماهيرية ، لا يدركون المهمة الرئيسية للقيادة هي إكتشاف و إستيعاب الميزات الخاصة الوطنية للحركة فى كل بلد ،و جعلها تنسجم بمهارة مع المبادئ العامة للكومنترن ، لأجل تيسير بلوغ الأهداف الجوهرية للحركة الشيوعية و جعل ذلك ممكنا .

نجد إذا محاولات جعل قيادة كافة البلدان ذات قوالب جاهزة .نجد إذا محاولات فرض بعض الصيغ العامة دون الإهتمام للظروف الملموسة للحركة فى مختلف البلدان . نجد إذا نزاعات لا تنتهى بين هذه الصيغ و الحركة الثورية لمختلف البلدان وهو ما الإنعكاس الرئيسي لقيادة ما يدعى أنهم قادة " (ستالين ،" ملاحظات حول المواضيع المعاصرة " ،صفحة 338-339 من المجلد 9 من أعماله ، الطبعة باللغة الإنجليزية).

و الآن لنعقد مقارنة بين تصريح ستالين و الخلط المميّز لخوجا :

" خلال هذه الفترة [منذ 1935] ، شن ماو تسى تونغ و أتباعه حملة "نظرية " تحت شعار النضال ضد " الدغمائية " و " القوالب الجامدة " و "القوالب الأجنبية " إلخ و أثاروا مسألة صياغة ماركسية وطنية ، منكرين هكذا الطابع الشمولي للماركسية – اللينينية . و عوض الماركسية – اللينينية، كان يبجّل " الأسلوب الصيني " لمعالجة المشاكل و الروح الصينية

" التى تتصف بالطزاجة و الحيوية و التى تستسيغها عامة الصينيين " ، و من هنا نشر الأطروحة التحريفية القائلة بأنه ينبغى أن يكون للماركسية مضمونا خاصا مميزا فى كل بلد "(أنور خوجا، " الإمبريالية و الثورة "، صفحة 416 -417 ، الطبعة الإنجليزية).

قبل إيراد النص الأصلي لماو تسى تونغ ، الذى منه إقتطف خوجا "إستشهاده" ، من المفيد أن نسجل أن خوجا ينكر كليا ضرورة الصراع ضد الدغمائية الذى إرتآه ستالين فهو ببساطة يسخر من فكرة أن " القوالب الجاهزة الأجنبية " و "النماذج الجاهزة " يمكن أن تشكل مشكلا للحزب أو للحركة الثوريين . نيّته جلية : إنه يرغب فى أن يفرض خط القوالب الجاهزة للحزب الألباني على الحركة الشيوعية العالمية بأسرها . و فى ما يتصل بإتهام ماو بأنه أنكر " الطابع الشمولي للماركسية – اللينينية ، ندع ماو .يعبّر بنفسه عن نفسه . و هنا نورد الفقرة ذاتها التى منها إقتطع خوجا "إستشهاده" (و الإستشهاد السابق) :

" إن نظرية ماركس و إنجلز و لينين و ستالين هي نظرية صالحة للعالم أجمع . فلا يجوز لنا أن نعتبر نظريتهم عقيدة جامدة بل علينا أن نعتبرها مرشدا للعمل . و لا يجوز لنا أن نكتفي بمجرد تعلم بعض العبارات و الأقوال من كتب الماركسية – اللينينية ،بل يجب ان ندرس الماركسية – اللينينية بوصفها علم الثورة . كما أنه لا يجوز لنا أن نكتفي بمجرد فهم النتائج الخاصة بالقوانين العامة التى توصل إليها ماركس و إنجلز و لينين و ستالين من دراستهم لمختلف جوانب الحياة الواقعية و للتجارب الثورية ، بل يجب كذلك أن نتعلم منهم موقفهم الطبقي و طريقتهم فى النظر إلى القضايا و فى حلها . إن معرفة حزبنا بالماركسية – اللينينية قد إزدادت اليوم إلى حد ما بالمقارنة مع ما مضى ، بيد أن معرفته لا تبرح بعيدة عن الإتساع و العمق . إن مهمتنا هي قيادة أمة كبيرة تعدادها مئات الملايين من أجل خوض نضال عظيم لم يسبق له مثيل . و لذا فإن مهمة دراسة النظرية الماركسية – اللينينية على نطاق واسع و بصورة عميقة هي بالنسبة إلينا قضية كبرى ينبغى حلها سريعا و لا يمكن حلها إلا بواسطة الجهود المركزة ....

إن الشيوعيون هم ماركسيون أمميون ، و لكننا لا نستطيع أن نطبق الماركسية بنجاح إلا إذا ربطناها بالخصائص المحددة لبلادنا ووضعناها فى قالب وطني محدد . إن قوة الماركسية- اللينينية العظمى تكمن بالتحديد فى أنها مرتبطة بالممارسة الثورية المحددة للبلدان المختلفة . و هذا يعنى بالنسبة إلى الحزب الشيوعي الصيني ضرورة تعلم كيفية تطبيق النظرية الماركسية –اللينينية على الظروف المحددة للصين . و إذا ما عمد الشيوعيون الصينيون الذين يؤلفون قسما من الأمة الصينية العظيمة و هم مرتبطون بها لحما و دما ، إلى التحدث عن الماركسية بمعزل عن خصائص الصين ، فإن الذى يتحدثون عنه ليس سوى ماركسية مجردة جوفاء .و هكذا فإن قضية تطبيق الماركسية على ظروف الصين المحددة حتى تحمل فى كل مظهر من مظاهرها الطابع الصيني الخاص الذى لا بد منه ، أي تطبيقها على ضوء خصائص الصين المحددة ، قد أصبحت قضية ملحة يجب على الحزب باسره أن يفهمها و يجب أن يحلها بصورة عاجلة . يجب أن نرفض أسلوب القوالب الجامدة الأجنبية ،و أن نضع حدا للنغمات المجردة الجوفاء ،و أن ننبذ نزعة الجمود العقائدي ، كي نفسح المجال ليحل مكان كل هذه الأشياء الأسلوب الصيني و الروح الصينية التى تتصف بالطزاجة و الحيوية و التى تستسيغها عامة الصينيين.إن فصل المضمون الأممي عن الشكل الوطني هو طريقة أولئك الذين لا يفقهون شيئا من الأممية . أما طريقتنا فهي الربط بين الإثنين ربطا وثيقا . و قد حدثت بين صفوفنا أخطاء فادحة فيما يتعلق بهذه المسألة ، أخطاء ينبغى التخلص منها بجدية ." (صفحة 291-292 من المجلد الثاني من " مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " ، الطبعة العربية ، دار النشر باللغات الأجنبية بيكين 1969 ، التسطير من وضع كاتب المقال) .

وهذا يكشف لنا عندئذ الجريمة النكراء التى يسعى خوجا لإرتكابها إلى جانب كونه يكشف أنه لا يفقه شيئا فى هذا المضمار .

و يلحّ ماو على أن الماركسية – اللينينية صالحة عالميا لأنها يمكن و يجب أن تطبق على الظروف الملموسة لكل بلد . و من البديهي أن هذا ليس إكتشافا أنجزه ماو ، بل مبدأ ماركسي جوهري و لو أنه ليس يدخل ضمن أفكار خوجا . و إقتراح الطريقة العكسية أي أن التحاليل و الإستراتيجيات و التكتيكات التى طوّرها ماركس و إنجلز و لينين و ستالين و كذلك ماو و التى صيغت أثناء الممارسة الثورية ، يمكن أن تفرض على أية ظروف مهما كانت ، هو "إنكار" فعلي للسيرورة الحقيقية لدمج الماركسية و المادية الجدلية بالحركة الثورية . و لا يمكن لمثل هذه الطريقة إلا أن تفضى غلى هزيمة الحزب البروليتاري و التخلى على قيادة البروليتاريا للثورة .

و يبيّن لنا الهجوم الخسيس كذلك أن خوجا يحاول عن قصد أن يشوّه ما قاله ماو . إنه يريدنا أن نعتقد أن ماو كان ينشر "الأطروحة التحريفية القائلة بأنه ينبغى أن يكون للماركسية فى كل بلد مضمون خاص " . و الحال أن ماو بالعكس يؤكد بالوضوح كلّه أن مضمون الماركسية و الأممية يتطلب " شكلا وطنيا " محددا . هل أن خوجا غير قادر على إستيعاب الإختلاف بين المضمون و الشكل ؟ أم هل يختار بكلّ بساطة الكذب بغية خلط الأوراق؟

ماو ، ستالين و خروتشاف

للأسف ، إساءة نصح الكومنترن للثورة الصينية فى 1927 لم يقف عند ذلك الحدّ . فقد أشرنا إلى أن خط وانغ مينغ الذى دافع عنه خوجا بعناد رغم أنه تمّ بيان خطله منذ زمن طويل ، كان يتمتّع بمساندة الكومنترن و ربما كذلك بمساندة ستالين . و إنطلاقا من 1935 ، خلال فترة الحرب ضد اليابان ، كان وانغ مينغ يدافع عموما عن خط إنهزامي وهو يفعل ذلك كان بعدُ يتمتع بدعم الكومنترن . لقد إقترح وانغ مينغ " حكومة موحدة للدفاع عن الوطن " فى تضارب مباشر مع نداء ماو لتركيز "جمهورية شعبية " و جبهة متحدة ضد اليابان . فى تلك الحقبة ، عاضد وانغ مينغ مقترح تشان كاي تشاك كشرط للوحدة مع الشيوعيين و نقصد أن يتسلم تشان كاي تشاك قيادة الجيش الأحمر . و بالطبع عارض ماو بصرامة مثل هذا الإستسلام و نجح فى سدّ الطريق عليه .

و قد ظهر هذا التوجه ذاه بأكثر جلاء سنة 1945 ، عقب هزيمة اليابان . فى تلك الفترة ، كان ستالين يبذل جهده بحزم كي يتخلى الحزب الشيوعي الصيني عن فكرة إتمام الثورة الديمقراطية البرجوازية ، فى المستقبل المنظور و يعمل على الحصول على وضع قانوني فى إطار جمهورية برجوازية بقيادة تشان كاي تشاك . و آخذا بعين الإعتبار الوضع إثر هزيمة اليابان ، إنطلق ماو بطريقة سليمة فى مفاوضات مع تشان كاي تشاك و لكنه فى نفس الوقت ، شدّد بالوضوح كله على أن حكومة إئتلافية ينبغى أن تنشأ على أساس تواصل إستقلالية الحزب الشيوعي و كذلك بقاء قواعد الإرتكاز و الجيش الأحمر.و فى 1945 ، أدلى ماو بتصريحه الشهير " بدون جيش شعبي ، لن يكون هناك شيئ للشعب " [صفحة 105 من "مقتطفات من أقوال الرئيس ماو تسى تونغ " و " الحكومة الإئتلافية " ضمن المجلد الثالث من المؤلفات المختارة] و كان ذلك ردا مباشرا على الذين كانوا يقترحون حلّ الجيش الشعبي و الإندماج الكلي فى حكومة تشانغ كاي تشاك . و تجدر الإشارة إلى أن هذه السياسة التى أُريد فرضها على الحزب الشيوعي ، كانت تمثّل الخط الذى إتبعه حينذاك كثير من أحزاب أوروبا الغربية (فى فرنسا و إيطاليا و اليونان مثلا) . و نجم عن هذا الخط إهدار كل إمكانية راهنة للقيام بالثورة فى تلك البلدان .

و فى 1946 ، إندلع إعصار تحريفي حقيقي فى صفوف عدد كبير من الأحزاب الشيوعية فى العالم ، بتعلة إتباع التجربة السوفياتية الى كانت تعقد مساومات مع أهم القوى الإمبريالية الرئيسية التى تحالفت معها أثناء الحرب العالمية الثانية .

و قد أدلى ماو بملاحظة لامعة فى هذا المضمار :

" ومثل هذه التسوية لا تتطلب من شعوب العالم الرأسمالي بأن تقوم بالتالى بتسويات فى داخل بلدانها ، إذ أن تلك الشعبو سوف تواصل خوض نضالات مختلفة طبقا لظروفها المغايرة .إن المبدا الذى تتمسك به القوى الرجعية إزاء القوى الديمقراطية الشعبية هو أن تعمد بحزم إلى القضاء فيما بعد على تلك التى لا تستطيع القضاء عليها حاليا . و إعتبارا لهذا الوضع يجب على القوى الديمقراطية الشعبية أن تطبق نفس المبدأ إزاء القوى الرجعية " . (صفحة 108-109 من المجلد الرابع من "مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة "، الطبعة العربية).

و البقية تاريخ . قاد ماو حربا أهلية ضد تشان كاي تشاك (أو بصورة أصحّ حربا تحريريا ضد الإمبريالية الأمريكية و عملائها الطفيليين الذين كان تشان كاي تشاك يمثلهم) ، وإنتهت هذه الحرب بإنتصار الشيوعيين على النطاق الوطني فى 1949. و قد شكّ ستالين إلى النهاية فى قدرة الحزب الشيوعي الصيني على إفتكاك السلطة ، و ظل لذلك مرتبطا بعلاقات(و حتى قدّم منحا عسكرية) لحكومة تشان كاي تشاك كما لو أنها كانت ستبقى لمدّة طويلة .

على أن ستالين ، بخلاف خوجا ن أقرّ بسرعة بأنه إستهان بقوة الثورة الصينية و بقدرتها على إحراز النصر أمام نظام الكومنتنغ الرجعي . و أكّد ستالين بصراحة بأنه مبتهج لكون الأحداث كذبته . و على عكس إتهام خوجا لماو القائل بأن هذا الأخير " ألقى

المسؤولية على الكومنترن أو على ممثليه فى الصين " مسؤولية الهزائم والإنحرافات داخل الحزب فإن الواقع يشهد بأن ماو رأى أن المسؤولية يتحملها أولئك "الشيوعيين " الصينيين الذين كانوا يريدون إتباع الغير عن عمى مهما كان الثمن و الذين حاولا إستغلال دعم السوفيات كرأسمال لأجل ترويج خطوط خاطئة . و من المفيد مرة أخرى عقد مقارنة بين المقتطف الذى إختاره خوجا مع نص ماو الأصلي .

فقد إقتطف خوجا جملة لماو لاحظ فيها أن ستالين إرتكب " جملة من الأخطاء بشأن الصين و أنه كان وراء المغامرتية "اليسارية " لوانغ مينغ ، مع نهاية الحرب الأهلية الثورية الثانية و إنتهازيته اليمينية مع بداية حرب المقاومة ضد اليابان " (36)

وفق خوجا ، هذا الإستشهاد ، إلى جانب حجج أخرى لماو ، يمثل "هجوما على ستالين ...[يهدف] إلى الحطّ من قيمة أعمال ستالين و سلطته ،لرفع ماوتسى تونغ إلى درجة قائد ذو هيبة عالمية ، إلى مرجع كلاسيكي ماركسي- لينيني ، ما إنفك يتبع خطا صحيحا لا يعتوره الخطأ " (37).

لكن فى الواقع ، لا تمثل الإستشهادات التى يعتمدها خوجا مطلقا محاولة " لتشويه أعمال ستالين و إنما بالعكس هي مقتطعة من نص يدافع فيه ماو عن ستالين ضد هجوم التحريفيين الخروتشافيين . و إليكم الفقرة بتمامها ، الفقرة التى قطعها قطعا بطريقته المميزة :

" أولئك الذين فى الاتحاد السوفياتي رفعوا ستالين الى أعلى القمم ، أخذوا فجأة فى رميه أسفل سافلين . عندنا ، هنالك من إقتفوا خطاهم. تدافع اللجنة المركزية لحزبنا عن أن مآثر ستالين و أخطائه فى علاقة سبعة الى ثلاثة و أن ستالين مع ذلك يبقى ماركسيا عظيما. إنه بالاستناد إلى هذا التقييم كتبنا مقال " حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا ". مثل هذا التقييم صحيح تماما . لقد قام ستالين بعدد معين من الأخطاء فى ما يخص الصين . لقد كان وراء مغامرتية " اليسار" لوانغ مينغ، حوالي أواخر الحرب الأهلية الثورية الثانية ، ووراء إنتهازيته اليمينية فى بداية حرب التحرير . فى البداية لم يسمح لنا بالقيام بالثورة مؤكدا أن حربا أهلية تهدد بتخريب الأمة الصينية . ثم عندما إندلعت الحرب أبدى شكا حيالنا و عندما كسبنا الحرب شك فى أنه انتصار من نوع انتصار تيتو وفى 1949و1950 ، مارس علينا ضغوطا قوية جدا. إلا أننا مع ذلك نعتقد أن مآثر ستالين و أخطائه فى علاقة سبعة الى ثلاثة. و هذا حكم عادل." (صفحة 328 من المجلد الخامس من "مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة "، الطبعة الفرنسية) .

ثمة كثير من الأشياء ينبغى ملاحظتها فى هذا النص . أولا ، أنه كُتب فى 1956 ،بضعة أشهر فقط بعد " الخطاب السرّي " الذى أدان فيه خروتشاف ستالين و فى فترة لم يكن حزب العمل الألباني ، بما فى ذلك ، خوجا ، بعدُ كشف التحريفية الخروتشافية . ثانيا ، بتحديده لأخطاء ستالين تجاه الثورة الصينية ، لم يكن ماو يكشف سرأ لم يكن بعدُ معروفا بصفة جدية فى الصين . ما يريد ماو التشديد عليه حقا هو أنه كان يجب الدفاع عن ستالين بوصفه "ماركسيا كبيرا" بالرغم من أخطائه. إنه هنا ينقد أولئك الذين يتبعون تحريفية خروتشاف المنفلتة من عقالها و الهستيرية .

و من الجدير بالملاحظة أن خوجا ، فى كتابه ، لم يتجرأ على إعادة كذبة نجدها فى بعض تصريحاته فى هذه السنوات الأخيرة (و التى نشرها عدد من الطوائف التى تتبع خوجا) و مفادها أن حزب العمل الألباني بادر بشنّ النضال ضد التحريفية المعاصرة . إن مثل هذا الإدعاء لا يتوافق مع الوقائع المنشورة فى الوثائق العلمية . و مع ذلك ، يحاول خوجا ترويج هذه الكذبة ، إنه يشرح أن الحزب الصيني و الحزب الألباني طورا علاقات أكثر حميمية " خاصة عندما دخل الحزب الشيوعي الصيني هو ذاته فى نزاع مفتوح مع التحريفيين الخروتشافيين " (صفحة 406 من" الإمبريالية و الثورة " ، الطبعة الإنجليزية) .

و التصريح التالي لماو فى نوفمبر 1956 ، يعرض بوضوح رأيه فى ستالين و فى تحريفية خروتشاف :

" أود أن أقول بضع كلمات بصدد المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفياتي . فى رأيي ، هنالك "سيفان " : واحد هو لينين و الآخر هو ستالين . السيف الذى هو ستالين الروس نبذوه الآن . كوملغا و بعض المجريين إلتقطوه ليضربوا به الاتحاد السوفياتى و لمقاتلة ما يسمى الستالينية . فى عديد بلدان أوروبا ، تنقد الأحزاب الشيوعية أيضا الاتحاد السوفياتي و يقودها فى هذا النقد توغياتي [قائد الحزب الشيوعي الايطالي] .كذلك يستعمل الإمبرياليون هذا السيف لقتل الناس فدُولُ مثلا رفعه لمدة . هذا السلاح لم تقع إعارته بل وقع نبذه . نحن الصينيون لم ننبذه . أولا ، ندافع عن ستالين و ثانيا ننقد أيضا أخطاءه و لذلك كتبنا مقال " حول التجربة التاريخية لدكتاتورية البروليتاريا ". و هكذا عوض تشويه سمعته و تحطيمه كليا كما يفعل البعض ، نتحرك انطلاقا من الواقع.

أما بالنسبة للسيف الذى هو لينين ، ألم ينبذه القادة السوفيات هو الآخر بعض الشيء ؟ فى رأيي ، وقع ذلك إلى درجة بعيدة نسبيا.هل لا تزال ثورة أكتوبر دائما صالحة ؟ أيمكن بعد أن تستعمل كنموذج لمختلف البلدان ؟ تقرير خروتشاف للمؤتمر العشرين

للحزب الشيوعي السوفياتي يقول إنه من الممكن التوصل الى السلطة عبر الطريق البرلماني و هذا يعنى أن البلدان الأخرى لن تحتاج بعد الآن إلى إتباع مثال ثورة أكتوبر . حين يفتح هذا الباب على مصراعيه ، فان اللينينية تكون نبذت بالفعل".(المجلد الخامس من "مؤلفات ماو تسى تونغ المختارة " ، الطبعة الفرنسية ، صفحة 369).

و من الجلي إذن أن ماو أدرك جوهر مسألة ستالين و كذلك جوهر التحريفية الخروتشافية ، فى فترة الحزب الألباني ، ووفق تصريحاته " لم يكن يعرف بعدُ معرفة جيدة " تحريفية خروتشاف (" تاريخ حزب العمل الألباني " صفحة 439 ، الطبعة الإنجليزية و "الأعمال المختارة لأنور خوجا " ، المجلد 2 صفحة 508 ، الطبعة الأنجليزية ، تيرانا 1975).

لقد بحثنا بلا جدوى فى الأعمال المختارة لخوجا عن أية إشارة تعود إلى فترة نهاية الخمسينات و تنم عن فهم يشبه فهم ماو تسى تونغ للوضع فى الإتحاد السوفياتي فلم نعثر إلا على فكرة أنه إثر المؤتمر العشرين إستغل الإمبرياليون و آخرون (مثل اليوغسلافيين) هجوم خروتشاف على ستالين لينظموا هجوما على الإشتراكية بوجه عام . و عثرنا كذلك على أن خوجا يشكو من أن الإتحاد السوفياتي ما عاد يظهر صلابة كافية تجاه يوغسلافيا " (نفس المصدر السابق ، الأعمال المختارة لأنور خوجا ، مثلا صفحات 659، 673 و 713).

و مع أنه من الصحيح مهاجمة تحريفية تيتو الفجّة ، فإن مشاغل خوجا بهذا الصدد تميل أكثر إلى المشاغل القومية الضيقة منها إلى المشاغل الأممية البروليتارية . فمثلا ، يقرّ بخشيته " أن يقوم اليوغسلافيون ... بإستعمال فقر جيشهم بدعوى إنقاذ الإشتراكية فى ألبانيا " (المصدر السابق ، صفحة 672) . و لا نقول هذا لنوحي بان لا أساس لهذا الخوف ، بالعكس ، ثمة ما يدعو إلى الخوف . و لكن الهام هو أن نصوص تلك الفترة و نصوص إختارت قيادة الحزب الألباني نشرها ، لا تظهر أية محاولة من قبل خوجا لتحليل الخط العام الذى أفرزه المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفياتي . و مع ذلك ، يوجد بالفعل على الأقل نص لخوجا حول هذا الموضوع ، تمت الإشارة إليه فى أعماله المختارة ، و إن لم يتم نشره وهو خطاب ألقاه فى " الإجتماع الإحتفالي الذى عقد بمناسبة الذكرى 15 لتأسيس حزب العمل الألباني ، فى 8 نوفمبر 1956 " (المصدر السابق صفحة 672) .

يبدو أنه ، على الأقل فى جانبه الأساسي ، نفس نص مقال " عمر حزب العمل الألباني 15 سنة " الذى كتبه الرفيق أنور خوجا و نشرته "البرافدا " فى 8 نوفمبر 1956 "(م س ، ص 658) . و يؤكد خوجا أن هذا المقال " نشر تاما و دون إدخال أية تعديلات فى "البرافدا" (نفس المصدر السابق و نفس الصفحة). و إختار الحزب الألباني عدم نشر هذا الخطاب و السبب : مع مهاجمته يوغسلافيا و أفكار تيتو ، وافق دون إحترازات على المؤتمر العشرين " (" عمر حزب العمل الألباني 15 سنة " ، "البرافدا" 8 نوفمبر 1956 ، صفحة 3).

بالطبع ، لا يعنى ذلك أنه على الجميع أن يفهم فى الحال و بعمق كل مسألة سياسية أو يوصف بأنه مرتدّ . المسألة هي بالأحرى : كيف يمكن لخوجا أن يتبجح بأنه كان السيد الكبير صاحب السموّ فى النضال ضد التحريفية السوفياتية بينما توجد أدلة على أنه تردّد و أنه كان لديه إدراك محدود للوضع فى الإتحاد السوفياتي و أنه فيما يتصل بإفتكاك السلطة من طرف التحريفيين السوفيات تبيّن أنه غير قادر على بلورة تحليل بعمق تحليل الحزب الشيوعي الصيني بقيادة ماو تسى تونغ .

و الحزب الشيوعي الصيني لم يدخل "هو ذاته " فى نزاع ضد التحريفية السوفياتية بعد الحزب الألباني ! [فى الطبعة باللغة الأنجليزية ، قال خوجا : " حين دخل الحزب الشيوعي الصيني هو أيضا... " و هكذا ، يريدنا أن نفهم حتى بأكثر صراحة أن الصين كانت الثانية فى المشاركة فى هذا الصراع] .

فى نهاية المطاف ، كان الحزب الشيوعي الصيني (فى ظل قيادة ماو طبعا) هو الذى شن أولا ، الصراع العلني ضد الأطروحات التحريفية التى قدمها المؤتمر العشرون ، لما نشر فى " الراية الحمراء " ، المجلة النظرية للحزب ، فى 16 أفريل 1960 ، مقال "عاشت اللينينية !" و إستمر هجوم الحزب الصيني فى إجتماع الفيدرالية العالمية للنقابات فى بيكين ، فى جوان 1960 . ثم بعد ذلك ، و دائما فى شهر جوان ، إجتمع ممثلو عديد الأحزاب الشيوعية بمناسبة المؤتمر الثالث للحزب الشيوعي الروماني فى بوخارست " من أجل تحديد مكان و زمان إجتماع كافة الأحزاب خلاله جرى نقاش ، ضمن مواضيع أخرى ،الخلافات بين الحزب الشيوعي السوفياتي و الحزب الشيوعي الصيني ". و هذا الإستشهاد الذى يشرح الغاية من هذا الإجتماع مقتطف من نص لأنور خوجا ، كتبه فى تلك الفترة . و يضيف خوجا :" ينبغى أن نستمع لا فقط إلى ما سيقوله الرفاق السوفيات و لكن أيضا إلى ما سيقوله الصينيون .و نحن بدورنا ، ستكون لنا كلمتنا " (لنتبع دائما خطا صحيحا " مساهمة خوجا فى نقاش أثناء إجتماع المكتب السياسي للجنة المركزية لحزب العمل الألباني" ، 22 جوان 1960، " الأعمال المختارة لأنور خوجا ").

و فى شهر نوفمبر 1960 ، إنعقد الإجتماع فى موسكو ، و إتجه الخطاب الذى ألقاه خوجا فى تلك المناسبة بوضوح نحو مساندة تحليل الحزب الشيوعي الصيني و موقفه أي نحو رفض الأطروحات "الجديدة " للمؤتمر العشرين.و هكذا إنتهى الألبان إلى الموافقة على رفض الأطروحات السوفياتية .

و فى الوقت الحاضر ، يدعى خوجا أنه كان على رأس النضال ضد التحريفية السوفياتية مصرّحا بأن ماو هو الذى "تردّد". إن هذا الإدعاء ببساطة مضحك !

==

2- بناء الإشتراكية فى الصين .

من العسير القيام بنقد معمّق لتحليل خوجا لتطوّر الإشتراكية فى الصين (أو عدمه) ، بإعتبار أنّ هذا القسم من مؤلفه هو المزروع أكثر بالإنتقائية، و الهجمات الخسيسة و التشويهات عمدا.يبدو أنّ أطروحته الأساسية هي أنّ " الثورة الصينية بقيت ثورة ديمقراطية – برجوازية و لم تمرّ إلى المرحلة الأعلى مرحلة الإشتراكية ".(49)

جوهر حجّة خوجا يتمثّل فى إدّعائه أنّه فى ظلّ قيادة ماو ،" تقاسمت "البروليتاريا " السلطة" مع البرجوازية الوطنية . لقد صرّح خوجا :

" مرور الثورة الديمقراطية - البرجوازية إلى الثورة الإشتراكية لا يمكن إنجازه إلاّ عندما تطرد البروليتاريا بصرامة البرجوازية من السلطة و تصادر ممتلكاتها. و بما أنّ الطبقة العاملة فى الصين قد تقاسمت السلطة مع البرجوازية ، و أنّ هذه الأخيرة قد حافظت على إمتيازاتها، فإنّ السلطة التى تركّزت فيها لا يمكن أن تكون سلطة البروليتاريا، و من ثمّة لم يكن ممكنا أن تتحوّل الثورة الصينية إلى ثورة إشتراكية ".(50)

فى 1949، حينما نجح جيش التحرير الشعبي فى سحق الكيومنتنغ و إحراز الإنتصار على المستوى الوطني ، إنتهت إجمالا الثورة الديمقراطية . و قد طرح ماو بصورة صحيحة أنّه يجب أن تتمتّع بحقوق ضمن الدولة الجديدة، كافة قطاعات الشعب التى عارضت و الإقطاعية و الإمبريالية.وهي مناصرة لنظام إجتماعي معتمد على مصالح الطبقة العاملة و تحالف العمّال و الفلاحين. فى الظروف الملموسة للصين ، كان هذا المبدأ يعنى أنّه يجب أن تشمل ضمن الدكتاتورية الديمقراطية ، بقيادة البروليتاريا ، هذه القطاعات من البرجوازية (خاصة البرجوازية الوسطى أو البرجوازية الوطنية) الذين ينتمون إلى هذه الفئة ؛ و هذه القطاعات لم تكن حينها على الأقلّ، أهدافا لهذه الدكتاتورية.و كان هذا التحليل يتفق تماما مع الخطّ الجوهري و الصحيح لماو بشأن طابع الثورة الصينية، و قواها المحرّكة و حلفائها مهما كانوا متذبذبين.

و فى نفس الوقت (مارس 1949) ، صاغ ماو السياسة الجوهرية التى يجب أن تتبعها الحكومة الجديدة لأجل إجراء إنتقال إلى الثورة الإشتراكية ؛ و هذا حتى قبل إحراز الإنتصار على المستوى الوطني. لقد صرّح بوضوح:

"بعد القضاء على الأعداء المسلّحين ، سيبقى هناك أعداء غير مسلّحين ،و من المؤكّد لأنّهم سيناضلون نضالا مستميتا ضدّنا ، فعلينا ألاّ نستخفّ بهم أبدا ... على من يجب أن نعتمد فى نضالنا فى المدن ؟ يعتقد بعض الرفاق ذوو الأفكار المشوّشة أن علينا أن نعتمد لا على الطبقة العاملة بل على جماهير الفقراء. و يعتقد رفاق ذوو أفكار أكثر تشوّشا أن علينا أن نعتمد على البرجوازية...يجب علينا ان نعتمد على الطبقة العاملة بكلّ إخلاص و نتحد مع الجماهير الكادحة الأخرى و نكسب المثقفين و نجتذب إلى جانبنا اكبر عدد ممكن من أفراد البرجوازية الوطنية و ممثليهم ، الذين يمكن أن يتعاونوا معنا، أو نجعلهم يقفون موقف الحياد، حتى نتمكّن من خوض نضال حازم ضد الإمبرياليين و الكومنتنغ و البرجوازية البيروقراطية ،و قهر هؤلاء الأعداء خطوة فخطوة."(51) [الطبعة العربية: م4، ص 462]

هذه الإستراتيجيا للتقدّم بالثورة كانت معتمدة على الظروف الملموسة للصين، بلاد حيث الصناعة لا تمثّل سوى عشرة بالمائة من الإنتاج الإقتصادي الوطني، بينما كانت الفلاحة و الصناعات التقليدية تمثّل تسعين بالمائة؛أعرب ماو عن أنّ وجود صناعة عصرية يسمح فى العمق بأن تقود الطبقة العاملة الثورة و أن تواصل بناء الإشتراكية ، رغم أمّ الوضع كان يتطلّب أن تساهم البرجوازية الوطنية فى الإقتصاد و حتى أن تنهض بدور معيّن فى الدولة.

أشار ماو :" و ترتّب عن ذلك أن شهدت الصين طبقتين جديدتين و حزبين سياسيين جديدين –البروليتاريا و البرجوازية ، الحزب البروليتاري و الحزب البرجوازي. إنّ البروليتاريا و حزبها قد تصلب عودهما من جراء معاناتهما إضطهاد عدّة أعداء و أصبحا أهلا لقيادة ثورة الشعب الصيني . و من يهمل هذه النقطة او يقلّل من شأنها ، فإنّه سيرتكب خطأ الإنتهازية اليمينية " (52) [بالعربية ، م4، ص465].

و أضاف :"إنّ صناعة الصين الحديثة ممركزة للغاية ، رغم أنّ قيمة إنتاجها لا تشكّل إلاّ حوالي 10 بالمائة من مجمل قيمة إنتاج الإقتصاد الوطني، إذ أنّ القسط الأكبر و الأهمّ من الرأسمال ممركز فى أيدى الإمبرياليين و كلابهم البرجوازيين البيروقراطيين الصينيين.إنّ مصادرة هذا القسط و تحويله غلى ملكية الجمهورية الشعبية التى تقودها البروليتاريا سوف يمكنان هذه الجمهورية من السيطرة على عصب الإقتصاد فى البلاد ، و يجعل من إقتصاد الدولة القطاع القيادي فى الإقتصاد الوطني كلّه. إنّ هذا القطاع من الإقتصاد ذو طابع إشتراكي لا رأسمالي. و من يهمل هذه النقطة أو يقلّل من شأنها ، فإنّه سيرتكب خطأ الإنتهازية اليمينية" (53) [م4، ص 365-366].

التوجه الذى كان ماو يسعى وفقه للتقدّم بالثورة نحو الإشتراكية لم يكن سوى مجرّد " صيغة " هذا ما يدعيه خوجا. كانت فعلا قائمة على واقع الصين و مرتكزة على أفق واضح حول طريقة الشروع فى التحويل الإشتراكي للإقتصاد. و فى نفس الوقت ، كان ماو يعترف بأنّ هذا التحويل لا يمكن أن يحصل مرّة واحدة.و تبقى بعدُ القطاعات العريضة الفلاحية و الصناعات التقليدية للإقتصاد ، فيها ظلّ للرأسماليين دور ما ينهضون به ، ما منع القضاء عليهم فى الحال. شرح ماو ذلك فقال :"وفى هذه الفترة يجب السماح لجميع العناصر الرأسمالية فى المدن و الأرياف و التى ليست ضارة بل نافعة للإقتصاد الوطني ، أن تبقى و تتطوّر . و هذا ليس أمرا حتميّا فحسب ، بل هو ضروري إقتصاديّا.و لكن لا يمكن أن نترك الرأسمالية تبقى و تتطوّر فى الصين كما هي الحال فى البلدان الرأسمالية حيث تطغى بدون قيود فإنّ الرأسمالية فى الصين سوف تقيّد من عدّة نواح – من نواحى نطاق نشاطها و السياسة الضريبية و أسعار السوق و ظروف العمل...إن سياسة تقييد الرأسمالية الخاصة سوف تصطدم حتما بمقاومة البرجوازية على درجات متفاوتة و فى أشكال مختلفة و لا سيما بمقاومة كبار أصحاب المؤسسات الخاصة أي كبار الرأسماليين.إن التقييد و مقاومة التقييد سيكونان الشكل الرئيسي للصراع الطبقي فى داخل دولة الديمقراطية الجديدة." [أي خلال الإنتقال إلى الإشتراكية – ج و] (54) [م4، ص366-367]

هذه حسب خوجا السياسة التى تعطى الأولوية لتطوّر الرأسمالية !

كيف يمكن لخوجا أن يوفّق بين نقده لماو بخصوص فترة السنوات الأولى للجمهورية الشعبية و السياسة الإقتصادية الجديدة الشهيرة التى توخّاها لينين أثناء السنوات الأولى للإتحاد السوفياتي ، عقب الحرب الهلية؟ مستبقا إثارة القارئ لهذه المسألة ، ذكر خوجا لينين :

" لا وجود هنا لخطر بالنسبة للسلطة البروليتارية طالما أنّ البروليتاريا تمسك بصرامة بالسلطة، طالما أنّها تمسك بقوّة فى يديها النقل و الصناعة الكبرى" (55).

ثمّ علّق خوجا :

" فى الصين ، فى 1949 كما فى 1956 ن عندما كان ماو تسى تونغ يدافع عن هذه الأطروحات ، لم تكن فعلا بأيدى البروليتاريا لا السلطة و لا الصناعة الكبرى".

و علاوة على ذلك، كان لينين يعتبر السياسة الإقتصادية الجديدة **سياسة مؤقتة فرضتها الظروف الملموسة** لروسيا حينها، التى دمرتها الحرب الأهلية الطويلة، وليس قانونا عاما لبناء الإشتراكية.و بالفعل بعد سنة من إعلان السياسة الإقتصادية الجديدة ، كان لينين يشير إلى أنّ التراجع قد إنتهى وأطلق شعارا يدعو إلى الإعداد للهجوم على رأس المال الخاص فى الإقتصاد.فى الصين ، بالعكس ، كان يُتوقّع أنّ الإبقاء على الإنتاج الرأسمالي سيدوم مدّة تقريبا لا نهاية لها. حسب مفهوم ماو تسى تونغ ، فإنّ النظام المركزي فى الصين بعد التحرير يجب أن يكون نظاما ديمقراطيّا برجوازيّا، و الحزب الشيوعي الصيني لم يكن فى السلطة إلاّ ظاهريّا.هذا هو " فكر ماو تسى تونغ"(56)

هذا خليط من أسلوب خوجا : تشويهات و كذب! أوّلا السلطة السياسية ،و كذلك النقل و القطاعات المفاتيح فى الصناعة الكبرى كانت بأيدى البروليتاريا إثر التحرير سنة 1949.و كانت البروليتاريا و الحزب الشيوعي يلعبان دورا قياديّا فى الدولة. أمّا بالنسبة لإدعاء خوجا أنّ النقل و الصناعة الكبرى لم تكن بين يدي البروليتاريا، فإنّ خوجا يعتقد أنّه إذ أوجد هكذا خيالات و نشرها فى كتابه ، فإنّ الجميع سيقبلون بها دون تمييز على أنّها حقيقة. قد يكون هذا صحيحا بالنسبة " للأممية" الباعثة على الشفقة التى يحاول أن ينشأها حوله ، لكن مثل هذه الخيالات لن يقبل بها أبدا الماركسيون- اللينينيون الحقيقيون.

ومن المضحك جدّا أن يشدّد خوجا على جملة " سياسة مؤقتة فرضتها الظروف الملموسة " فى روسيا ، لأنّ ظروف الصين كانت أقلّ ملائمة بكثير للمصادرة الفورية للبرجوازية جميعها .و مثلما أشرنا إلى ذلك ، كانت الصين أقلّ تطوّرا بكثير نسبة لروسيا ، و قد دمّرها ليس بعض سنوات الحرب الأهلية فحسب بل **ثلاث عقود** من الحرب، زيادة على التدمير و الخنق و الركود المفروضين من قبل الإمبريالية و الإقطاعية. هذه هي الظروف الملموسة التى جعلت ماو يتبنّى هذه السياسات.

أمّا فيما يخصّ ملاحظة خوجا لكون لينين لم يعتبر السياسة الإقتصادية الجديدة " قانونا عاما للبناء الإشتراكي " (كما لو أنّ ماو إعتبر ذلك كذلك) و إدعائه بأنّ ماو كان "يتوقّع أنّ الإبقاء على الإنتاج الرأسمالي سيدوم مدّة تقريبا لا نهاية لها" فإنّه ليس بوسعنا سوى تذكير خوجا بتعليق لينين على مجادل ذكيّ كخوجا ذاته (أي كوتسكي) إذ قال لينين: أن تلصق بالخصم موقفا خاطئا بجلاء لأجل أن تدحضه هو طريقة أناس ليسوا أذكياء جدّا، و لنضف أنّها كذلك طريقة بعيدة عن الماركسية **!**

سنتحدّث بعمق اكبر فى الصفحات التالية عن نظرية ثورة الديمقراطية الجديدة فى الصين ، لكن بعدُ يمكن أن نرى أنّه حتى فى المراحل الأولى لجمهورية الصين الشعبية ، فى الفترة التى كان يجب التشديد فيها على تعزيز الإنتصار المحقّق على الإمبريالية و على الملاكين العقّاريين ،و على الرأسماليين الكبار الصينيين المرتبطين بهم، ظلّ ماو يقوم بالإجراءات الضرورية من أجل ضمان أن يكون مستقبل الصين إشتراكيّا و ليس رأسماليّا. يعنى أنّ ماو إتخذ الإجراءات الخاصّة لكيما يضمن أن يكون **العامل القيادي** للإقتصاد هو قطاع الملكية الإشتراكية للدولة ؛ و أهمّ حتى كان الصراع الشرس الذى خاضه ما وفى صفوف الحزب فى سبيل توضيح الطريق الضروري للثورة الصينية و إعداد الجماهير للصراع القادم.

بعدُ فى 1952، شرع ماو فى توجيه نقد شديد لنظرية " القاعدة الإقصادية الملخّصة" وهي الخطّ الذى نادى به ليوتشاوتشى و الذى وفقه يكون إقتصاد الصين مزيجا متناغما من الصناعة الإشتراكية و الصناعة الخاصّة و الإقتصاد الفلاحي. بينما كان ماو يشير بطريقة صحيحة إلى أنّ جميع العناصر الرأسمالية فى المدينة و الريف لا يمكن القضاء عليها حالا، و انّ بعضها سيدوم ردحا من الزمن ،و كان يشرح أنّ الإنتقال إلى المجتمع الإشتراكي قد إنطلق و أنّ محاولة " تعزيز نظام الديمقراطية الجديدة" يعنى وضع الصين على الطريق الرأسمالي. و على الصعيد النظري ، أفصح ماو عن ذلك فى بيانه فى جوان 1952:

" إثر الإطاحة بطبقة الملاكين العقاريين والبرجوازية البيروقراطية ، فإنّ التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازية الوطنية بات التناقض الرئيسي فى الصين؛ و بالتالى يجب أن نكفّ عن نعت البرجوازية الوطنية بأنّها الطبقة الوسطى"(57).

هكذا يشير ماو بوضوح إلى أنّ البرجوازية الوطنية كانت **هدفا** للثورة الإشتراكية . هل كان ذلك يعنى حينها أنّ كلّ الملكية البرجوازية كان يمكن مصادرتها على الفور، أم أنّ البرجوازية يمكن أن تجرّد من كلّ حقوقها السياسية حالا؟ بالطبع لا، لأنّ واقع الإقتصاد الصيني لا زال يتطلّب أن تساهم فيه بعض قطاعات البرجوازية و أن توحّد الجماهير فى المضيّ اكثر فى الثورة الإشتراكية ،و أن تشنّ حركة الفلاحين الفقراء و الفقراء-المتوسّطين بصورة خاصة لإنجاز مشركة الفلاحة ،و أن توحّد غالبية المثّقفين هم ايضا لخدمة البروليتاريا ، فهؤلاء الأخيرين فى غالبيّتهم كانوا مرتبطين بالبرجوازية الوطنية.

مرّة أخرى ، أكثر فائدة هي كلمات ماو بالنسبة للقارئ من تأويلها من قبل خوجا : " يجد البعض المرحلة الإنتقالية طويلة جدّا و يبدون فاقدي الصبر. ثمّة خطر أن يسقطوا فى خطإ " اليسراوية". و بالعكس ، يراوح آخرون مكانهم منذ إنتصار الثورة الديمقراطية ، فهم لم يفهموا أنّ طابع الثورة قد تغيّر و يواصلون ممارسة " الديمقراطية الجديدة" عوض الإعتناء بالتحويل الإشتراكي . ثمّة خطر أن يسقط هؤلاء فى الخطإ اليميني...

" تركيز نظام مجتمع الديمقراطية الجديدة بقوّة".هذه هي الصيغة الضارة.أثناء المرحلة الإنتقالية، تحدث بإستمرار تغيّرات و تظهر عوامل إشتراكية يوميّا. كيف يمكن عندئذ أن " تركّز بقوّة" نظام الديمقراطية الجديدة" هذا؟... إنّ المرحلة الإنتقالية مليئة بالتناقضات و الصراعات. و نضالنا الثوري الحالي يذهب أعمق من النضال الثوري المسلّح الماضي. إنّها ثورة ستدفن نهائيّا النظام الرأسمالي و كذلك جميع الأنظمة الإستغلالية الأخرى. فكرة " تركيز نظام مجتمع الديمقراطية الجديدة " بقوّة لا تتلاءم وواقع الصراع ، إنّها تعيق تطوّر قضية الإشتراكية. و " المرور من الديمقراطية الجديدة إلى الإشتراكية" صيغة غير واضحة. نكتفى ب" المرور إلى..."، " نمرّ" كلّ سنة، هل سيظلّ الأمر يتعلّق بعد خمسة عشر سنة ، ب" المرور...إلى" ؟ " المرور إلى ..." يعنى ببساطة عدم بلوغ الهدف. قد تبدو هذه الصيغة ، للوهلة الأولى ، مقبولة، لكن عند تحليلها عن كثب ، ندرك أنّها غير دقيقة" (58).

هذا النصّ المكتوب فى 1953 ، يبيّن مدى صحّة خطّ ماو الذى وفقه قد شرعوا بعدُ فى الثورة الإشتراكية ، ما يكذّب تماما كلام خوجا. نرى إذن أنّ إدعاء خوجا القائل بأنّ ماو ينادى بتركيز " نظام ديمقراطي –برجوازي" " بعد التحرير" مجدّدا ، يتعارض مع الواقع. و بعد تحرير الصين ، إعتبر ماو أنّ " نظام الديمقراطية **الجديدة" كمرحلة إنتقالية إلى الإشتراكية** متميّزة أساسا بموقع قيادي للبروليتاريا ، فى تحالف مع قوى أخرى تقدّمية ، لا سيما جماهير الفلاحين (سنتناولها بالنقاش فيما بعد). حدث ذلك فى الصين مثلما حدث فى الإتحاد السوفياتي بشكل مختلف قليلا. و علاوة على ذلك ، كلّ من لديه أو على معرفة بالثورة الصينية يعلم أنّه بين السنوات 1952 و 1956، قاد ماو الحزب الشيوعي الصيني صراعا شديدا كانت نتيجته أن أرسى الصينيون **جوهريّا** القاعدة الإقتصادية الإشتراكية.

و يمثّل النضال الهام فى الريف ، نضال كانت غايته تحويل الملكية الخاصّة للإقتصاد الفلاحي (التى كانت تميّز مجال الفلاحة) إلى نظام ملكية إشتراكية، أحد الإجازات المفاتيح لهذه الفترة.لقد قاد ماو الفلاحين فى التقدّم إلى أبعد من " فرق التعاون الأوّلية ؛ وقد

ركّزت هذه الفرق أثناء الحرب الأهلية فى قواعد الإرتكاز عقب إنجاز الإصلاح الزراعي، و إنتشرت فى الصين بأكملها إثر إنتصار 1949. كان " التعاون" يشتمل عناصر من المستقبل الإشتراكي لكنّه لم يكن كافيا ليغيّر جوهريّا علاقات الإنتاج القديمة، لأنّ الملكية الخاصة ظلّت كما هي. و ناضل ماو لقيادة الفلاحين فى إرساء تعاونيات متطوّرة أكثر، لبلوغ المشركة الجهوية ثمّ للتركيز السريع للكومونات الشعبية العظيمة التى كانت تمثّل الشكل الأساسي لنظام الملكية الإشتراكية فى الريف طوال فترة مديدة نسبيّا ، إلى أن يسمح تطوّر قوى الإنتاج و تعمّق الوعي الإشتراكي للفلاحين بقفزة بفضلها يتمّ تركيز مزارع الدولة أين يصبح الفلاحون عمّالا مأجورين.

و فى سبيل المضي إلى النهاية فى هذه المعركة الكبرى ، كان على ماو أن يناضل ببأس ضد اليمينيين صلب الحزب الذين كانوا يطالبون ب " المكننة أوّلا ، التعاونيّات ثانيا" و الذين كانوا يستشهدون بنموذج الإتحاد السوفياتي (حيث المشركة لم تتمّ إلى النهاية إلاّ فى بداية الثلاثينات) لتعزيز هذه الأطروحة. شرح ما أنّ تأخير المشركة إلى أن تتمكّن القاعدة الإقتصادية الضعيفة للصين من إنتاج جرارات ، سيمثّل كارثة بالنسبة للثورة.عقب إنجاز الإصلاح الزراعي ، بسرعة تطوّر الإستقطاب فى صفوف الفلاحين ، أي أن بعض الفلاحين صاروا يعيشون فى رفاه ، بينما ظلّ آخرون فقراء نسبيّا. أشار ماو إلى أنّه لو سمحنا بتطوّر هذا الوضع دون عوائق ، فإنّ تحالف العمّال و الفلاحين سيتحطّم؛ هذا التحالف الذى كان يمثّل ذات قاعدة الثورة الصينية خلال مرحلة الديمقراطية الجديدة و كذلك خلال المرحلة الإشتراكية (و إن كان تحالف المرحلة الإشتراكية من مستوى أرقى).

فى المدن ، المؤسسات الرأسمالية التابعة للدولة (التى كما سبقت الإشارة إلى ذلك لم تمثّل قطّ غالبية مؤسسات جمهورية الصين الشعبية) و المؤسسات المختلطة وقع تحويلها إلى ملكيّة إشتراكية للدولة.و يجب أن نلاحظ أن فى عديد الحالات ، كان المالكون السابقون لهذه المؤسسات يتقاضون فائدة قارّة عن الملكية التى وقعت مصادرتها ، ما مثّل فعلا شكلا من إستغلال اليد العاملة. و كانت هذه السياسة قائمة على عدّة عوامل . أوّلا ، نظرا للمرحلة الديمقراطية الطويلة نسبيّا للثورة الصينية ،وجدت عديد العناصر من البرجوازية الوطنية قبلت ببعض التغييرات زو فى نفس الوقت الذى كان يتابع فيه القضاء على البرجوازية **كطبقة** ، إعترف ماو ببعض المميزات التكتيكية لعدم إعتبارها كعدوّ لدود للثورة كلّ شخص برجوازي.ثانيا، كانت البرجوازية تملك خبرة لا زالت ضرورية لسير بعض المصانع إلخ. و هذه السياسة لا تختلف أبدا عن سياسة لينين المعروفة جدّا عن " تشحيم الساق" للتقنيين و لمديري الطبقة الرأسمالية القديمة ، من أجل أن يساعد هؤلاء الدولة السوفياتية؛ و قد تواصلت هذه السياسة السوفياتية طوال أغلب الثلاثينات و كانت تمثّل إتفاقا ضروريّا(59).

و هم يريدون جعلنا نفهم أن التحويل الإشتراكي الحقيقي لم يحدث قطّ فى الصين ، يستعمل خوجا و آخرون تواصل دفوعات الفوائد لسنوات عديدة بعد التحويل الإشتراكي للصناعة. و هذا تشويه فظّ للواقع.

منذ إنجاز تأميم وسائل الإنتاج ، لم يعد ممكنا وصفها بالمؤسسات الرأسمالية. كانت المؤسّسات حالئذ مملوكة للشعب بأسره فى شكل ملكية الدولة. و كانت مستويات الإنتاج و التخطيط معتمدة على الحاجيات الإجتماعية المذكورة فى مجملها فى مخطّطات الدولة نو ليس على متطلّبات السوق،و لا الحاجة إلى تحقيق فوائد. لم يكن بوسع الملاكين القدماء بأيّة تعلّة لا أن يبيعوا و لا أن يتركوا لغيرهم ملكيتهم السابقة ،و كذلك الفائدة الدنيا التى كانوا يحصلون عليها من هذه الممتلكات لم يكن من الممكن إستثمارها كرأسمال. و حتى فى المؤسسات أين أبقي على الملاكين القدامى ليمارسوا وظائف معيّنة ، لم يكونوا يحدّدون ظروف العمل و لا ضوابطه إلخ. ما من شخص كان بإمكانه تملّك ثمرة اليد العاملة. إجمالا، لم توجد جوهريّا علاقات رأسمالية فى القطاع الصناعي. و من البديهي أنّ الفوائد التى يحصل عليها الرأسماليون كانت نابعة من اليد العاملة للطبقة العاملة، ما يمثّل ن بالفعل، ضربا من الإستغلال. كذلك، عندما يستورد بلد إشتراكي سلعا أساسية من البلدان الإمبريالية و يلتزم بدفع الفوائد (مهما كان شكلها)، فإنّ هذا يمثّل أيضا شكلا من الإستغلال الإمبريالي. و مع ذلك، فإنّ الدغمائيين و الماديين الميكانيكيين هم الوحيدون الذين يدّعون (مثلما يفعل خوجا) أنّ بلدا إشتراكيّا أكان صغيرا او كبيرا ، لا يمكنه **أبدا** ان يسمح لنفسه بأن يحصل على قروض من البلدان الإمبريالية. فهذا يتناقض مباشرة مع سياسة لينين الذى كان يقبل بمثل هذه الإتفاقيّات عندما كانت الظروف مواتية؛ و كذلك ، معروف جدّا أن ستالين قد ورّد عديد المصانع الكاملة مصدرها مؤسسات غربية(بما فيها شركة محرّكات فورد). (يجب بالأحرى نقد لا تقليد سياسة ستالين هذه، لكن قمّة النفاق أن يتظاهر خوجا ، هنا و فى أماكن أخرى، بأنّه يساند ستالين لأجل معارضة ماو ، بينما يغمض عينيه عن الممارسة الحقيقية لستالين كلّما رأى ذلك فى صالحه؛ و فعلا ستالين و ليس أنور خوجا هو المحقّ فيما يتعلّق بالمسألة **العامة** موضوع الحال ، أي هل من الصحيح أم لا الإقتراض إلخ فى ظروف معيّنة).

نلمح إلى هذا لأجل التشديد على كون حتى لمّا تكون علاقات الإنتاج الإشتراكية قد تركّزت بصلابة ، يمكن أن تظلّ موجودة بقايا علاقات هي بالفعل رأسمالية ، على غرار هذا المثال من دفع الفوائد. تمثّل هذه المسألة برمّتها من وجود عناصر رأسمالية حتى ضمن النظام الإشتراكي مشكلا سعى ماو جهده جدّيا لمعالجته كما سنلمس ذلك فيما بعد. و كذلك ،خاض ماو بهذا الصدد صراعا طبقيّا جدّ حيوي ضد المستغلّين.

و من المعروف أيضا (رغم أنّه يبدو أن خوجا قد نسي ذلك) أن الممارسة التى وفقها كانت الفوائد تدفع للملاكين القدامى قد ألغيت تماما أثناء الثورة الثقافية. ألا يقدح القادة الصينيون لهذا السبب فى " الأربعة"(وفى الواقع ماو) متهمينهم ب" إساءة معاملة البرجوازية الوطنية" ، و يقترحون أن يعيدوا لهذه البرجوازية الوطنية ممتلكاتها بالكامل و أن يعيدوا تركيز دفع الفوائد؟ - هذا وهم يعرّضون بسرعة الصين إلى إستغلال إمبريالي حقيقي على نطاق واسع !

بطبيعة الحال ، هذا النوع من التحويل للقاعدة الإقتصادية أثناء السنوات الأولى للجمهورية الشعبية لم يتحقّق دون صراع محتدم فى البناء الفوقي، أي مؤسسات الدولة ،و الحزب و مجالات التعليم و الثقافة، و ميدان الإيديولوجيا عامة. تنبّؤ ماو بأنّ الصراع الطبقي فى الجمهورية الفتيّة سيتركّز حول " تقييد الرأسمالية و مقاومة تقييدها" ثبتت صحّتها. ذلك أن الكثير من القوى البرجوازية التى إتفقت مع النظام الشعبي إزدادت معارضتها له مع تعمّق الثورة الإشتراكية.

وقد بلغ هذا الصراع نقطة خطيرة فى السنوات 1956-1959 ، فترة حيوية فى الصراع الطبقي فى الصين. فى تلك الفترة ، قاد ماو الصراع من أجل تركيز الكومونات الشعبية و أيضا مظاهر أخرى من القفزة الكبرى إلى الأمام، للتسريع فى سير الثورة الإشتراكية و إرساء علاقات إنتاج إشتراكية جديدة، فى نفس الوقت الذى يقع فيه التقدّم بالإقتصاد وفق المبادئ افشتراكية. و علاوة على ذلك ، فى هذه الفترة بالذات إنتصرت التحريفية السوفياتية ، إنتصار أعلن عنه بوضوح ما سمّي " الخطاب السرّي" لخروتشاف أمام المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي للإتحاد السوفياتي. و بالطبع ما كان الخطاب بتاتا" سرّيا" إلاّ أنّه مثّل بالعكس إشارة للتحريفيين داخل أحزاب العالم بأسره (بما فى ذلك بالتأكيد فى الصين) ، إشارة لإطلاق العنان لهؤلاء التحريفيين ليصارعوا من أجل الخطّ التحريفي. و فى نفس الوقت ، برز عديد المعادين للثورة فى بلدان معيّنة من أوروبا الشرقية، لا سيما فى المجرّ و بولونيا،متسبّبين فى إضطرابات تحت يافطة معارضة الدكتاتورية و المطالبة بالديمقراطية (البرجوازية). و قد إنعكس هذا الوضع على الصين ، لا سيما ضمن المثقفين البرجوازيين.

فى هذا الإطار ، أطلق ماو حملة " المائة زهرة " التى كان شعارها " لتتفتّح مائة زهرة و لتتنافس مائة مدرسة". و رغم عدم قيامه بأي تحليل حقيقي لهذه الحركة ، يستعمل خوجا هذا الشعار ليدّعي أن ماو كان يقترح أنّه " بموازاة الإيديولوجيا البروليتارية نو المادية و الإلحاد ، يترتّب علينا أن نسمح كذلك بالإيديولوجيا البرجوازية والمثالية و الدين ،بنموّ " أعشاب سامّة" إلى جانب " الأزهر ذات الرائحة الجميلة" إلخ" (60)

لكن فى الواقع إن تفحّصنا جدّيا نصوص ماو لتلك الفترة ن نرى بغاية الوضوح أن هدف حملة " المائة زهرة" كانت بالضبط عكس ما يدّعيه خوجا.

لقد حلّل ماو أنّ فى المجتمع الصيني لا تزال توجد طبقات عدائية (البرجوازية و البروليتاريا) و أنّ الصراع بين هذه الطبقات لم يكن يوشك على الإضمحلال أو الإلغاء بإصدار هذا أو ذاك من القوانين وعلاوة على ذلك ، كانت هناك أيضا عدّة تناقضات فى صلب الشعب، بمن فيهم العمّال و الفلاّحين،و إذا لم تعالج بطريقة صحيحة ، كان من الممكن أن تصبح هذه التناقضات عدائية، مؤدّية هكذا إلى كارثة بالنسبة للثورة . و من هنا ، كان ماو يواجه بالملموس وضعا صعبا ناجما عن وجود نوعين مختلفين من التناقضات، التناقضات العدائية و التناقضات غير العدائية، و هذان النوعان لا ينفيان بعضهما البعض و إنّما كانا مرتبطان إرتباطا وثيقا الواحد بالآخر و يمكن أن يتحوّلا الواحد إلى نقيضه.

يتجسّد التناقض مع المثقّفين من جهة ،فى أنّ غالبيتهم كانوا يساندون النظام الشعبي بينما ، من جهة أخرى، كان عليهم أن يتابعوا إعادة تربيتهم و أن يتخلّصوا من الإيديولوجيا البرجوازية.لقد كان هذا التناقض أساسا غير عدائي و كان يجب بالتالى معالجته بواسطة النقاشات و الصراعات و ليس بالإجبار أو بنزع حقوق هؤلاء المثقفين . و فى نفس الوقت ، كان من البديهي جدّا أنّ التناقض مع المثقّفين البرجوازيين الذين لم تقع إعادة تربيتهم يخصّ التناقض العدائي مع المعادين للثورة،و أنّ عددا من المواضيع التى كان القادة اليمينيون ياكّدون عليها فى صفوف الحزب و خارجه كانت ترمى إلى تعبئة هؤلاء المثقفين الذين كانوا يشكّلون القاعدة الإجتماعية الضرورية لمهاجمة النظام الإشتراكي.

عند صياغته لتفكيره حول المسألة ، كان ماو متأثّرا أيضا بتقييمه لتجربة الإتحاد السوفياتي ، ليس فقط لتطوّر تحريفية خروتشاف ، بل أيضا أخطاء ستالين ، لا سيما فى مطلع الثلاثينات، عندما تمّ التحويل الإشتراكي الجوهري للصناعة و الفلاحة. أعلن ستالين حينها أنّه لم تعد توجد طبقات عدائية فى الإتحاد السوفياتي ، فضلا عن كونه لم يعترف بإمكانية أن تتطوّر مثل هذه الطبقات . وفيما بعد سنتطرّق للمسألة الجوهرية لصراع الطبقات فى ظلّ الإشتراكية ، لكن يجب أن نلاحظ هنا أنّه حتى فى تلك المرحلة الأولى من الثورة الصينية ، مرحلة حيث لم تكن بعد مسألة برجوازية جديدة تنشأ صلب الحزب و الدولة المسألة الرئيسية ، فإن نقد ماو لأخطاء ستالين هذه قد أثّر كبير التأثير فى تطوّر توجهه الخاص. كان ماو يعترف بأنّ غياب التمييز بين هذين النوعين من التناقضات ، و الخلط بينهما ، سيؤدّى أوّلا إلى نكران إمكانية إعادة تركيز الرأسمالية و الحاجة إلى ممارسة دكتاتورية ضيّقة و ممكنة ضد الذين يحاولون إعادة تركيز الرأسمالية هذه ، و ثانيا ، إلى نقص فى فهم أنّ التناقضات صلب الشعب يجب أن تعالج بطريقة مختلفة ، أي

بالنقاش و الصراع. و عدم القيام بهذا سيسفر تحوّل التناقضات غير العدائية إلى تناقضات عدائية ،مفاقمة هكذا إمكانية أن تتحد قطاعات عريضة من الشعب مع الثورة المضادة و أن تُستنهض كقوى إجتماعية تساند إعادة تركيز الرأسمالية .هذا هو المشكل ، و ليس " الليبرالية " وهو الذى عبّر عن عمق سياسة " لتتفتّح مائة زهرة و لتتنافس مائة مدرسة " المقترحة من قبل ماو.

وقد فهم أنّ صراع الطبقات سيستمرّ فى ظلّ النظام الإشتراكي الجديد و قد أقرّ بانّ صراعا هاما فى الأفق (بفعل إلتقاء ظروف محلّية و عالمية مذكورة أعلاه) ، أطلق ماو نداء " لتتفتّح مائة زهرة و لتتنافس مائة مدرسة". كان يتمّ تشجيع الناس ليعبّروا بوضوح عن آرائهم حول الحزب الشيوعي و حول ما يعتقدون أنّها نواقص الحزب، و ليناقشوا شتى المسائل على جبهة الثقافة و التعليم و العلم. و فى نفس الوقت ، أشار ماو إلى أنّه ما كان ممكنا السماح للمعادين للثورة بمثل حرّية التعبير هذه (محدّدا كمعادين للثورة خاصة العناصر المكشوفة و المعيّنة كذلك خلال الحركات الهادفة لسحق المعادين للثورة فى بداية الخمسينات): و أهمّ حتى ، طوّر ماو المقاييس لمساعدة الجماهير على التمييز بين " الأزهار ذات الرائحة الجميلة " و" الأعشاب السامة ": "حرفيّا، الشعاران " لتتفتّح مائة زهرة " و " لتتنافس مائة مدرسة " ليس لهما طابع طبقي إذ يمكن أن تستعملهما البروليتاريا و كذلك البرجوازية و آخرون. لكلّ طبقة ، كلّ شريحة و كلّ فئة إجتماعية مفهومها للأزهار ذات الرائحة الجميلة و للأعشاب السامة. بيد أنّه عندئذ ، من وجهة نظر الجماهير الشعبية العريضة ، ما هي المقاييس اليوم التى تسمح بالتمييز بين الأزهار ذات الرائحة الجميلة و الأعشاب السامة ؟ كيف يمكننا فى مجرى حياة شعبنا السياسية التمييز بين الخطأ و الصواب فى أقوالنا و أفعالنا؟ إنّنا نرى أنّه ، بالإستتناد غلى مبادئ دستور بلادنا و إرادة الأكثرية الساحقة من شعبنا و بالإستناد إلى الموقف السياسية المشتركة التى أعلنتها جميع الأحزاب و الجماعات السياسية فى بلادنا فى مناسبات مختلفة ، يمكننا أن نضع لذلك ، على وجه عام ، المقاييس الآتية :

1- أن تساعد أقوالنا و أفعالنا على توحيد الشعب من مختلف القوميات فى بلادنا ، لا أن تعمل على تفريقه.

2- أن تساعد على التحويل الإشتراكي و البناء الإشتراكي ، لا أن تضرّ بما.

3- أن تساعد على توطيد الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية، لا أن تقوضها أو تضعفها.

4- أن تساعد على توطيد المركزية الديمقراطية، لا أن تهدمها أو تضعفها.

5- أن تساعد على تعزيز قيادة الحزب الشيوعي ، لا أن تحاول التخلّص منها أو تضعفها.

6- أن تساعد على التضامن الأممي الإشتراكي، و التضامن الأممي بين جميع الشعوب المحبة للسلام فى العالم، لا أن تلحق بهما ضررا أو أذى.

و أهمّ هذه المقاييس الستّة هو مقياس الطريق الإشتراكي و مقياس قيادة الحزب."(61)

[ص 50 من "مقتطفات من أقوال الرئيس ماو"]

لم يكن ماو ينشر أوهاما حول ما إن كان اليمينيون البرجوازيون سيتبعون هذه المقاييس أثناء الصراعات القادمة. بالعكس تماما: كان يتوقّع أن يشنّ اليمينيون هجوما خبيثا ضد قيادة الحزب، وضد الطريق الإشتراكي كأمثالهم فى المجرّ . كان يعلم أنّ اليمينيين سيكشفون أنفسهم ، **سواء " سمح لهم" الحزب بذلك أم لم يسمح** ، و أنهم سيحاولون تعبئة الرأي العام لصالح إعادة تركيز الرأسمالية. فى صياغته للمقاييس الستّة (و فى تشديده على إثنين منهما) ، يوفّر ماو أفضل أرضية ممكنة حتى تستطيع الجماهير أن ترسم خطّ تمايز ضمن سيل الآراء السياسية المتنوّعة التى كانت ستتطوّر بالتأكيد.

خلال الأسابيع الأولى من حملة " المائة زهرة " ، فى ربيع 1957، شُنّ هجوم كامل ضد الحزب من قبل الرابطة الديمقراطية ، وهي حزب برجوازي شارك فى حكومة الجمهورية الشعبية ، و من قبل جريدة وانهيو باو المرتبطة من قريب جدّا بالرابطة و معبّرة عن وجهة النظر السياسية للبرجوازية الوطنية. إضافة إلى ذلك ، حدثت ظاهرة إلتحاق أعضاء من الحزب بهذا الهجوم المسعور. لقد أطلق اليمينيون نداء لتركيز " ديمقراطية " من النمط الغربي ، مطالبين بأن ينزل الحزب الشيوعي من" الكرسي المحمول". و علّقت ملصقات تطالب بذات الأمور فى معاقل اليمينيين، لا سيما فى الجامعات و جدّت أيضا أحداث سيّئة إذ وقع تقطيع ملصقات تساند الحزب و هُوجم أشخاص إلخ.

لقد إختار ما وان لا يردّ فى الحال ، و أن ينتظر بضعة أسابيع حتى يظهر اليمينيون البرجوازيون و يكشفوا أنفسهم و حتى يُسرع أعضاء الحزب الذين لهم ذات الأفكار و البرنامج إلى الدفاع عنهم. لكن هذه السياسة كانت أبعد من ان تكون تعايشا سلميّا بين الخطّ البرجوازي و الماركسية - اللينينية. و قاد ماو الجماهير الشعبية فى شنّ هجوم مضاد قويّ ضد اليمينيين البرجوازيين ممّا إضطرهم، تحت نيران الحزب و الجماهير، إلى التراجع بسرعة كبيرة ، فتعزّزت قيادة الحزب فى صفوف الجماهير . و قد إتهمت الصحافة

الغربية و إتهم اليمينيون الصينيون ماو بأسى بأنّه قد " إستغفل" اليمينيين ، سامحا لهم بكشف برنامجهم الرجعي لغاية وحيدة هي سحقه.

وقد أجاب ماو على ذلك قائلا :

" على هذا النحو ، كان على الجماهير أن تميّز من الذى كان ينقد بنيّة حسنة و من كان يعبّر عن نيّة سيّئة فى ما يسمّى نقدا ، ما خوّل لنا تركيز القوى لنمرّ إلى الهجوم المضاد فى اللحظة المناسبة. ويتحدّث البعض عن مآمرة نسجت خيوطها فى الظلّ . و نحن نقول إنّها عملية جرت فى وضح النهار. لأنّنا حذّرنا أعداءنا : لا نستطيع القضاء على الجنيّ الشرير إلاّ بعد أن ندعه يظهر أوّلا، لا يمكن إستئصال الأعشاب السامة إلاّ بعد أن تخرج من الأرض. ألا يقوم الفلاحون بعديد عمليّات العزق سنويّا؟ و إضافة إلى ذلك، فإنّ الأعشاب المقتلعة يمكن أن تسعمل كسماد. سيبحث الأعداء الطبقيون دائما عن الظهور. لا يستسلمون لخسارة السلطة و أملاكهم. رغم كلّ تحذيرات الحزب الشيوعي الذى أعلم بوضوح مبادءه الإستراتيجية الجوهرية لأعدائه، فإنّ هؤلاء لن يكفّوا عن هجماتهم. الصراع الطبقي أمر موضوعي مستقلّ عن إرادة الإنسان، يعنى لا مفرّ منه. و حتى لو أردنا تجنّبه فلن نفلح. مفروض علينا خوضه حسب قوانينه، بهدف إحراز الإنتصار" (62)

إحراز الإنتصار فى هذا الصراع خلال حملة " المائة زهرة " هذا بالضبط ما توصّل إليه ماو. لقد جرى إيقاظ وعي الجماهير و هذه الأخيرة بالتأكيد لم تسمح بالهجمات المسعورة ضد مكاسب الثورة و التحويلات الإشتراكية التى كانت تحصل. تراجع اليمينيّون غير أنّ ماو إقتفى أثرهم و شدّد على عدم تركهم يهربون من الموقف السيّئ الذى وجدوا فيه مقابل بعض الكلمات التقية من النقد الذاتي . و الذين شاركوا فى النشاطات المعادية للثورة (ثمّة هجمات و حتى جرائم إقترفها اليمينيون البرجوازيون) وقع إيقافهم و ووقعت إحالتهم على العدالة. و رغم مساعى خوجا لتصوير ماو على أنّه ليبرالي كان يريد أن يحيط به معادون للثورة ، أكّد ماو بجلاء كبير فى خضمّ الهجوم المضاد ضد اليمينيين البرجوازيين :

" يجب إبعاد كلّ معاد للثورة . ولتكن الإعدامات بأقلّ عدد ممكن دون، مع ذلك ، إلغاء الإعدام و لا إعلان العفو العام... و العناصر السيئة المعروفة بسوئها لدى العموم يجب أن تعاقبها العدالة. حاليا، بعض موظّفي العدالة و الأمن العام لا يقومون بواجبهم مبقين أحرارا الذين يجب إيقافهم و إدانتهم ؛ إنهم مخطئون . لئن لم يكن من الجيّد توجيه العقاب الزائد ، ليس جيدا كذلك إصدار أحكام متسامحة أكثر من اللازم. فى الوقت الحالي ، فى يكمن الخطر فى النزعة الأخيرة " (63).

إضافة إلى ذلك ، تعرّض الذين إعتبروا يمينيين برجوازيين فى صفوف الحزب و خارجه لتقليص حقوقهم السياسية. و بالفعل ،فقط بعد وفاة ماو ، أعيدت للرجعيين حقوقهم ،من قبل هواو كوفينغ و دنك سياو بينغ إثر الإنقلاب التحريفي.

إستمرّت حملة " مائة زهرة " إلى نهاية سنة 1958. و مع ذلك ، بعد صائفة 1957 لم يعد اليمينيون فى موقع الهجوم و صارت الملصقات و التعاليق فى الجرائد بيد الجماهير العريضة ، خاصة العمّال و الفلاحون.و ظلّ هناك نقد للحزب الشيوعي ، إلاّ أنّ طابعه كان مغايرا تماما ، إذ كان قائما فعلا و قولا على المقاييس الستّة التى صاغها ماو. و إستخدم هذا النقد لتقوية الحزب الشيوعي و تعزيزه. و قد أدّى النقاش الذى حدث على نطاق واسع فى صفوف الجماهير إلى إدراك هذه الأخيرة بصفة أعمق لخطّ الحزب و طبيعة الثورة الإشتراكية ، و رفع تصميمها و قدرها على مواصلة هذه الثورة.

و مثلما أشار غلى ذلك ماو ، حملة " مائة زهرة " كانت مدرسة للحزب ذاته و للجماهير. و أبدى ماو الملاحظة التالية : " لا يجب أن يخشى الماركسيون النقد مهما كان مأتاه. بالعكس يجب أن يصلّبوا عودهم و أن يتقدّموا و يكسبوا مواقعا جديدة فى خضمّ النقد وأتون الصراع .الصراع ضد الأفكار الخاطئة نوع من التلقيح ، و بفضل عملية التلقيح ، تتعزّز مناعة الجهاز. فالنباتات المزروعة فى بيوت مكيّفة لا يمكن أن تكون قوية. سياسة " لتتفتّح مائة زهرة و لتتافس مائة مدرسة "، بعيدا عن إضعاف الموقع القيادي للماركسية فى المجال الإيديولوجي، و بالعكس عزّزه.

ما هي السياسة التى يجب أن نتوخّاها إزاء الأفكار غير الماركسية؟ عندما يتعلّق الأمر بمناهضين أكيدين للثورة و بعناصر تخرّب قضية الإشتراكية ، فالمسألة يسيرة الحلّ: نمنعهم بكلّ بساطة من حق التعبير. لكن عندما يتعلّق الأمر بأفكار خاطئة موجودة صلب الشعب فإنها مسألة أخرى. هل يمكن أن نمنع هذه الأفكار و أن لا ندع لها أية إمكانية لتعبّر عن ذاتها ؟ بالطبع لا. سيكون ليس فحب غير فعّال ، و إنّما أيضا فى منتهى الضرر أن نتبنّى الطرق البسيطة لمعالجة المسائل الإيديولوجية صلب الشعب، المسائل المتعلّقة بعقل الإنسان. يمكن أن نمنع التعبير عن الأفكار الخاطئة لكن مع ذلك ستظلّ موجودة. و الأفكار الصحيحة إذا ما نمت فى بيوت مكيّفة ، إذا لم تتعرّض إلى الريح و المطر ، إذا لم تكن لها مناعة ، لن تستطيع الإنتصار على الأفكار الخاطئة حينما تواجهها. و بالتالى ، فقط عبر طريقة النقاش و النقد و المحاججة نستطيع حقّا أن نطوّر الأفكار الصحيحة و نقضي على الأفكار الخاطئة و نعالج المشاكل" (64).

هكذا نرى أنّ مظهري حملة " مائة زهرة" التى هاجمها خوجا و الدغمائيون التحريفيون (و التحريفيون الخروتشافيون الذين نعتوها حينها زورا ب" الليبرالية")، أوّلا ، كانت الحملة تمثّل محاولة للإلتفاف على تيّار مضاد للثورة و التصدّى له ، تيّار يتطوّر فى الصين نظرا للتحويلات الإشتراكية و مصادرة ممتلكات البرجوازية الصينية ،و تقدّم التحريفية على النطاق العالمي (خاصة فى الإتحاد السوفياتي ، و لكن أيضا منذ الإنتفاضة المعادية للثورة فى المجرّ). ثانيا، تمثّل حملة " المائة زهرة" نداء لنقاش إيديولوجي ضمن الجماهير على نطاق وطني ؛ و هذا النقاش لم يكن إلاّ أن يؤدّى إلى تعميق تأثير الماركسية - اللينينية فى صفوف البروليتاريا و الشعب الصيني.

يمكن أن نتساءل لماذا يهتاج الدغمائيون التحريفيون إزاء حملة " مائة زهرة". بالطبع ، من البديهي أن هذه الحملة تسمح لخوجا و جماعته بفرصة ممتازة ليستشهد بماو كما يعنّ له، بهدف قلب الحقيقة و أن يقدّمه زورا على أنّه مجرّد ليبرالي. و لكن الأهمّ هو أنّ حملة " المائة زهرة " تجعل خوجا يفقد عقله لأنّ الفهم السياسي الذى يذهب فى أساسه ضد وجهة نظره الميكانيكية و الخاطئة فيما يتصل بتطوّر الإشتراكية.وفق وجهة النظر المهيمنة الحالية ضمن الحزب الألباني ، يمكن للجماهير أن تبلغ تبنّى الماركسية و نبذ الإيديولوجيا البرجوازية ن ليس أثناء الصراع الضاري بين الخطّين و الطريقين ، ليس عبر إطلاق إعصار من النقاشات و النضالات ، لكن من خلال سيرورة منظّمة تماما و " دون إنقطاعات" حسبها ببساطة يربّى الحزب الجماهير. هذه النظرة هي التى تقود خوجا ، مثلما سنرى ذلك لاحقا ، إلى تقييمه المعادي للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى.

و بالرغم من انّ التحليل الشامل لكامل خطّ خوجا و ممارسة الحزب الألباني بصدد الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية. لنر ،مثلا، مقتطفا من الدستور الأباني الجديد، المتبنّى فى نهاية سنة 1976:

" فى الجمهورية الشعبية الإشتراكية الألبانية ، لا توجد طبقات إستغلالية ، لقد وقع إلغاء الملكية الخاصة و إستغلال الإنسان للإنسان، وهي ممنوعة ". (65)

لكن رغم فصول الدستور الألباني و رغم أنّ السيد خوجا يريد **منع** الطبقات المتعادية ، فإنّها مع ذلك موجودة فى ألبانيا كما وجدت و توجد بعدُ فى الصين. و يبيّن هذا الفصل بالذات الخلط بين الأشكال القانونية و الواقع الإجتماعي. وفى الفترة التاريخية الحالية، يعدّ هذا الخلط **تنكّرا** واعيا للماركسية.

و نظرا لأنّ خوجا لا يعترف بوجود الطبقات العدائية خلال المرحلة الإشتراكية ، إثر مصادرة املاك البرجوازية (موضوع سنتطرّق له له فيما بعد) ، لا يمكنه إدراك كيفية معالجة التناقضات ذات الطبيعة المختلفة صلب المجتمع الإشتراكي و ينتهى حينئذ بالضرورة إلى السقوط فى كافة ألوان الإنحرافات " اليسارية " و اليمينية. و تؤدّى هذه الإنحرافات ن فى المصاف الأوّل ، إلى أن **تتحوّل** التناقضات عدائية، مقوّضة أساس بلوغ التحويل الإشتراكي.

و يرتبط نقد خوجا لحملة " مائة زهرة " و ما يسمّى ب " ليبرالية " ماو إزاء البرجوازية الوطنية ، عن كثب بنقده لسياسة الحزب الشيوعي الصيني الذى كان يسمح بوجود بعض الأحزاب السياسية البرجوازية ، سامحا لها حتى بصوت محدود ضمن الأجهزة القيادية للدولة. يستخرج خوجا هذا الإستشهاد من مؤلفات ماو :

" فى آخر المطاف ، هل من الأفضل أن يكون لنا حزب واحد أم عدّة أحزاب؟ من الأفضل أن تكون لنا عدّة أحزاب ، على ما يبدو لنا.كان الأمر كذلك فى الماضي و يمكن أن يكون كذلك فى المستقبل. إنّه التعايش الطويل الأمد و المراقبة المتبادلة ".(66)

و تعليق خوجا هو :

" كان ماو يعتقد أنّه من الضروري أن تساهم فى السلطة و فى إدارة البلاد ، أحزاب برجوازية لها ذات الحقوق و ذات صلوحيّات الحزب الشيوعي الصيني. و أكثر من ذلك، هذه الأحزاب البرجوازية " التاريخية" حسب قوله، لا يمكن أن تضمحلّ قبل أن يضمحلّ الحزب الشيوعي الصيني ، بصيغة أخرى ، إنهم مدعوّون للتعايش حتى الشيوعية ".(67)

و من جديد ، من المفيد أن ندع ماو يعبّر عن ذاته بذاته:

" الحزب الشيوعي و الأحزاب الديمقراطية جميعها إفراز للتاريخ. و كلّ إفراز للتاريخ يجب أن يضمحلّ فى يوم ما، مثلما ستضمحلّ الأحزاب الديمقراطية . و هل سيكون ذلك شاقا جدّا؟ لا . أعتقد أنّنا سنكون جدّ فرحين لذلك. إذا فى يوم ما لم نعد فى حاجة إلى حزب شيوعي و لا لدكتاتورية البروليتاريا ، أعتقد أنذلك سيكون حقّا أمرا جيّدا. و مهمّتنا تتمثّل تحديدا فى الإسراع بإضمحلالها.ووجهة النظر هذه قد عبّرنا عنها بعدُ فى عدّة مناسبات سابقة.

بيد أنّه فى الوقت الراهن، الحزب البروليتاريا و دكتاتورية البروليتاريا مطلقي الضرورة ، و يجب مواصلة تعزيزهما و إلاّ لن يكون من الممكن أن نقمع المعادين للثورة و أن نقاوم الإمبريالية و نبني الإشتراكية و لا أن نعزّزها عندما نكون قد بنيناها. نظرية لينين حول الحزب البروليتاري و دكتاتورية البروليتاريا لم تصبح بتاتا " غير صالحة" كما يدّعى البعض." (68)

نلمس إذن أن المعنى الحقيقي لما قاله ماو بالكاد يشبه تأويل خوجا له. حينما يقول خوجا إنّ الأحزاب الديمقراطية كانت " تاريخية " علينا أن نفترض بأنّه يحيل إلى ملاحظة ماو بأنّ الحزب الشيوعي هو و الأحزاب الديمقراطية الأخرى " جميعها إفراز للتاريخ " و هذا الأمر بديهي كما هو بديهي أنذ الحزب الشيوعي و الأحزاب الديمقراطية ستنتهى إلى الإضمحلال مستقبلا. لم يقل ماو إنّ الأحزاب الديمقراطية ستوجد **طالما و طوال المدّة** التى سيوجد فيها الحزب الشيوعي ، بصيغة أخرى إلى بلوغ الشيوعية.

كانت سياسة ماو بصدد " التعايش الطويل الأمد و المراقبة المتبادلة " بين الحزب الشيوعي و الأحزاب الديمقراطية، مرتبطة مباشرة بالظروف الواقعية لتطوّر الثورة الصينية. و إعتبارا لأنّ الثورة الصينية تضمّنت مرحلة ديمقراطية طويلة نوعا ما ، كان فى آن من الطبيعي و الصحيح أنّ بعض الأحزاب البرجوازية التى كانت تعارض الإمبريالية و الإقطاعية إلى درجات مختلفة ، و التى كانت على إستعداد للعمل مع الحزب الشيوعي ، أن نهض بدور معيّن فى النظام الجديد. لم تكن المسألة ببساطة مسألة بذل الجهود لبلوغ الوحدة مع القادة البرجوازيين فى المراتب العليا لهذه الأحزاب،وو إنّما بالأحرى ، التوحّد مع قطاعات شعبية كانت تأثّر فيها و تغييرها. و كانت هذه القطاعات الشعبية تمثّل قوّة إجتماعية هامّة.

وفى نفس الوقت ، أشار ماو بوضوح إلى أنّ كلّ تعاون بين قيادة الحزب الشيوعي و الأحزاب الديمقراطية يجب أن يعتمد على قيادة الحزب الشيوعي و على موافقة الأحزاب الديمقراطية على الإنتقال إلى الإشتراكية. و إدّعاء خوجا كون الحزاب الديمقراطية كانت تمتّع بذات حقوق و صلوحيات الحزب الشيوعي عبثيّة. فيما يتصل ب " حق" **قيادة** الحزب و " صلوحياته" ، إنّه بالطبع الحزب الشيوعي هو الذى كان يتحمّل المسؤولية ،و قيادته هي القاعدة الوحيدة التى عليها تنهض المشاركة مهما كانت طبيعة الأحزاب الديمقراطية .

لم تكن لدى ماو أوهام فيما يخصّ دور الأحزاب الديمقراطية. و قد أشار إلى أنّ هذه الأحزاب كانت تعارض الكثير من سياسات الحزب الشيوعي ،و أنّه كانت لديها مفاهيم أخرى للعالم ،وفى نفس الوقت ، أكّد: " كانوا فى المعارضة، مع أنّهم ليسوا فيها؛ يمرّون عادة إلى المعارضة إلى عدم المعارضة".(69) فقط أثناء المرور من عدم المعارضة يمكن على المدى الطويل أن يتحقّق التعاون! و كان ماو يرغب فى إنقاذ هذه الإمكانية.

بيد أنّه أقام التحضيرات لإمكانية أخرى : أن تتحوّل الأحزاب الديمقراطية إلى موقع معاداة الثورة. و قد أكّد بجلاء سنة 1957 ، فى بداية حملة " مائة زهرة " :

" التعايش الطويل الأمد للحزب الشيوعي و للأحزاب الديمقراطية، هذا ما نريده و هذه هي أيضا سياستنا. أمّا معرفة هل أنّ الأحزاب الديمقراطية يمكن أن توجد طوال فترة طويلة، هذا لا يتوقّف ببساطة على إرادة الحزب الشيوعي وحده ، و هذا أيضا مرتهن بسلوك الأحزاب الديمقراطية و إنطلاقا من الثقة التى يضعها فيها الشعب." (70).

و من ثمّة ، يحدّد ماو بأنّ " الشروط التاريخية " لتفكيك هذه الأحزاب البرجوازية و إضمحلالها ليست ذات الشروط التاريخية للحزب الشيوعي ذاته." هذا أيضا مرتهن بسلوك الأحزاب الديمقراطية " لا يمكن إلاّ أن يعني: ان يقبلوا أو لا بالتغييرات الإشتراكية ؛ " الثقة التى يضعها فيها الشعب " تترجم الموقف تجاه العمّال و الفلاحين و إن كانت بعد لهذه الأحزاب قاعدة إجتماعية يتعيّن التوحّد معها و كسبها للوحدة.

بالفعل ، كفّت غالبية الأحزاب الديمقراطية عن الوجود خلال الثورة الثقافية . كانت تشارك فى الدولة فى شكل الندوة الإستشارية السياسية التى صارت بقمّة جهاز سياسي دون سلطة لا تجتمع إلاّ نادرا. و من الواضح من وجهة نظر ماو و الذين كانوا جزء من قيادته الثورية ، أن الظروف التاريخية المتطلّبة للتعاون مع الأحزاب الديمقراطية لم تعد موجودة (بإستثناء ربّما ، بطريقة جدّ محدودة بالنسبة لتايوان).

و تجدر الملاحظة أنّه ، على عكس وجهة نظر خوجا التى وفقها وجود عديد الأحزاب لا يتوافق مع اللينينية ،وجد وضع مماثل فى الإتحاد السوفياتي و كذلك فى بلدان أخرى. و على سبيل المثال ، ثورة أكتوبر لم يطلقها الحزب البلشفي لوحده (الذى كان بطبيعة الحال القوّة القيادية و المحرّكة) لكن شارك فيها أيضا الإشتراكيون الثوريون اليساريون. و إقترح لينين أن يساهم ممثّلو هذا الحزب فى الحكومة الجديدة (مجلس مفوّض الشعب) و ناقش القاعدة التى على أساسها يمكن تحقيق هذا النوع من التعاون. و بيّن لينين أنه كان للإشتراكيين الثوريين اليساريين كبير التأثير على الفلاحين و أنّهم يمثّلون إلى درجة معيّنة الفلاحين المستعدّين للإلتحاق بالثورة؛ و عليه يجب التوحّد مع هؤلاء الإشتراكيين الثوريين اليساريين أثناء إفتكاك السلطة و بعد ذلك. وكان التعاون بين البلاشفة و الإشتراكيين الثوريين قصير العمر، ليس لأنّ لينين والحزب البلشفي تبنّيا سياسة لكسر هذا التحالف، و إنّما لأنّ الإشتراكيين الثوريين

اليساريين إنتفضوا معارضين النظام الجديد و بصفة خاصة ضد سلام براست –ليتوفسك. فى هذه الظروف ، شنّ الحزب البلشفي هجوما حيويّا ضد الإشتراكيين الثوريين اليساريين الذين أصبحوا **أهدافا** لدكتاتورية البروليتاريا . و تعود معارضة البروليتاريا و صفوف أعضاء هذا الحزب فى جزء كبير منها ، إلى كون الثورة كانت تعرّض لهجمات من قبل النظام الإشتراكي التى ظهرت فى و الرجعيين و كانت بالتالى فى موقع دفاعي. و مع ذلك، لا يوجد أي شيئ فى كتابات لينين يجعلنا نعتقد أنّ التعاون مع الإمبرياليين الإشتراكيين الثوريين اليساريين لم تكن لتكون طويلة المدى لو كانت الظروف مختلفة.

لقد قال لينين حتى إنّ :" حرمان البرجوازية من الحقوق الإنتخابية لا يشكّل كما سبق و أن أشرت ، سمة لازمة لا غنى عنها لدكتاتورية البروليتاريا " (71). و اليوم نعلم أنّ تصريح لينين هذا خاطئ (على الأقلّ إذا سُحب على كافة المرحلة الإشتراكية) ؛ و مع ذلك، سيقترح خطأ حتى أخطر(و حتى كذب معادي للثورة) إذا إعتبرنا لينين ليبرالي فظّ بسبب هذا التصريح! فالأمر يتعلّق بان دعم دكتاتورية البروليتاريا و تبنّيها مبدأ بالنسبة للشيوعيين ، بينما يجب الإعتراف بأنّ فى تحقيق هذا المبدأ على الأرجح ستكون تكتيكات مغايرة ضرورية وفق الظروف المغايرة، و حتى إن أخطأنا فى إختيار و تطبيق تكتيكات خاصّ ، فهذا ليس سببا لتوجيه إتهامات هستيرية ، مثلما يفعل خوجا (إضافة إلى كون خوجا بيّن أنّه غير قادر على إثبات أنّ ماو إقترف مثل هذه الأخطاء التكتيكية).

زيادة على ذلك ن بما أنّنا نتحدّث عن " الدور القيادي بلا منازع للحزب الماركسي - اللينيني فى الثورة و البناء الإشتراكيين" (72) ، من المفيد أن نلاحظ أنّ التاريخ الرسمي للحزب الألباني يعترف بأنّه طوال سنوات عديدة بعد التحرير ، ظلّ الحزب " فى وضع شبه قانوني ، حتى الآن و قد بات الحزب القيادي فى السلطة...كان برنامج الحزب يغطيه برنامج الجبهة الديمقراطية... و كان أعضاء الحزب يحافظون على سرّية صفتهم كأعضاء و... توجيهات الحزب [المسمّى حينها الحزب الشيوعي الألباني] تنشر علنيّا كقرارات للجبهة الديمقراطية...!" هذه السياسات مسجّلة فى **تاريخ** ... فى إطار نقد ذاتي للحزب الألباني ذاته وهي تعدّ إنحرافات فاضحة ، تقترب من خطّ " كلّ شيء عبر الجبهة المتحدة ".

هذا من جهة و من جهة أخرى ، مع السماح بوجود أحزاب ديمقراطية و تشجيع التعاون بينها ، أشار ماو إلى أنّه لو شهدت الثورة تغيّرا ،مثلا، إن شنّ الإمبرياليون هجوما على نطاق واسع ضدّها ، فإنّ الأحزاب الديمقراطية من الوارد جدّا أن تتحوّل بخبث ضد الثورة.و بسخرية يحذّر : " إنّ حصل تغيير فى العالم و إن حوّلت قنبلة ذرّية بيكين و شنغاي إلى آثار، ألن تغيّر موقفها لا نعلم أبدا ... الكثيرون منهم يفضّلون البقاء فى الخفاء"(74).

و للإنتهاء من هذه المسألة ، يجب أن نعود إلى تفحّص أعمق للمشكلة النظرية بصدد طبيعة الدولة الصينية أثناء الإنتقال من الثورة الديمقراطية إلى الثورة الإشتراكية، مسألة " الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية ". فى الفترة التى أطلق فيها ماو لأوّل مرّة هذا الشعار ، مشيرا إلى الدكتاتورية المشتركة للطبقات الأربعة المختلفة (الطبقة العاملة و الفلاحون و البرجوازية الصغيرة المدينية و البرجوازية الوطنية) ، كانت الثورة الصينية لا تزال فى مرحلتها الأولى ، المرحلة الديمقراطية. و بطبيعة الحال ، جميع هذه الطبقات الأربعة كانت لديها بدرجات مختلفة ، مصالح موضوعية فى إنهاء هذه الثورة. و علاوة على ذلك، ميزة من ميزات الثورة الصينية هي أنّ الحرب الطويلة الأمد و وجود قواعد إرتكاز قد **خلق نظامين** يتواجهان. مثلا، خلال الحرب الأهلية الثورية الثالثة (آخر حرب ضد تشان كاي تشاك) كانت قواعد الإرتكاز الشيوعية (التى يعدّ سكّانها 100 مليون نسمة) تواجه المناطق الواقعة تحت سيطرة الكيومنتغ. و بطبيعة الحال ، كان وجود قواعد الإرتكاز يعنى أنّ الحكومة كان بوسعها قمع المعادين للثورة و الإستمرار فى الإصلاح الزراعي ، و إنتاج الغذاء و الكساء لجيش التحرير الشعبي، و تسيير الإقتصاد إلخ. كانت سياسة الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية التى نادى بها ماو قد كرّست عمليّا فى قواعد الإرتكاز أثناء هذه الحرب الأهلية، وكانت الأحزاب السياسية و الأشخاص المأثّرة و القوى الأخرى الممثّلة لكافة الطبقات الأربعة ،ممثّلة فى أجهزة السلطة. و بالنظر إلى مهام الثورة فى المرحلة المعيّنة، من البديهي أنّ هذه السياسة كانت صحيحة.

و عندما تركّزت الجمهورية الشعبية فى 1949 ، كانت بالأساس ذات القوى الطبقية ملتزمة بها ، أي القوى التى تحالفت مع الثورة ضد الإمبريالية و الإقطاعية و الرأسمالية البيروقراطية . وفى نفس الوقت ن كانت مهمّة هذه الحكومة الجديدة (المقادة بوضوح من قبل الطبقة العاملة و حزبها الشيوعي و القائمة على تحالف العمّال و الفلاحين) هو الإبحار الفوري فى الإنتقال إلى الإشتراكية و هكذا منذ البداية ، كانت " الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية" تنطوي على مظهرين متناقضين: من جهة كانت تمثّل إنتصار الثورة الديمقراطية و تتضمّن بالتالى ممثلين عن البرجوازية الوطنية ؛ و من جهة أخرى ، كانت هناك حكومة يقودها ممثلون سياسيون للطبقة العاملة ، طبقة مصمّمة على قيادة الثورة نحو الإشتراكية و القضاء التام على البرجوازية. بالعودة إلى التاريخ ، من الأكيد أنّ المظهر الثاني أي كون النظام الجديد منخرط فى الطريق الإشتراكي هو المظهر الرئيسي و الذى كان يحدّد الطابع الإشتراكي للنظام. بعدُ فى 1956 ، كان ماو يصف النظام فى الصين ي" دكتاتورية البروليتاريا" و ب" الدكتاتورية الديمقراطية الشعبية "، و مذّاك ، صارت الكتابات الصينية تعتبر سنة 1949سنة إنتصار الثورة الديمقراطية على النطاق الوطني ، و سنة تركيز دكتاتورية البروليتاريا.

و على هذا النحو ، نري بالعودة إلى التاريخ ، أنّ النظام المركّز فى 1949 **شكل** من أشكال دكتاتورية البروليتاريا نشكل يعكس طابع المجتمع الصيني و الظروف التاريخية فى التطوّر خلال النضال الديمقراطي.

لقد أبدى لينين فى روسيا ملاحظة جدّ هامة توضّح هذه المسألة . لقد أشار إلى أنّ دكتاتورية البروليتاريا كانت ، فى ظروف روسيا، **شكلا خاصا من التحالف الطبقي** ، أي تحالف الطبقة العاملة و الفلاحين الفقراء ، و فى مجمله شمل هذا الشكل غالبية الشعب. و ليس مفاجئا أن **شكل** تحالف الطبقات فى الصين كوسيلة تمكّن البروليتاريا من المحافظة على سلطتها ، أو بصفة أدقّ دكتاتوريتها ، مختلف عن الشكل الضروري فى الإتحاد السوفياتين نظرا للإختلاف فى الظروف المادية ، التشكيلة الطبقية ، و طريق الثورة فى البلدين. و من الواضح أيضا أنّ التحالف لم يكن جامدا و أنّه مع تحوّل الثورة إلى ثورة إشتراكية ، كان التحالف يتحوّل بدوره و من هنا تصريح ماو الراجع لسنة 1953: " لا يجب من هنا فصاعدا إعتبار البرجوازية الوطنية طبقة وسطى"

و من المهمّ أيضا أن نلاحظ أنّ زمن كتابة ماو مؤلفاته النظرية الرئيسية التى تناولت هذا الموضوع ، لم تكن للبروليتاريا و حزبها الشيوعي تجربة تاريخية فيما يخصّ مهمّة المضيّ بثورة ديمقراطية إلى الإنتصار و على هذا الأساس بناء نظام إجتماعي جديد .كانت هناك تجربة الديمقراطيات الشعبية ، المركّزة فى أوروربا الشرقية (و منها ألبانيا) على قاعدة الإنتصارات الحرزة على حساب الفاشيين ؛ فى الأدب الشيوعي لتلك الحقبة ، هناك تمييز بين دكتاتورية البروليتاريا و هذه الإنتصارات الديمقراطية (التى ، لنقل ذلك بالمناسبة، كانت تحتاج عادة إلى مشاركة عديد الأحزاب فى الحكومة). و مع ذلك و لعدّة أسباب لم يتمّ تقييم هذه التجربة من قبل ماو على الصعيد النظري فى تلك الحقبة ، فضلا عن كون هذا الوضع يتميّز بوضوح عن الوضع فى الصين. إجمالا ، رغم أنّ الوضع التاريخي غير مسبوق ، عالجه ماو بصورة صحيحة و قد أثرى الماركسية- اللينينية و ساهم فى الثورة الشيوعية.

مع كلّ هذا ن قمّة النفاق أن يوحي خوجا أنّ النظام فى الصين ، خاصة منذ التحويل الإشتراكي لنظام الملكية فى 1956، لم يكن يمثّل دكتاتورية البروليتاريا و كافة الأدبيات الصينية المنشوؤة أثناء الثورة الثقافية إلى إنقلاب 1976 ، تثبت بوضوح أنّه حسب ماو و الثوريين الذين كانوا يساندونه ، كانت البروليتاريا هي التى تمارس دكتاتورية شاملة على البرجوازية، دكتاتورية تشمل جميع مجالات الحياة الإجتماعية . و إلى ذلك ، كلّ تجربة الثورة الصينية تبيّن أن ماو قاد البروليتاريا و الجماهير الصينية فى سحق البرجوازية بلا رحمة، سواء المستغلّون القدامى الطامحون دائما إلى العودة إلى السلطة ، أو العناصر البرجوازية الجديدة التى تولد بالذات فى رحم المجتمع الإشتراكي. فى آخر المطاف، يجد خوجا نفسه مضطرّا لتكرار الأغنية القديمة التروتسكية القائلة إنّه لم تشكّل الدولة الصينية دكتاتورية البروليتاريا ، ذاكرا أنّه هناك نجوم على راية الجمهورية الشعبية**!** (75).

و قد تناولنا بالبحث هجمات خوجا ضد تطوّر الثورة الصينية إلى التركيز الجوهري للإقتصاد الإشتراكي فى 1956 و حملة " المائة زهرة " فى السنة التالية ، و قبل المرور إلى نقد الثورة الثقافية و خطّ ماو حول مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا ، لنتوقّف لحظة لنثير سؤالا : لماذا يُركّز خوجا معظم نقده ضد ماو على فترة الثورة الصينية ، محاولا جعل كلّ تفكيره يدور حول ما يدعى من أنّ ماو قد كان " متسامحا " مع المستغِلّين الصينيين القدامى؟

أوّلا، يريد أنور خوجا أن يبقى على أرضية صلبة ، أو بصيغة أدقّ يعتقد أنّها صلبة . بعد كلّ شيء ، تحليل الطبقات و التناقضات الطبقية فى ظلّ الإشتراكية ليس نقطة **قوّته** ،و يرجو إقناع القارئ الساذج بإستنتاجاته الخاصّة الرجعية ملتجأ إلى طريقة تفكير ميكانيكية و دغمائية ،وهو يزوّر التاريخ . أهمّ حتى ، يسعى خوجا إلى الإبتعاد عن نقاش المسألة الجوهرية: كيف يمنع البرجوازية **الجديدة** ، الناشئة فى رحم المجتمع الإشتراكي ذاته من أن تمسك بالسلطة و أنه تعيد تركيز الرأسمالية. لأنّه بالضبط بصدد **هذه** المسألة قام ماو بمساهماته الأهمّ و الألمع فى الماركسية- اللينينية و فى الثورة البروليتارية ، نظريّا و عمليّا. لا يريد خوجا و ليس بوسعه أن يتحدّى مباشرة خطّ ماو. يعلم جيّدا أن بهذا المضمار ، سيكون من الأعسر عليه أن يساند أخطاء ستالين على أنّها القول الفصل فى الماركسية. و فضلا عن ذلك، فإنّه دون شكّ يخشى أن يحيّن الصيغ الإنتقائية و المتداخلة للحزب الألباني بشأن هذه المسائل. و من هنا ، يتمنّى تحويل الإنتباه عن مسألة الثورة الثقافية و الخطّ الذى نجمت عنه ، مركّزا بالأحرى على مسالة المستغِلّين القدامى. و هؤلاء الأخيرين لم يلعبوا إلاّ دورا ثانويّا فى إعادة تركيز الرأسمالية فى الصين.و فى محاولة لمواصلة النقاش على هذا الأساس ، يضع خوجا نفسه فعلا فى نفس خندق التحريفيين الصينيين الذين كانوا هم مهتمين بإثبات أنّ خطر إعادة تركيز الرأسمالية يمكن أن ينشأ من أيّة جهة كانت لكن **ليس من جهتهم**. و فقط فى الوقت الراهن ، أتمّوا إنقلابهم و مع تخلّصهم شيئا فشيئا من قناعهم الماركسي ، سيعيد هواو ودنك الإعتبار لكافة المستغلّين و كافة مجرمي المجتمع القديم و يهلّلون لهم.

===

3- مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا

يعدّ تطوير ماو تسى تونغ لنظرية و ممارسة "مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا" اكبر مساهماته فى علم الماركسية - اللينينية. وهو بالفعل اهمّ تطويراته لهذا العلم. و كلّ ماركسي- لينيني حقيقي إنتهى إلى الإعتراف بهذا أثناء النضال ضد التحريفية

المعاصرة ،و خاصة أثناء الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. و فعلا ن مدح خوجا و الحزب الأباني مساهمة ماو هذه. و يمثّل الإعتراف أو عدم الإعتراف بهذا التطوير للماركسية-اللينينية من قبل لا يزال يمثّل خطّا رئيسيا فى التمييز بين الماركسية - اللينينية من جهة و التحريفية من جهة أخرى. و ن هنا ليس مفاجأ ان يشنّ خوجا هجوما هستيريا و مسعورا ضد الثورة الثقافية بغاية أن ينزع لماو صفته كمعلّم كبير و قائد كلاسيكي ماركسي - لينيني، و لو أنّه لا يجرّأ ابدا على المواجهة المباشرة لنظريّات ماو و التحريفيين الذين ناضلوا جنبا إلى جنب معه بشأن هذه المسألة.

إنّ الخلاصة التي يخرج بها خوجا بصدد الثورة الثقافية تمتاز بكونها سطحية و رجعية فى آن معا:

"لقد أكّد سير الأحداث أنّ الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى لم تكن ثورة و أنّها لم تكن كبرى و لا ثقافية و بالخصوص لم تكن بروليتارية البتّة . إنّها لم تكن سوى إنقلابا داخل القصر على المستوى الصيني من أجل تصفية حفنة من الرجعيين الذين كانوا قد إستولوا على السلطة. و بالطبع كانت الثورة الثقافية مخادعة. إنّها قضت فى نفس الوقت على الحزب الشيوعي الصيني و على التنظيمات الجماهيرية و اغرقت الصين فى فوضى جديدة. لقد قاد هذه الثورة عناصر غير ماركسية (أو بالتحديد الأربعة) الذين بدورهم سوف يقضى عليهم عن طريق إنقلاب عسكري من قبل عناصر أخرى معادية للماركسية و فاشية ". (76)

هذه هي إذن الأطروحة الجوهرية لخوجا (وهي ليست أبدا جديدة) ووفقها لم تكن الثورة الثقافية سوى صراع كتل من أجل السلطة ، أمسك بخيوطها عدد قليل من القادة فى الأجهزة العليا من الحزب الشيوعي ز و تنمّ هذه الأطروحة عن انّ خوجا غير قادر على فهم التطوّر الجديد للمجتمع الإشتراكي و عن أنّه لم يفهم شيئا من الثورة الثقافية و مغزاها التاريخي بالنسبة للعالم بأسره . يحقد خوجا على الثورة الثقافية لأنّها ذهبت تماما ضد فهمه للعالم الميتافيزيقي جوهريا و الذى طبقه الإستقرار و الوحدة و التوافق هي المميزات الرئيسية للعالم وهي تمثّل بالتأكيد أرقى تطلّعات المجتمع الإنساني. إنّها "فوضى" : هذا هو الوصف المحبّذ لدى خوجا حينما يهاجم الثورة الثقافية ،لأنّ فكرة " الفوضى" واقعيّا صراع ضدّين ، صرا طبقات و **الثورة فى حدّ ذاتها** ن يذهبون ضد فهمه للعالم و رؤيته للمستقبل الذى ، مثلما سبق و أن أشرنا إلى ذلك، يشبه اكثر الفهم الديني لل"لجنة" منه للمادية الجدلية. و قبل المرور إلى تفحّص فهمه الميتافيزيقي للعالم (وهو أساس هجومه كلّه عموما ضد ماو). يستحقّ العناء تفحّص "الفوضى" التي وجدها خوجا مقرفة بصورة خاصّة فى الصين ، أي الثورة الثقافية.

خلال الثورة الثقافية ، إقترف ماو أفضع المحرّمات ، حسب الدغماتحريفيين: إطلاق حركة الجماهير الثورية كي تفتكّ السلطة من أيدى قادة الحزب السائرين على الطريق الرأسمالي الذين إستحوذوا على بعض قطاعات سلطة الحزب و الدولة. وفق خوجا، لم يكن ليعارض مهاجمة الأشخاص الذين كانوا أهدافا للثورة الثقافية ، أي القيادة العامة لليوتشاوتشى و دنك سياو بينغ (ومع ذلك، سنرى لاحقا أنّ " معارضة" خوجا لخطّهم خيالية أكثر منها واقعية). لكن إطلاق العنان لعاصفة من النضال الجماهيري على نطاق لم يسبق له مثيل ،و عدم خوض الصراع بواسطة السيرورات المنظّمة للحزب و الدولة و ،بالخصوص التعويل مباشرة على الجماهير (العمّال و الفلاحون و الجنود و الطلبة) هذا أمر مغاير تماما!

و إليكم ما يقوله خوجا بهذا المضمار:

" فى نظرنا ، بإعتبار أنّ هذه الثورة الثقافية لم تقع قيادتها من طرف الحزب ،و إنّما كانت بمثابة إنفجار فوضى ناتج عن نداء وجهه ماو تسى تونغ ، يسقط عنها طابعها الثوري. لقد مكّن نفوذ ما وفى الصين من إثارة ملايين الشبان غير المنظّمين من طلبة و تلاميذ ، إتجهوا نحو بيكين ، نحو لجان الحزب و السلطة و قاموا بحلّها. و كان يقال بأنّ هؤلاء الشبان يمثّلون إذن فى الصين " الإيديولوجية البروليتارية ". و هم الذين سوف يلقنون للحزب و للبروليتاريا الطريق " الصحيح" ! و يواصل أنور خوجة قائلا:" ... لقد كانت هذه الوضعية الخطيرة نتيجة لمفاهيم ماو تسى تونغ القديمة المعادية للماركسية، فهو كان يقلّل من شأن الدور القيادي للبروليتاريا و يبالغ فى تقدير دور الشبيبة فى الثورة.كتب ماو :" ما هو الدور الذى لعبه شباب الصين منذ "4 ماي"؟ لقد لعبوا دورا طليعيّا معيّنا، وهي حقيقة يعترف بها الجميع بإستثناء المتعنّتين. وما معنى الدور الطليعي؟ إنّه يعنى دور المبتدر..."

وهكذا أبقيت الطبقة العاملة جانبا و فى العديد من الحالات وقفت ضد الحرس الأحمر بل وصلت إلى حدّ التصادم معهم. إنّ رفاقنا الذين كانوا وقتئذ فى الصين شاهدوا بأم أعينهم عمّال المصانع يحاربون ضد الشبان. لقد صار الحزب مفكّكا و تمّت تصفيته. و لم يكن فى أي حال من الأحوال حزب الشيوعيين و لا البروليتاريا. لقد كانت هذه الوضعية خطيرة جدّا " (77)

أمر مفزع ! شاهد الرفاق الألبانيون " بأمّ عينهم" عمّالا يتقاتلون مع الطلبة! ليس بوسعنا أن نقارن موقف خوجا إلاّ بموقف آدم عندما أكل من التفّاحة. و من حسن الحظّ أن خوجا لم يذهب بنفسه إلى الصين إبّان الثورة الثقافية لأنّه لربّما كان رأى عمّالا يتقاتلون مع عمّال آخرين فيسقط ميتا على الفور! و حاليّا يجب أن نعترف بأنّه ليس بوسعنا تفسير الأمر المدهش ألا وهو أنّ ينطق خوجا بهكذا سخافات ،حتى بعد أن عاش هو ذاته تجربة ثورة!

يعلم الجميع أنّه إبّان الثورة الثقافية ،جرى حلّ لجان الحزب و أنّ سلسلة القيادة العادية لم تعد تشتغل عمليّا إلخ، و هذه الأمور على الدوام كانت جزء من اللازمة المضجرة للتحريفيين السوفيات، الذين يؤكّدون عليها لكي يدّعوا " إثبات " أنّ ماو كان " مثاليّا " و " يسراويّا متطرّفا " (و نصوص وانغ مينغ ، المكتوبة فى موسكو ، حيث أنهى حياته كمادح للتحريفية السوفياتية ، مرّة أخرى معبّرة جدّا: و ننصح ورثته بتقديم قضيّة ضد خوجا لسرقاته الأدبية!). أمّا بالنسبة للتحريفيين السوفيات ، بيسر يمكن أن نفهم لماذا لا يريدون الحديث عن **طبيعة** لجان الحزب التي وقع حلّها ،و عن **الخطّ** الذى كانوا يتبعونه إلخ ، لكن كنّا نتوقّع شيئا أفضل من قبل خوجا. و مع ذلك ، لا يتحدّث إلاّ عن **الشكل** و ليس عن مضمون لجان الحزب.و بما أنّنا نعلم جيّدا مضمون هذه اللجان و الخطّ الذى كانت تتبعه، فإنّ هذا يدفعنا إلى الشكّ رغم إحتجاجات خوجا ، فى أنّه عمليّا بيروقرطيو الحزب المتحالفين مع ليوتشاوتشى هم الذين يعتبرهم خوجا شيوعيين " لم يعر لهم أدنى إنتباه".

إنّ الوضع الذى كان ماو يواجهه فى بداية الثورة الثقافية (1966) جلي للغاية: نجحت القيادة العامّة التحريفية فى صفوف الحزب ، بقيادة ليوتشاوتشى ، فى الإستيلاء على السلطة فى عديد الصناعات و المدن و المحافظات الهامّة. حينها، كان دنك سياو بينغ السكرتير العام للحزب ،ووكان عندئذ يتحكّم بقوّة بسلسلة القيادة. و كانت التحريفية تهيمن على الجبهة الثقافية التعليمية. و كان الخطّ التحريفي منتشرا فى صفوف عديد مديري المصانع إلخ. فكان هذا الوضع يخوّل للقيادة العامّة للبرجوازية أن تعارض الخطّ الثوري لماو ، و أن توقف بشدّة تعلّم الجماهير للماركسية - اللينينية ،و أن تستخدم إلى درجة كبيرة هيكلة الحزب فى مجال التنظيم لتقمع الجماهير و تتحكّم فيها. (سنعالج لاحقا أنّ هذا الوضع لا ينجم عن " أخطاء" ماوأو " ليبراليته ") . و هكذا بمستطاعنا أن نقدّر مدى قوّة القيادة العامة التحريفية بدراسة الوثائق و السياسة المهيمنين صلب الحزب الصيني فى تلك الحقبة،و كذلك مدى قدرة القيادة العامّة على المحافظة على درجة من القوّة حتى بعد تعرّضها إلى هزائم خطيرة نوعا ما خلال الثورة الثقافية. ذلك أنّه قبل كلّ شيئ القيادة العامّة لليوتشاوتشى (و دنك وريثها الشرعي) ، بمعيّة جزء من البيروقراطية الموالية لشو آن لاي ،هي التي لعبت دورا رئيسيا فى الإنقلاب المعادي للثورة فى 1976. و القوّة الحقيقية لهذه الطبقة نستشفّها من شدّة الهجوم المنظّم من قبل المسؤولين أتباع الطريق الرأسمالي ضد جميع مكاسب الثورة ، و بالسرعة التي بها يعيدون حاليّا تركيز النظام الرأسمالي.و الإدعاء بأنّ هذه القوّة كان بالإمكان القضاء عليها ببساطة بتحوير فى الأجهزة القيادية للحزب و بإصدار بعض التوجيهات ، يكون مضحكا إن لم يكن ‘جراميّا ، لا سيما فى علاقة بما حصل فى الصين. و كذلك يبرز **برنامج** القادة التحريفيين الصينيين الحاليين الطبيعة الحقيقية لمن كانوا أعداء ماو و اليسار الثوري: ما كان الأمر متعلّقا بنزاع لاسياسي بين "كتل" بل بصراع **طبقي** لتقرير أي خطّ و أي طريق، الخطّ و الطريق البرجوازية أم البروليتاريا، ستتبعه الصين.

يبدو أنّ نصائح خوجا للثوريين فى الصين مشابهة أساسا للازمة الإنتهازية لزمن ماركس بشأن كمونة باريس ،و تصريح بليخانوف بشأن ثورة 1905: " ماكان عليهم رفع السلاح " . بالطبيعة لم تكن المسألة، مسألة معرفة هل أنّه يجب أم لا خوض نضال مسلّح ،لكن بالأحرى هل أنّه يجب القيام بـ**ثورة** حقيقية ، تمرّد سياسي هدفه القادة الرئيسيين للحزب، أتباع الطريق الرأسمالي. و بالرغم من أنّه كانت للثورة الثقافية خصوصياتها ، بما أنّها أنجزت فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا، فإنّه مع ذلك صحيح أنّها مثلها فى ذلك مثل كلّ ثورة، ما كانت لتتقدّم إلاّ عبر نضال إعصاري. بالضرورة كانت ستتضمّن تيارات مضادة مشاركة قطاعات شتّى من الجماهير الثورية ستجلب معها أفكارها المسبّقة و حدودها الخاصين؛ وجهات نظر و برامج متناقضة. ككلّ ثورة ، كانت ستفرز مقاومة شرسة ومصمّمة ،ليس فقط من قبل من كانوا أهدافا لهذه الثورة (و الذين لا يمثّلون إلاّ نسبة مائوية ضئيلة من المجتمع الصيني و من الحزب) و لكن **أيضا** من قبل بعض قطاعات الجماهير ، **و منها عديد العمّال** الذين يمكن أن يستنهضوا إلى درجة معيّنة و فى لحظات دقيقة لتكون قاعدة إجتماعية للرجعيين و لحركتهم. و هذا ليس ببساطة خاصية للثورة الثقافية و إنّما هو يمثّل قانونا للصراع الطبقي و للثورة عموما. و من المفيد هنا أن نذكّر بالتعليق الشهير للينيني حول إنتفاضة " عيد الفصح" للشعب الإيرلندي ، سنة 1916.و كان هذا التعليق موجّه للذين يستعملون ما يدّعون أنّه " ماركسية " للسخرية من هذا التمرّد البطولي و الإستخفاف به و تشويهه،و نعتهم له " لا يمكن الحديث عن " إنقلاب" بالمعنى العلمي للكلمة، إلاّ حين تقتصر محاولة الإنتفاض على حلقة ضيقة من المتآمرين أو من المهووسين الحمقى ،و لا تستثير أي عطف بين الجماهير . و لكن الحركة القومية الإرلندية التي قامت منذ قرون و التي مرّت بمختلف المراحل و خبرت أشكالا متنوّعة من إجتماع المصالح الطبقية ، قد تجسّدت ، فيما تجسدت، بمؤتمر وطني إرلندي جماهيري، إنعقد فى أمريكا... نادي بإستقلال إرلندة ، كما تجسدت بمعارك فى الشوارع خاضها فريق من البرجوازية الصغيرة فى المدن و **فريق من العمّال** ، بعد دعاية جماهيرية طويلة الأمد،و مظاهرات ،و تعطيل للصحف. إلخ ..و لذا ، كان من ينعت **مثل هذه** الإنتفاضة بالفتنة، إمّا رجعيّا من شرّ الرجعيين ، و إمّا عقائديّا متحجّرا يعجز إطلاقا عن تصوّر الثورة الإجتماعية ظاهرة حيّة.

ذلك لأنّ التفكير بأنّ الثورة الإجتماعية **ممكنة** دون إنتفاضات تقوم بها الأمم الصغيرة فى المستعمرات و فى أوروبا ، دون إنفجارات ثورية يفجرها قسم من البرجوازية الصغيرة **رغم كلّ أوهامها و خرافاتها** ، دون حركة تبعثها الجماهير البروليتارية و شبه البروليتارية اللاواعية ضد الإضطهاد الإقطاعية و الأكليروسي و الملكي و القومي ، إلخ – لأنّ التفكر على هذا النحو يعنى **إنكار الثورة الإجتماعية** . فكأنّنا نتصور جيشا يقف فى مكان و يقول : " أنا مع الإشتراكية " و جيشا آخر يقف فى مكان آخر و يقول :" أنا

مع الإمبريالية " ، و إذا نحن نهتف: هذه هي الثورة الإجتماعية ! بمثل وجهة النظر هذه الدعية المضحكة فقط كان يمكن تحقير الإنتفاضة الإرلندية و نعتها ب " الإنقلاب".

و من ينتظر ثورة إجتماعية " خالصة" لن يرها **أبدا**. هو ثوري قولا ،و لا يدرك ما هي الثورة الحقيقية."(78)

توجّه كلمات لينين هذه ضربة قويّة للخطّ الدغماتحريفي لأنور خوجا، وهو الخطّ الذى قاد هذا الأخير إلى تشويه **التمرّد الثوري الأكثر جماهيرية و الأطول زمنيّا و الأوعى طبقيّا فى تاريخ العالم،** قائلا إنّه لم يكن سوى " إنقلاب قصر على المستوى الصيني".

ولنعالج بصفة أعمق ما يقوله خوجا عن مسألة الشباب و الدور الذى يمكنه أن ينهض به ك**قوّة مبادرة** فى الثورة. إنّه يندّد بالثورة الثقافية لأنّ " آلاف الشباب غير المنظّمين من الطلبة و التلاميذ" نهضوا لغزو بيكين .حسب رأي خوجا ، الأساس النظري لهذا " الخطإ " يكمن فى النصّ الشهير لماو " توجه حركة الشباب" أين تجرّا ماو على قول إنّ الشباب أخذ ينهض "نوعا ما " بدور الطليعة الذى يحدّده على النحو التالي: " الدور المبتدر، السير فى مقدّمة الصفوف الثورية " (79).

مجدّدا ينبغى أن نقرّ بأنّ ماو و ليس خوجا على حقّ ز أوّلا إضطلع الشباب الصيني " نوعا ما " بدور الطليعة فى حركة 4 ماي فى الصين و فى ما بعد ذلكز و هذا واقع لا يمكن دحضه ، يعترف به كلّ من يهتمّ و لو قليلا بأن يكون التاريخ متطابقا مع الواقع. و كذلك لا جدال فى أنّنا إستطعنا عبر التاريخ أن نلاحظ فى عديد المرّات التجربة التاريخية لشباب " ينهض بدور طليعي" و يمضى " فى الصفوف الأولى للثورة ". واليوم نشاهد بأعيننا هذه الظاهرة فى إيران. الشباب بمن فيهم الطلبة و المثقفون الشباب ، وضعوا أنفسهم فى الصفوف الأولى لهذه الحركة العتيّة ، مساهمين فى إيقاض الجماهير الشعبية العريضة و البروليتاريا فى إيران و مضحّين بحياتهم فى خضمّ النضال المسلّح. و بالفعل ، من العسير أن نتصوّر تطوّرا ثوريّا هاما و له دلالته حقّا حيث لم يجر الأمر على هذه الصورة.

لكن بالنسبة لخوجا، يمثّل الدور الديناميكي للشباب ، أي جرأتهم و إرادتهم تحطيم العالم القديم إلخ ، بالثورة خطرا أكثر منه ميزة ، شيئا تجب مهاجمته و خنقه، إلاّ إذا تمكّنت الطبقة العاملة و حزبها من " جرّ" الشباب (وهنا يقصد حقيقة التحكّم فيه) .(و كذلك فى ما يخصّ مسألة الفلاحين ، المسألة ليست مسألة معرفة هل أنّ الشباب سيتمرّد ، و إنّما هي مسألة هل يجب **قيادة** أم **خنق** مبادرة هذا الشباب).

ما معنى ان " تقود " الطبقة العاملة و حزبها الشباب؟ بالنسبة لخوجا، هذا يعنى أنّه على الشباب أن يتبع بسلبية **خطوات** الطبقة العاملة، و بالله عليكم ! لنستبعد أصلا فكرة أن يقدر الشباب على لعب دور الطليعة، مهما كان، دور قياديا فى تعبئة الجماهير الشعبية العريضة و تنظيمها.

طبعا ، كان ماو واضحا للغايةحول أن ، بمعنى جوهري، الطبقة العاملة هي التي يجب أن تقود الثورة. فى نصّ نشر بنفس مناسبة النصّ الذى إستشهد به خوجا ، أوضح ماو العلاقات الطبقية الجوهرية: (نستشهد بمقال " حركة 4 ماي" وهو مقال نُشر مع خطاب " توجّه حركة الشباب " ، بمناسبة الذكرى العشرين لحركة 4 ماي نسنة 1939.)

" إنّ إنجاز الثورة الديمقراطية فى الصين يعتمد على قوى إجتماعية معيّنة ، وهي الطبقة العاملة ،و طبقة الفلاحين،و الأوساط الثقافية،و القسم التقدّمي من البرجوازية ، أو بعبارة أخرى ، الثوريون من العمّال و الفلاحين و الجنود و المثقّفين و رجال التجارة و الصناعة،مع كون العمّال و الفلاحين يشكلون القوى الثورية الأساسية ، و مع كون الطبقة العاملة هي الطبقة التي تقود الثورة. و لا يمكن إنجاز الثورة الديمقراطية ضد الإمبريالية و الإقطاعية بدون هذه القوى الثورية الأساسية ، و بدون قيادة الطبقة العاملة. "(80)

لكن من هذه النقطة فصاعدا ، يمضى ماو و خوجا فى طرق متباينة جدّا. لأنّه حتى و إن كنّا متفقين على كونه ينبغى أن توجد " قيادة الطبقة العاملة " (ما يعنى ، قبل كلّ شيئ، قيادة **حزب** الطبقة العاملة،و أيضا خطّ الطبقة العاملة، الماركسية - اللينينية) ، تبقى مطروحة للمعالجة مسألة : ما هو **مضمون** هذه القيادة ، ما الهدف الذى ترنو تحقيقه و فى أي إتجاه ستقود الشباب؟

برمّته مقال ماو " توجّه حركة الشباب " ، "المذكور" أعلاه من قبل خوجا ، يهدف بالذات (مثلما يدلّ عليه حتى عنوانه) لتقديم **القيادة** و **التوجّه** للشباب.

" لابدّ لشبابنا المثقفين و الطلاّب أن يذهبوا إلى جماهير العمّال و الفلاحين التي تشكّل التسعين فى المائة من سكّان البلاد ليعبّئوها و ينظموها.و لا يمكننا ان ننتصر على الإمبريالية و الإقطاعية بالإعتماد على ذلك الجيش من الشباب المثقفين و الطلاّب فقط من دون هذه القوّة الرئيسية من العمال و الفلاحين. و لذا ، فلا بدّ للشباب المثقفين و الطلاب فى مختلف أرجاء البلاد أن يلتحموا بجماهير العمال و الفلاحين الغفيرة حتى يؤلفوا معها كلا واحدا ، و عندئذ فقط يمكن خلق جيش قويّ ، جيش مؤلف من مئات الملايين !(81)

لقد لفت ماو النظر إلى " لقد كان المثقفون أوّل من إستيقظوا فى الحركة الثورية الديمقراطية فى الصين . ...بيد أنّ المثقّفين لن ينجزوا أي شيئ إذا لم يلتحموا بجماهير العمّال و الفلاحين ." (82) وهكذا يقدّم ماو تحليلا صحيحا و جدليّا بشأن العلاقة بين كون المثقّفين ، لا سيما الطلبة ن يمثّلون عادة القوّة الأولى فى التمرّد فى حركة ثورية و ينهضون بدور ضروري فى علاقة بالجماهير الشعبية من أجل " إستنهاضها و تنظيمها" ، و كون فقط بالإرتباط بالعمّال و الفلاحين، يستطيع المثقّفون التوصّل إلى المساهمة الحقيقية فى السيرورة الثورية. و مثلما يشير إلى ذلك عديد المرّات فى مؤلفات ، بالعمل على هذا النحو فحسب يتوصّل الشباب إلى تغيير فهمهم للعالم و إلى أن يصبحوا ماركسيين حقيقيين.

هذا هو مثال لما يعنيه **حقّا** تقديم قيادة. و لا علاقة له مع فكرة خوجا حول أن يفرض على حركة الشباب أن تمشي بهدوء و خلف العمّال. تتطلّب قيادة ماركسية- لينينية حقيقية للثورة أن نعرف كيف نتقدّم بالعوامل الثورية و نطلق لها العنان، و فى نفس الوقت تقديم القيادة و التوجه الصحيحين للحركة فى شموليتها و فى مظاهرها الخاصّة. لا تسعى القيادة الحقيقية لا إلى تجاوز و لا إلى محو التناقضات بين مختلف فئات الجماهير (و أدوارها المتناقضة) بل تعترف بهذه التناقضات و **تستخدمها** للتقدّم بالثورة. و يشبه فهم أنور خوجا هذا بالأحرى مفهوم لين بياو (" كلّ شيئ تحت إمرتى و كلّ شيئ بين يدي") منه طريقة القيادة التي مارسها ماو.

إنّ الذين ينقدون ماو على أنّه أقرّ بأنذه غالبا ما تنهض الشباب بنوع من الدور الطليعي خلال النضال الثوري و إستعمل ذلك ، هم أنفسهم لم يستطيعوا بتاتا و بلا رجعة تجاوز فكرة ،كما وصفها لينين، أنّه يجب أن نترقّب أن يظهر جيشين ، بمظاهر تامة التشكّل ، بكلّ وضوح و كلٌ بيافطته الخاصّة.أمّا بالنسبة للذين يودّون تعطيل إستنهاض بعض فئات الجماهير الثورية و حتى بعض الفئات العمّالية، لترقّب يوم نهوض العمّال فى وحدة صمّاء (يوم إذا أخذناه على هذا النحو، لن يأتي أبدا)، فإنهم مقرّون العزم على عدم رؤية ثورة مطلقا ، أو إنّه ليست لديهم أدنى فكرة عن ما يمثّله النضال الثوري. لأنّه طالما وجدت طبقات ، لن يأتي اليوم حيث لن تكون الطبقة العاملة منقسمة إلى قطاعات مختلفة، ذات أحاسيس و خطوط إمّا ثورية و إمّا غير ثورية، و إمّا **معادية للثورة** حتى. و ستفضى هذه الإنقسامات إلى نزاعات إيديولوجية ، سياسية و نعم ،حتّى أحيانا نزاعات جسدية) بين بعض **فئات** العمّال و فئات أخرى من الجماهير الشعبية.

و بفضل فهمه لهذا الأمر ، إستطاع ماو ، فى بداية الثورة الثقافية ، ان يعوّل إلى درجة كبيرة على مبادرة الشباب و الطلبة و جراتهم ، لا **لتعويض** الطبقة العاملة و إنّما للمساهمة فى إيقاضها و إستنهاضها فى الصراع الكبير.

لا بدّ و أنّ أنور خوجا يعرف جيّدا تفكير ما و بهذا الصدد ،بحكم أنّ ماو قد شرحه بطريقة مقتضبة جدّا للبعثة الألبانية للصين ، سنة 1967:

"أطلق المثقفون حركة "4 ماي" ،ما يبيّن حسهم و نظرتهم التنبّئية. و مع ذلك ، علينا أن نعوّل على أسياد العصر، أي العمّال و الفلاحين و الجنود ، بم هي قوى رئيسية لمواصلة الثورة إلى النهاية، ثورة من نوع البعثة إلى الشمال أو المسيرة الكبرى... ورغم أنّ المثقفين و الجماهير الواسعة للشباب الطلابي هم الذين أطلقوا نقد الخطّ البرجوازي الرجعي ، على عاتق أسياد العصر ،على الجماهير العريضة من العمّال و الفلاحين و الجنود كقوّة رئيسية فى مواصلة الثورة حتى نهايتها...لقد كان المثقفون على الدوام قادرين على تغيير سريع لرؤيتهم للأشياء ، لكن نظرا لحدودهم الغريزية و لكونهم يفتقدون إلى طابع ثوري تماما ، يكونون أحيانا إنتهازيين" (83).

من الواضح إذن أنّه على مستوى النظرية (وكذلك الممارسة) كان ماو يعتبر أن دور الطلبة فى الصين دور مبادرين رئيسيّا. و قد عرف جيّدا نقاط ضعفهم ، لا سيما التوجهات نحو الفوضوية و نحو " التطرّف اليسراوي" ، و كذلك أحيانا نحو الفكر المحافظ ، و عرف أيضا أنّه يصعب عليهم الإلتحام بالصفوف الثورية لمواصلة النضال حتى النصر. دون الدور المبادر للطلبة و خاصة للحرس الأحمر البطولي ، كانت التحريفية ستنتصر قبل ذلك بكثير فى الصين و لم تكن الثورة الثقافية لتندلع بتاتا؛و إن لم يصبح العمّال القوّة الرئيسية و القيادية للثورة الثقافية ، فإنّ الإنتصارات الأولى كانت ستتحوّل إلى هزائم ما و كانت المكاسب الكبرى للثورة الثقافية لتتحقّق ،و بالتأكيد ،ما كانت لتتعزّز و كان هذا سيسمح للتحريفية بالظفر مبكّرا فى الصين.

يودّ خوجا تجاهل دور الطبقة العاملة فى الثورة الثقافية لأنّه إن لم يفعل ذلك لن تصمد الأوهام التي يسعى لجعل الثوريين فى العالم يبتلعونها . لكن من الذى يشكّل فى الواقع ، القوّة المحرّكة لثورة جانفي فى شنغاي ، وهي التمرّد الذى يمثّل المثال الأوّل و النموذجي ل "حلّ " الجماهير الشعبية للجنة الحزب الرجعية ؟

لمن يملك أدنى معرفة بالأحداث فى الصين ،من الأكيد أنّها تنظيمات العمّال الثوريين بشنغاي، بقيادة تشانغ تشن- كياو و ياو وان-يوان ووانغ هون- وان (وكلّهم أعضاء " مجموعة الأربعة " التي يقع الآن تشويهها فى الصين) هي التي أنجزت هذا التمرّد المهمّ للغاية. و بعد ذلك ، حدثت تمرّدات مشابهة فى المدينة تلو الأخرى. و حين صار بديهيّا أن بعض القطاعات من الحرس الأحمر لم تكن قادرة على مواصلة الثورة لوحدها و أنّ دورها المبادر أخذ يتحوّل إلى نقيضه ، ماذا حدث؟ مثلما نعلم ، أصدر ماو توجيهه

الشهير: " على الطبقة العاملة أن تمارس قيادتها فى كلّ شيئ" ما نجم عنه زحف عشرات الآلاف من العمّال على الجامعات حيث بقوا فيها و إتحدوا مع الطلبة و الأساتذة و الكوادر الثورية لإنجاز أعظم التغييرات الثورية التي لم يشهد لها مثيل سابقا فى العالم على جبهة التعليم. و كافة هذه المكاسب لا جدال فيها ، مهما كان رأي أنور خوجا فيها.

وفى الختام ، بشأن مسألة قيادة الحزب أثناء الثورة الثقافية نؤكّد أنّ الثورة الثقافية كانت واقعيّا تحت قيادة الحزب بالشكل الصحيح الوحيد بإعتبار الظروف الملموسة التي كانت سائدة حينها. كانت تحت قيادة **الخطّ القائد** للحزب و للجنة المركزية ، خطّ رئيسها،ماو تسى تونغ. لقد تمّت المصادقة على التوجه العام للثورة الثقافية بأغلبية ضئيلة داخل اللجنة المركزية سنة 1966،و المجموعة المسؤولية عن الثورة الثقافية كانت تقودها.(84) قال ماو عينه إنّه كان عليه أن "ينتظر اللحظة المناسبة للحصول على الأغلبية فى اللجنة المركزية للإبحار فى الثورة الثقافية ". لكن على عكس خوجا ، لا نأسّس رأينا بصدد الثورة الثقافية على كونها كانت أم لم تكن متجانسة مع الممارسة المعتادة فى خوض النضال صلب الأحزاب اللينينية. يمكننا أن نؤكّد دون شكّ أنّه حتى إذا (أو بالأصحّ خاصة إذا) عارض غالبية اللجنة المركزية الثورة الثقافية (وهو ما كان سيعنى أنّ اللجنة المركزية صارت بيدي التحريفيين) كان من واجب و مسؤولية ماو أن يدعو الجماهير ، داخل الحزب و خارجه، إلى التمرّد ضد اللجنة المركزية.

و نودّ أن نطرح السؤال التالى على خوجا : ماذا **ينبغى** أن يفعل الشيوعيون الحقيقيون عامّة ، عندما تكون إمكانية إنتصار التحريفية داهمة ؟ و ما الموقف الذى يترتّب أن يتخذه الشيوعيون الحقيقيون و الجماهير الثورية لو حدث هكذا إستيلاء تحريفي على السلطة ؟ هل كان خوجا سيكون موافقا لو انّ الطبقة العاملة فى الإتحاد السوفياتي إنتفضت بعد " الخطاب السرّي" لخروتشاف و قلبته؟ أم هل أنّه على الماركسيين - اللينينيين الحقيقيين فى قيادة الحزب السوفياتي جمعوا غالبية بسيطة فى اللجنة المركزية لشنّ ثورة ثقافية بالضبط قبل الإنقلاب ؟ و إذا لم تكن غالبية الطبقة العاملة بعدّ واعية بالخطر الداهم للتحريفية ، هل يصبح بالتالى من الجائز أن يستند قادة الحزب على الطلبة للشروع فى النضال الثوري، ام هل من الأفضل قمعهم و خنقهم بإسم "هيمنة البروليتاريا"**!؟** دون أدنى شكّ يؤدّى خطّ خوجا إلى إستنتاج وحيد: لم يكن على الثوريين حمل السلاح (و لا حتى خوض صراع سياسي سلمي نسبيّا).

و بالطبع ، يخفى خوجا منطقه وراء غطاء أنّه المدافع الكبير عن الماركسية- اللينينية ؛ و مع ذلك بتشديده على وضع **الشكل** (" الضوابط اللينينية ") فى المصاف الأوّل قبل **المضمون** (الطبقة التي تخدمها هذه الأشكال). فإنّ طرق تفكير خوجا تشبه أكثر الأكاذيب المصطنعة فى البلدان الديمقراطية البرجوازية حول " الديمقراطية" أكثر منها لتعاليم الثورية لماركس و إنجلز و لينين و ستالين. هذه مرّة أخرى الممارسة التي كان لينين يمقتها منتهى المقت: فهم الماركسية بالمعنى السطحي للإنكار الفعلي لروحها الجوهرية **!**

فى آخر المطاف ، يعارض خوجا الثورة الثقافية و خطّ ماو تسى تونغ لأنّه **يفضّل** خطّ الذين أطاحت بهم الثورة**!**رغم أنّه يصدر بتلكؤ بعض النقد ضد ليوتشاوتشى و دنك سياو بينغ ، لا وجود عمليّا لأي محتوى فى نقده لليو ، بينما يقتصر نقده لخطّ هواو و دنك سياو بينغ على نقاش " إستراتيجيا العوالم الثلاثة " لا غير. سنرى لاحقا أنّ خطّ خوجا فى ما يخصّ طبيعة الإشتراكية و الصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية،هو فى الأساس **نفس** الخطّ التحريفي الذى نشره ليو و دنك ، بإستثناء كونه متخفى وراء غطاء سميك من الدغماتحريفية.

فى الواقع ، يشكو خوجا كثيرا من وضع قناع على مواقفه الحقيقية. فمنطق الكتاب ذاته يجرّ القارئ إلى إستنتاج أنّه كان من الأفضل لو إنتصرت قوى ليوتشاوتشى (أو قوى أخرى تساند التحريفية السوفياتية). لئن كان فكر ماو تسى تونغ منذ 1935 لونا من ألوان التحريفية ،ألا يتعيّن أن نساند الذين عارضوه بإستمرار ؟ يدعى خوجا أنّ الحزب فى مجمله لم يكن **أبدا** ماركسيّا ،و أنّ لا مجموعة من مختلف المجموعات فى قيادة الحزب كانت ثورية (على الأقلّ فى العقد الأخير: طبعا ، حال وانغ مينغ ،أمر آخر تماما**!**). لماذا يبدو أنّ خوجا يهتمّ بكون الثورة الثقافية " قد قضت على الحزب الشيوعي الصيني و التنظيمات الجماهيرية "؟ لو كان فعلا من الصحيح أنّ " قيادة الحزب الشيوعي الصيني ليست متشكّلة من ثوّار ماركسيين- لينينيين (85) ماذا يهمّنا إن جرى القضاء علي الحزب**!؟**

لكن المسألة هي أنّ خوجا منشغل حقّا بهذا " القضاء" إذ يصرّح بأنّ " المنظّمات الجماهيرية جرى القضاء عليها" . إلاّ أنذه لا يهتمّ بالقضاء على **أيّة** منظّمات جماهيرية ،لأنّه ،فى نهاية المطاف ،فقط غبيّ سينكر أنّ الثورة الثقافية قد اوجدت سيلا من المنظّمات الجماهيرية **الجديدة :** فى المراحل الأولى وجد الحرس الأحمر و مجموعات العمّال المتمرّدين إلخ وفى ما بعد ن ادّت الثورة إلى إعادة تشكيل معتمدة على قيادة خطّ ماو و اليسار. ومن الواضح إذا أنّ خوجا لا يهتمّ إلاّ بكون المنظّمات الجماهيرية التي كانت **تحت هيمنة خطّ ليوتشاوتشى** (مثل رابطة الشباب الشيوعي) قد لحقت بها الهزيمة ، وبينما يساند هذه الأخيرة ، يندّد خوجا بشراسة بالمنظمات الجماهيرية **الثورية** التي تأسست فى خضمّ الصراع.

و علاوة على ذلك ، إن كان المشكل الرئيسي للحزب الشيوعي الصيني هو إبتعاده عن "الماركسية – اللينينية " فى الثورة و فى البناء الإشتراكي ما يعنى ، وفق خوجا، الإبتعاد عن تجربة و طرق الإتحاد السوفياتي) ألا يجب أن نساند المسؤولين صلب الحزب

الصيني الذين ناضلوا لتطريس هذه المبادئ " اللينينية " فى الصين؟ ميزة قراءة النسخة الأصلية لكتابات وانغ مينغ (عوض السرقات الأدبية التي يرتكبها خوجا) ،هو أنّ وانغ لا يبحث حتّى عن **إخفاء** سياسته مثلما يفعل خوجا. يدّعى وانغ مينغ بصراحة بأنّ " الأممين الحقيقيين " فى الحزب الشيوعي يشملون ليوتشاوتشى سيّئ الصيت،و كذلك سلسلة أخرى من الخونة الآخرين الذين هم الآن بصدد إعادتهم إلى السلطة أو جرت إعادة الإعتبار لهم من قبل دنك سياو بينغ .(86) و الفتنام الذى يهلّل له خوجا أكثر فأكثر حتى وهو يقع تحت الجناح السوفياتي ، يعتقد هو كذلك أنّ ليوتشاوتشى و دنك سياوبينغ هم الماركسيون - اللينينيون الحقيقيون فى الصين .(87)

إنّ نقد خوجا للثورة الثقافية ينبع من كونه غير قادر على فهم طبيعة الإشتراكية ، من فهمه الميتافيزيقي للعالم و من براغماتيته. خلال " العرض" الذى يقدّمه عن **التغيّر** الدرامي و التراجيدي فى خطّ الحزب الألباني تجاه ماو و الثورة الثقافية ، يكشف خوجا، دون قصد، الجوهر البراغماتي الذى قاد هذا الحزب إلى إعادة تقييمه لفكر ماو تسى تونغ إذ يؤكّد:

" آخذا بعين الإعتبار الممارسات السابقة غير الواضحة [للصينيين] و ذلك الممارسات التي لاحظنا أثناء الثورة الثقافية ، و لكن بالخصوص الأحداث التي وقعت منذ هذه الثورة الثقافية ، و الصعود المتتالي لمجموعات مختلفة إلى القيادة ، اليوم جموعة لين بياو و فى الغد مجموعة دنك سياوبينغ أو مجموعة المسمّى هواو كوفينغ إلخ وجد حزبنا نفسه مضطرّا للمعالجة الأعمق لنظرة و أعمالماو تسى تونغ و الحزب الشيوعي الصيني ، و لتكوين فكرة أشمل عن " فكر ماو تسى تونغ". (88)

وبعد بضعة فقرات ، يسرترسل قائلا:

" إنّ التطوّر الفوضوي للثورة الثقافية و نتائجها ساهما فى تأكيد رأينا ،الذى لم يكن بعدُ قد إتضح تمام الوضوح، بأنّ الماركسية - اللينينية فى الصين كانت غير معروفة و أنّها لم تكن مطبّقة فيها و انّ ،فى الأساس، مفاهيم الحزب الشيوعي الصيني و مفاهيم ماو تسى تونغ لم تكن ماركسية – لينينية " (89)

و هكذا ، فى تقييمنا لفكر ماو تسى تونغ ، يكشف خوجا بجلاء وجهة نظره و توزجهه الجوهريين.

يبدو جليّا أنّ " نتائج " إنقلاب 1976 بالصين لم تعجب خوجا و لم تعجبه على وجه الخصوص السياسة الإستسلامية لهواو كوفنغ، سياسة تحالف رجعي مع الإمبريالية الأمريكية بإسم إستراتيجيا " العوالم الثلاثة ". إعتبارا لأخطائه هو و نظرته العامة ، لا يمكن لخوجا تحليل أحداث الصين إنطلاقا من الصراع الطبقي و خاصّة إنطلاقا من الصراع بين الخطّ التحريفي كلّيا لهواو و دنك و الخطّ الثوري لماو تسى تونغ و الأربعة الذين ناضلوا جنبا إلى جنب مع ماو. و عوض أن يمسك بالمهمّة التي فرضها التاريخ أي مهمّة خوض الدفاع عن مكتسبات الثورة الصينية و مساهمات ماو ، إختار خوجا ان ينطلق من " نتائج" الصراع الطبقي فى الصين (" نتائج" ينظر إليها وفق أضيق المفاهيم و أكثرها محدودية) ؛ و من هناك يسعى للعودة صعدا محاولا إكتشاف أسس هذه الأخطاء فى الخطّ و النشاطات الماركسية – اللينينية . (90)

إن هُزم هؤلاء فإنّهم مخطؤون: هذه بإختصار نقطة إنطلاق خوجا. و بما أنّ خوجا لا يفهم بطريقة صحيحة ديناميكية الثورة و خاصّة قوانين تطوّر الإشتراكية ، **ليس بإمكانه** أن يستوعب أنّ التحريفيين قادرون على الإنتصار دون أن تكون أخطاء ما من قبل الثوريين هي السبب **الرئيسي** (رغم أنّ ما من أحد ينكر أن ترتكب عدّة أخطاء حتما)، و إنّما السبب هو **ميزان القوى النسبي للطبقات المتصارعة**.

(يتساءل القارئ ربّما ، إن كان الأمر كذلك، كيف يمكن لخوجا الدّفاع عن ستالين دون أيّ نقد بإعتبار أنّ التحريفية إنتصرت بُعيد وفاة هذا الأخير؟ فعلا يمثّل هذا تناقضا فى الخطّ الألباني يحاولون وسعهم تجنّب مواجهته. وما هو أكثر إثارة للإنتباه فى الكتابات الألبانية المتعلّقة بهذا الموضوع هو سطحيتها و عدم قدرتها على إعطاء تفسير صحيح لإنتصار التحريفية فى الإتحاد السوفياتي.)

لسوء الحظّ ، أثّر هذا المنطق فى طريقة تفكير بعض الماركسيين - اللينينيين الذين مع دفاعهم عن مساهمات ماو ، يتخذون كنقطة إنطلاق فكرة أنّه إذا إنتصرت التحريفية فى الصين فيجب البحث عن **أسباب** هذه الهزيمة فى أخطاء الثوريين. مثل هذا التفكير ، على الأقلّ من قبل خوجا، يعنى أنّ إعادة تركيز الرأسمالية ليست **ممكنة** أبدا طالما انّ الحزب يبقى " يقضا " ، بمعنى لا يتوانى عن أن يمنع أن تظهر داخل الحزب أية كتلة أية قيادة عامّة و **خطّ** كامل التطوّر يعارض القيادة الفعلية للحزب. وجهة النظر هذه مخطئة فى الأساس و تتضارب مباشرة مع تعاليم ماو تسى تونغ ذلك أنّها تفصل مسألة الصراع داخل الحزب عن كلّ تحليل ماديّ فعلا (و جدلي) للصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية. بتطوّر تحليل ماو للصراع الطبقي فى ظلّ الإشتراكية ،غدت مسألة وجود قيادة برجوازية داخل الحزب الشيوعي ذاته النقطة المحورية.

ولنمرّ إلى تفحّص هجوم خوجا على تحليل ماو لوجود خطّين و برجوازية داخل الحزب :

" دافع ماوتسى تونغ ذاته على ضرورة "الخطّين" داخل الحزب. حسب رأيه ، وجود الخطّين و صراعهما ظاهرة طبيعية ، وهي تعبير عن وحدة الأضداد و عن مرونة سياسية تربط الروح المبدئية بالإتفاق...إنّ هذه الرؤى متناقضة كلّيا مع التعاليم اللينينية عن الحزب الشيوعي بإعتباره فصيلا منظّما و طليعيّا له خطّ واحد ووحدة تفكير وعمل فولاذية. و لا علاقة لصراع الطبقات داخل الحزب بما هي إنعكاس لصراع الطبقات المخاض خارجه بمفاهيم ماو تسى تونغ حول "الخطين داخل الحزب" . فالحزب ليس حلبة طبقات يخاض فيها صراع بين الطبقات المتناحرة، ليس تجمّعا لأناس أهدافهم متناقضة. الحزب الماركسي- اللينيني الحقيقي هو حزب الطبقة العاملة فحسب و هو قائم على أساس مصالح هذه الطبقة العاملة. هذا هو العامل الحيوي لإنتصار الثورة و بناء الإشتراكية .لقد اشار ستالين مدافعا عن المبادئ اللينينية للحزب التي لا تسمح بوجود عديد الخطوط ، التيارات المعارضة فى الحزب الشيوعي، أنّ : ...الحزب الشيوعي هو حزب وحدة صمّاء للبروليتاريا و ليس حزب مجموعة عناصر من طبقات مختلفة.

بالعكس ، يرى ماو تسى تونغ أنّ الحزب وحدة طبقات ذات مصالح متناقضة ، منظّمة تقف فيها وجها لوجه و تتقاتل قوّتان هما البروليتاريا و البرجوازية ... " القيادة العامة البروليتارية " و " القيادة العامة البرجوازية " التي يجب أن يكون لها ممثّلوها فى كلّ مستويات الحزب ، من القاعدة إلى الأجهزة القيادية العليا "(91)

هنا خوجا على خطإ لأكثر من سبب: لكونه لا يفقه شيئا من الجدلية و لكونه لا يفهم ما يجعل لكل **حزب ماركسي - لينيني حقيقي** ديناميكيته و حيويته ، و لكونه يعبّر عن فهم خاطئ للموقع الذى يحتلّه الحزب فى المجتمع الإشتراكي و بالتالى عن مختلف مميّزات الصراع داخل الحزب.

أوّلا لنتطرّق لأغبى نقطة فى المنطق الخوجي ألا وهي " دافع ماوتسى تونغ ذاته عن ضرورة " الخطّين" داخل الحزب." و كان يقال إنّه **فضّل** أو **سمح** بوجود قيادة عامة برجوازية داخل الحزب.و طبعا ، لم يقترح ماو تسى تونغ أبدا شيئا من هذا القبيل. ما قاله وهو على صواب تام فى ذلك هو إنّ وجود خطين داخل الحزب حتميّ و إنّ كتلا و قيادات عامّة برجوازية تنشأ داخل الحزب. و أهمّ من ذلك أيضا هو الفهم النظري الذى طوّره ماو لشرح ضرورة النضال ضد الخطّ البرجوازي و ضد محاولات شتى مسؤولي الحزب السائرين فى الطريق الرأسمالي تركيز قيادة عامة برجوازية داخل الحزب و الإستيلاء على السلطة فى قطاعات حيوية من الحزب و الدولة و الإعداد للهجوم الأخير على القيادة البروليتارية للحزب و الدولة. لم يطوّر ماو تسى تونغ هذا الفهم نظريّا فقط بل قاد ايضا عمليّا النضال لتكريس هذا الخطّ ،لا سيما أثناء الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى. و أن يستنتج من هذا انّ ماو سمح للبرجوازية بالتواجد و لم يحاربها إنكار للوقائع الملموسة.

(و فى نفس الوقت إعترف ماو بضرورة ،و أحيانا إرتأى ،أن يوضع بعض الإنتهازيين فى مواقع معيّنة من الحزب لأسباب تكتيكية.و سنناقش هذا الموضوع لاحقا.)

على الدوام ساند الماركسيون- اللينينيون الأطروحة الفلسفية القائلة بأنّ " الحرّية وعي الضرورة ". فقدرة الإنسان على تغيير المجتمع و الطبيعة لا ترتبط رئيسيّا **بإرادته** بل بفهمه الصحيح للعالم الموضوعي، لأنّه فقط بالعمل طبقا لقوانين المجتمع و الطبيعة يمكن للإنسان أن يتوصّل إلى التأثير على هذه القوانين. و قول إنّ ماو **دافع** عن الخطّ البرجوازي و نموّ القيادة العامّة البرجوازية فى الحزب ببساطة لكونه كان سبّاقا فى **الإعتراف** بشكل صارم بالقوانين التي تحكم وجودها فى كلّ تجلياتها ، يساوى إدّعاء أن لويس باستور دافع عن وجود الفيروسات **!**

ماضين بعدُ قليلا مع هذا التشبيه ،يمكننا أن نقول **لأنّ** باستور إكتشف وجود الفيروسات ، أمكن له تطوير التلقيح الأوّل ؛ و كذلك لأنّ ماو تسى تونغ إكتشف القوانين التي تحكم المجتمع الإشتراكي و التي تفرز الخطّ البرجوازي داخل الحزب ، أمكن له تطوير السياسة و الإستراتيجيات و أيضا التكتيكات اللازمة للإنتصار على الخطّ البرجوازي و مختلف القيادات العامة البرجوازية ، و ليس لمرّة واحدة فقط بل لعدّة مرّات.

بإدارته ظهره لمبدأ مواصلة الثورة فى ظلّ **الإشتراكية** ، ربّما إعتقد أنور خوجا أنّه يقدّم مساهمة لامعة فى الماركسية. بينما فى الواقع هو لا يفعل من جديد سوى تطبيق وجهة النظر البرجوازية الصغيرة الإنسانية التي ترفض الإعتراف بإنقسام المجتمع الرأسمالي إلى طبقات متناحرة ، آملة بالتالى أن يضمحلّ التناحر.

وهو يعرض تشويهه ل" المبادئ اللينينية " المتصلة بالحزب و يستعمل بعشوائية كلمات ستالين بصدد " الحزب البروليتاريا ذو **الوحدة الصمّاء "** ، كشف خوجا ببساطة و بشكل أعمق فهمه هو الميتافيزيقي و المعادي للجدلية للعالم، و إفتقاده لأدنى فهم للتطوّر الحقيقي لكلّ حزب ماركسي. و يدّعى خوجا أنّ المبادئ اللينينية " لا تسمح بوجود عديد الخطوط ، التيارات المعارضة فى الحزب الشيوعي" شيئ رائع**!** و ببضعة كلمات يقضى خوجا على النضال ضد التحريفية و الدغمائية و التروتسكية و كلّ الإنحرافات الأخرى التي يمكن أن تظهر فى صفوف الحزب.

أيمكن أن نقول إنّه لا وجود لتيّار تحريفي فى الحزب الألباني؟ لا، لا نعتقد ذلك! حتى إذا كان خوجا منخرطا فى خطّ ماركسي - لينيني (عوض الدفاع هو ذاته عن توجّه تحريفي جديد) ، لن نكفّ عن عدم الإعتقاد فى ذلك، و رغم كافة ترهات خوجا حول " المبادئ اللينينية" كان لينين و ستالين يعملان بإستمرار على تحديد جميع أنواع " " التيارات المعارضة " داخل الحزب البلشفي و على النضال ضدّها و إلحاق الهزيمة بها.

لا يفعل خوجا سوى توحيد الإثنين فى واحد ،حسب طريقته الخاصّة فى الفهم ،وهي طريقة مناقضة للطريقة الجدلية فى إزدواج الواحد. إنّه يخلط بين مسألة **الخطوط و التيّارات** و مسألة **الكتل** . و رغم التشابه الموجود بين هذه المسائل فهي متباينة. فوجود تيارات مختلفة أو خطوط داخل الحزب لا يتأتى من " السماح" بوجودها إذ هي إنعكاس لا مناص منه للقوى الطبقية فى المجتمع التى توجد هي ايضا لا لأنّ الماركسيين – اللينينيين "يسمحون" بوجودها ، بل بسبب الظروف الماديّة و الإيديولوجية للمجتمع بما فى ذلك بقايا المجتمع الإستغلالي الطبقي الموجودة فى قاعدة المجتمع الإشتراكي الإقتصادية و فى بنيته الفوقية.

يمكن حلّ كتلة تحريفية داخل الحزب و طرد قادتها إلخ لكن مثل هذه الإجراءات لن تؤدّي و **لا يمكن** أن تؤدّي إلى إلغاء كلّ توجّه و كلّ خطّ تحريفي داخل الحزب, فهذه التوجهات لا توجد داخل الحزب عامة فحسب لكن أيضا فى طريقة تفكير كلّ شخص!

عند معالجة هذه المسألة ينتقل الحزب الألباني من الأقصى إلى الأقصى ، منتهيا إلى صياغة إنتقائية حسبها هناك " صراع طبقي فى الحزب " دون وجود خطوط متعارضة. إنقلاب فعلي بليّ العنق، هل يعتقد خوجا أنّه بالقضاء منذ البداية على عملاء العدوّ ، العناصر البرجوازية و الفاسدة ، سيمكنه الحيلولة دون ظهور **خطوط** معادية، خطوط غير ماركسية، خطوط برجوازية داخل الحزب كما لو أنّ وجود خطّ مرتبط ببساطة بإمتلاك آلات كتابة! مرّة أخرى خوجا و ليس ماو هو الذى يبتعد عن الماركسية - اللينينية لأنّ الماركسية تعلّمنا أن مسألة الخطّ و صراع الخطّين (ما يفترض وجود خطوط **مختلفة**) تمثّل حياة الحزب.

لنضرب بعض الأمثلة. فى البلدان الإمبريالية ، يمثّل التوجّه نحو التحريفية لا سيما فى شكل الإقتصادوية (يعنى إتجاه تقليص نضال العمّال إلى نضال من أجل تحسين ظروف نظام العبودية بالنسبة للعبيد ، فى آن معا إتجاها ضارّا و قويّا. و قد بيّن لينين القاعدة الإجتماعية لهذا التيّار فى مؤلفه اللامع " ما العمل؟ " كما فى بعض كتاباته التالية المتعلّقة بالإمبريالية. لكن فقط إكتشاف هذا التوجّه و إنطلاق الماركسيين- اللينينيين الحقيقيين فى نضال بلا هوادة و طويل الأمد ضد هذا التوجّه لا يعنى أنّه ليس له تأثير داخل الحزب ك**خطّ** معاد للماركسية.و كذلك فى عديد البلدان حيث المهمّة الآنية للطبقة العاملة و للحزب هي النضال من أجل التحرّر الوطني ، تمثّل التوجّهات القومية الضيقة إنعكاسا للقوى الطبقية التي تخوض فعلا الصراع ؛ و على شيوعيى هذه البلدان أن يخوضوا صراعا بلا هوادة ضد هذه الإنحرافات بما فى ذلك و **خاصّة** عندما تنعكس داخل الحزب ذاته. مرّة أخرى ، الإعتراف بوجود الخطوط الخاطئة داخل الحزب و فهم قاعدتها الطبقية و جذورها التاريخية هو الذى **يسمح** للماركسيين – اللينينيين بمقاتلة هذه الخطوط و إلحاق الهزيمة بها. و لا يتعلّق الأمر ب "السماح" أو عدمه لمثل هذا الواقع.

ألا ينسجم صراع الخطين داخل الحزب مع كون " الحزب الماركسي- اللينيني هو حزب الطبقة العاملة فحسب " مثلما يقول خوجا؟ (92) لا ينسجم إلاّ بالنسبة للذين لا يفهمون شيئا من الجدليّة.

الحزب الشيوعي هو حزب الطبقة العاملة لأنّه مقاد بالماركسية - اللينينية إيديولوجيا الطبقة العاملة و لأنّ الطبقة العامة هي **الطبقة** الوحيدة التي تتمثّل مصالحها فى قلب الرأسمالية و كلّ أنواع الإستغلال و الإضطهاد و فى تحقيق الشيوعية و لأنّ المبادئ التنظيمية للحزب ، " المبادئ اللينينية " ، إن أردنا ذلك، تعكس الطابع الإجتماعي للإنتاج لا سيما دور البروليتاريا فى علاقات بالإنتاج. بهذا المعنى و بهذا المعنى فقط يمكننا فهم أنّ الحزب الشيوعي هو حزب الطبقة العاملة.

لا يستطيع الحزب و لا تستطيع الطبقة العاملة و الماركسية - اللينينية أن تظهر بصورة " نقيّة ". و هذا بيّن إذا نظرنا فى الطبقة العاملة. لم يع بعدُ سوى عدد قليل من العمّال فى المجتمع الرأسمالي دورهم كحفّاري قبر النظام الراسمالي . و علاوة على ذلك ، ثمّة **إنقسامات** فى صفوف البروليتاريا (إنقسامات سياسية ، قومية و إقتصادية) رغم تقاسم كافة العمّال ، موضوعيا ، نفس المصلحة **الطبقية**. و بالتالى تمثّل فكرة بروليتاريا "نقية" قمّة العبثيّة و تعنى إنكار ضرورة الحزب الشيوعي. و كذلك عبثيّ الحديث عن "نقاوة" الحزب و الماركسية-اللينينية حين نلقى نظرة على خصوصيات الوجود الراهن و الملموس لحزب ما أو لخطّ حزب ما. و مثل هذا العمل يكون فعلا **إنكار** للحاجة لمواصلة الصراع داخل الحزب. لذلك يسخر ماو تسى تونغ عن حقّ من فكرة "الوحدة الصمّاء" للحزب و للحركة الشيوعية العالمية. (" يعتقد البعض أنّ ... الحزب لا يمكن أن يكون موضوع تحليل؛ أي أنّه ذو وحدة صمّاء و متماثل...") (93)

لنتطرّق الآن إلى إستشهاد بستالين لجأ إليه خوجا بهدف منع القارئ من القيام ببحث نقدي و جدلي فى هذا الصدد :

" الحزب الشيوعي هو حزب وحدة صمّاء للبروليتاريا و ليس حزب مجموعة عناصر من طبقات مختلفة. " هذا الإستشهاد صحيح فى معنى معيّن و ليس كذلك فى معنى آخر. إذا تناولنا الإستشهاد كتجريد علمي ، نراه مفيدا إلى حدود بيد أنّه بإعتباره تحليلا لحزب ما هو خاطئ و ضارّ على حدّ سواء. و يجب على الخطّ السياسي و كذلك على المبادئ التنظيمية للحزب أن تتأتّى من **تجريد**علمي صحيح (بمعنى أنّه يعكس الطبيعة مثلما يقول لينين، بشكل " أعمق، أصحّ و أشمل") بأنّ الحزب هو حزب البروليتاريا و حزبها هي فحسب. مع ذلك، يعدّ عناصر الحزب الشيوعي فى صفوفه ، و ينبغى أن يُعدّ فعلا فى صفوفه "عناصر مختلفة من طبقات مختلفة ". و بطبيعة الحال ، على هذه العناصر أن تنخرط فى الحزب بتبنّى وجهة نظر البروليتاريا و خطّها. ألا يمكن أن نقول إنّ فى أيّ حزب يأتى المثقّفين ،مثلا، و معهم بعض مظاهر وجهة نظر البرجوازية و البرجوازية الصغيرة و خطّها و علاقاتها التنظيمية؟ ألا ينضمّون إلى الحزب جالبين معهم بعض مظاهر وجهة نظر المنتج الصغير؟ هل يخطئ المرء فى القيام بتحليل طبقي **لعناصر** الحزب و فى إستعمال هذا التحليل الطبقي (بمنهج جدلي و ليس ميكانيكي) لغاية محاولة فهم أية إنحرافات يمكن أن تظهر و كذلك محاربتها؟ طبعا يأتى كلّ عناصر الحزب بما فى ذلك العمّال، معهم حين ينخرطون فى الحزب ، بمختلف أنواع الإيديولوجيات البرجوازية و الأخطاء السياسية و من هنا تفهم الملاحظة الساخرة لماو :" كما لو أنّه لمّا نلتحق بالحزب نصبح بالضرورة ماركسيين مئة بالمئة " (94).

لا وجود ل"ماركسيين مئة بالمئة " بما فى ذلك أنور خوجا و بطله وانغ مينغ الذى أقام جلبة كبرى فى بداية الثلاثينات معلنا أنّه و حفنة من الطلبة العائدين معه من موسكو كانوا "بلاشفة مئة بالمئة ".

هل يُعتبر الإعتراف بأنّ الحزب ليس " ذو وحدة صمّاء " وبالفعل يعجّ بتناقضات تعكس العلاقات الطبقية فى المجتمع و المكوّنات الطبقية للحزب ذاته ، إنكارا لضرورة النضال ضد الكتلوية و مبدأ أنّ الحزب لا يمكن أن يقوده إلاّ خطّ **واحد** ؟ نكرّرها لا يشكّل هذا مشكلا إلاّ بالنسبة للميتافيزيقيين لا بالنسبة للماركسيين – اللينينيين.

الإقرار بوجود خطّين داخل الحزب (بمعنى جوهري، الخطّ البرجوازي و الخطّ البروليتاري) هو فى نفس الوقت أخذ بعين الإعتبار أنّ واحد من هذين الخطّين (أي الخطّ الرئيسي) يجب أن يحدّد طابع الحزب. وهو أيضا إقرار بإمكانية أنّ يتحوّل هذان المظهران الواحد إلى الآخر و أن يُصبح الحزب بالتالى حزبا تحريفيا. و طالما أنّ **الخطّ القائد [السائد]** (أي الخطّ العام للحزب و قيادته ،المنعكس فى نظرياته و سياساته و صحافته إلخ) ماركسي- لينيني حقيقي ، من الصحيح إعتبار هذا الحزب حزبا ماركسيّا- لينينيا ، حزب الطبقة العاملة. لكي **يبقى** مثل هذا الحزب ماركسيا- لينينيا ، يجب تحديدا خوض نضال حيوي بلا هوادة ضد أيّ تمظهر للخطّ الخاطئ. إنّ الإقرار بهذه الضرورة هو فى آن إقرار بضرورة مكافحة الكتل البرجوازية التي تظهر داخل الحزب و **تحطيمها.**

و يثبت تاريخ الحركة الشيوعية العالمية بوضوح ضرورة خوض هكذا نضال من أجل هزم محاولات المجموعات التحريفية المنتظمة داخل الحزب لإفتكاكه و تطبيق الخطّ التحريفي. و بالضبط كانت المهمّة الرئيسية للثورة الثقافية البروليتارية الكبرى إفتكاك سلطة المسؤولين الكبار السائرين فى الطريق الرأسمالي بغية إلحاق الهزيمة بهم و تحطيم قيادتهم التحريفية. أن يختار خوجا الثورة الثقافية ك" دليل " عن كون ماو " سمح " بوجود قيادة عامة برجوازية صلب الحزب هو بالتالى أمر عبثيّ.

وفى نفس الوقت إذا ما أخذنا بعين النظر وجود الخطين فى الحزب و القاعدة الإجتماعية لوجودهما ، سنعترف كذلك بأنّ تطوّر كتل المعارضة البرجوازية صلب الحزب لا تمثّل ظاهرة عرضيّة أو غير قابلة للشرح، بل جزءا لا مفرّ منه من الصراع الطبقي وتطوّر الحزب.

كلّما تبرز التوجّهات الخاطئة ، كلّما يوجد خطّ خاطئ فى حالته الجنينية (الشيئ الذى يحدث حتما لأسباب لخّصناها أعلاه) سينتهى البعض إلى النهوض ، عاجلا أم آجلا ، للدفاع عن هذه التوجّهات ليحوّلوها إلى خطّ و إلى برنامج كامل التطوّر بغاية النضال لتعويض الخطّ الماركسي-اللينيني للحزب بخطّ خاطئ. و بعيدا عن أن يكون عائقا ، فإنّ إدراك هذا الأمر يخوّل للحزب و للجانه و أعضائه التعرّف بسرعة أكبر على تلك السيرورة و تطوّرها (لعدّة مرّات) من أجل التحرّك بصرامة لمعارضتها.

و الكتلوية فى حدّ ذاتها مظهر من مظاهر الخطّ الخاطئ. إنّها تعكس الإنقسام و التنافس و" كلّ لذاته " التي تميّز الرأسمالية، فى معارضة مع التضامن و التعاون المميّزان للعمّال كطبقة. هكذا يجب على الماركسيين- اللينينيين مقاومة الكتلوية مثلما فعل ذلك ماو تسى تونغ بمبادئه الثلاثة الشهيرة حول ما يجب القيام به و ما يجب عدم القيام به. " ممارسة الماركسية لا التحريفية ؛ العمل من أجل الوحدة ،لا من أجل الإنشقاق ؛ التحلّى بالصراحة و الإستقامة ،لاحياكة المؤامرات و الدسائس".

علاوة على ذلك ، مثلما أشار الثوريون فى الصين (أنظر: تقرير وانغ هونغ – وان حول الدستور ، الذى ألقاه فى المؤتمر العاشر للحزب)، المبدآن الأخيران من " مبادئ ما يجب القيام به و ما يجب عدم القيام به " مرتبطان بالمبدأ الأوّل . (95) و يناضل الماركسيون-اللينينيون من أجل الوحدة و لا يجدون ضرورة لحياكة المؤامرات و الدسائس فقوّتهم تنبع من أنّ خطّهم يعكس بصفة صحيحة الواقع الموضوعي و يتماشى مع مصالح الغالبية العظمى للشعب و يدفع إلى تقدّم الثورة. و هكذا ، كلّما إنخرطنا أكثر فى

المبادئ اللينينية فى ما يتعلّق بالحياة الداخلية للحزب كلّما تعزّز الخطّ الصحيح ككلّ. و بديهيّ أنّ الذين يدافعون عن خطّ برجوازي سيسعون حتما للإنشقاق و سيحيكون المؤامرات و الدسائس لأنّه بهذه الطريقة يطوّرون قواهم فى نفس الوقت الذى يبدون فيه خوفا شديدا من الصراع السياسي المخاض بصورة مفتوحة. فالأمر لا يتعلّق إذن ب" السماح" بالتكتّل و المؤامرات و الدسائس فى صفوف الحزب بل بمعرفة أنّ الصراع ضد كلّ هذا هو جزء من "ممارسة الماركسية و ليس التحريفية " و تنبيه عناصر الحزب و الجماهير إلى أنّ الذين يتّبعون خطّا خاطئا لا يمكنهم البقاء أوفياء للمبادئ التنظيمية الماركسية - اللينينية و إلى أنّه يجب التحلّى باليقضة الدائمة. و تركيز خوجا على وجود " الوحدة الصمّاء" فى الحزب هو إنعكاس لرفضه نظريا و تطبيقيا أن ينطلق من و يؤسّس نظرته على تحليل إزدواج الواحد.

و هذا الرفض مرتبط بصيغة قريبة جدّا خاصة فى العشرينات و الذى كان يدعو ضمن ما يدعو إليه أنّ التناقض لا يوجد بالضرورة طوال كافة سيرورة تطوّر شيئ ما بل **يظهر** فقط فى مرحلة معيّنة من هذا التطوّر. كانت مدرسة ديبورين تنادى مثلا Tiers Etat بأنّه لا وجود لتناقض فى صفوف

أي فى صفوف القوى التي كانت تعارض النبلاء و الكنيسة خلال الثورة الفرنسية، بل إنّ التناقض بين العمّال و الرأسماليين لم يظهر سوى **لاحقا** أو إثر تطوّر متقدّم للإنتاج الرأسمالي. و كان ماو يعتبر غاية فى الأهمّية النضال ضد مدرسة ديبورين و أشار فى نصّه الشهير " فى التناقض" إلى كون " مثالية ديبورين مارست تأثيرا من التأثيرات الأكثر ضررا داخل الحزب الشيوعي الصيني ،و لا يمكن أن نقول أنّ المفاهيم الدغمائية لحزبنا ليست لها علاقة بهذه المدرسة " (96)

و لا غرابة فى أن يلجأ خوجا وهو يقيم هجوما مسعورا على ماو إلى قلب الإستنتاج التاريخي حول مسألة وانغ مينغ، وإلى الإختفاء وراء المدرسة الفلسفية التي كان وانغ مينغ تلميذا وفيّا لها.

كيف يمكن أن نفسّر مسألة ظهور التحريفية و إنتصارها إذا لم ندرس التناقضات الداخلية للحزب ، الصراع بين الخطّين؟ ينبغى إمّا أن نحذف تماما التناقضات الباطنية و أن نبرز المسألة كإفتكاك للحزب من قبل قوى خارجية ، و إمّا (و النتيجة ذاتها) الإعتراف بأنّ التناقضات الداخلية للحزب لا تظهر إلاّ فى فترة معيّنة لتطوّره و تتأتّى من تأثيرات خارجية ، "أخطاء" الثوريين و ما إلى ذلك ، هذان التفسيران فى النهاية ميتافيزيقيان.

لقد أنكر ستالين وجود التناقض و الخطين داخل الحزب. لم "يسمح" بهما. بيد أنّ ذلك لم يمنع تطوّر التحريفية الخروتشوفية نظرا لأخطاء ستالين . هل كانت الجماهير فى الإتحاد السوفياتي **أكثر إستعدادا** لفهم ما جرى و ما كان يتعيّن فعله بالتالي؟ طبعا بوسعنا أن نفهم أن يكون لستالين فهم إحاديّ الجانب لحياة الحزب فى ظلّ الإشتراكية لأنّه لم تكن توجد أيّة تجربة تاريخية لحزب شيوعي أصيل كان قد نجح فى القيام بثورة تحوّل إثرها إلى نقيضه ، إلى حزب برجوازي يسعى إلى إعادة تركيز الرأسمالية. و لكن يغدو شيئا آخر حين يتمسّك خوجا تمام التمسّك بإعادة إرتكاب أخطاء ستالين، و بجعلها مبادئا شمولية فى حين أن التجربة التاريخية أفرزت مذّاك قاعدة على أساسها أمكن للماركسيين – اللينينيين وبخاصّة الرفيق ماو تسى تونغ ، أن يقيّموا و يصحّحوا و بالخصوص أن يتجاوزوا تلك الأخطاء.

حين إنتصرت الإنتهازية فى صفوف الأمميّة الثانية أثناء الحرب العالمية الأولى ، نجح لينين بفضل علم الديالكتيك فى رسم تطوّر (و كذلك الجذور الإجتماعية و التاريخية) للتناقض الذى أدّى إلى هذه الخيانة. لقد بيّن كيف أنّ الديمقراطية الإشتراكية إنقسمت إلى معسكر ثوري ومعسكر إنتهازي ؛ و أنّ لهذه الظاهرة أساس مادي خلق أرستقراطية صلب الطبقة العاملة فى البلدان الإمبريالية؛ و أنّ الفترة الطويلة من العمل السلمي و القانوني أدّت من جهة إلى أن غدت الأحزاب الإشتراكية الديمقراطية احزاب جماهير العمّال فى أوروبا و من جهة أخرى إلى أن أصبحت قيادات هذه الأحزاب تتجه إلى إتباع ممارسات و رسم أفق ضيّقين و برلمانيين. و قد بيّن كذلك لينين كيف جرى فقع دمّل الإنتهازية منذ إندلاع الحرب العالمية الأولى.

لا يستطيع خوجا تفسير تطوّر التحريفية الخروتشوفية لأنّه يرفض الإعتراف بأنّ التناقضات داخل الحركة الشيوعية العالمية لم تظهر فقط زمن الإنقلاب الخروتشوفي بل إنّها إنفجرت حينها. إذن تتمثّل "المساهمة العظيمة" لخوجا فى **إنكار** التقدّم الحقيقي الذى حصل خلال الصراع ضد التحريفية فى السنوات العشرين الأخيرة فى التأكيد على أنّ كلّ صيغة و كلّ خطإ (و كذلك الأساس الإيديولوجي لهذه الأخطاء) يعتبران من الكتابات المقدّسة و فى نعت كافة الذين يرفضون إتباع هذا الخطّ هراطقة.

فى الأخير للردّ على هذه الهجمات الخوجية ضد خطّ ماو حول الحزب ، ينبغى أن نحاول أن نكشف الخلط الذى يبثّه خوجا فى ما يتعلّق بسياسات ماو بصدد الصراع الداخلي للحزب. يستشهد خوجا بماو فيقول :

" يمكننا هكذا أن نستعمل اليدين معا تجاه رفيق مخطئ : بيد سنصارعه و بالأخرى نقيم وحدة معه. و غاية هذا الصراع هي صيانة المبادئ الماركسية ،ما يعنى الصلابة فى المبادئ من جهة و من جهة أخرى إقامة وحدة معه. و غاية الوحدة هي السماح له بمخرج ، بتحقيق إتفاق معه .. ." (97)

هنا لا يحذف خوجا مفهوم ماو لكلمة "إتفاق"(وهو ما نسميه مرونة) فقط ، بل كذلك يمحو إستنتاج ماو القائل : " الوحدة بين المبادئ و المرونة مبدأ ماركسي- لينيني يمثّل وحدة أضداد "(98)

بداية ، يجب ملاحظة انّ ماو لا يتحدّث **البتّة** هنا عن المعادين للثورة الذين لا يمكن إصلاحهم داخل الحزب ، عن الذين يقودون كتلا برجوازية . يؤكّد ماو هذا بالضبط فى الفقرة السابقة على تلك التي إستشهد بها خوجا:

" مع ذلك ، إزاء أناس من نوع آخر، موقفنا يختلف. تجاه الأشخاص من أمثال تروتسكي أو فى الصين كتشان تو – سياوو، تشانغ كوو-تاو و كاوكانغ ، لا مجال لمساعدتهم ، لأنّهم غير قابلين للإصلاح" (99)

(مرّة أخرى نلمس هنا الأسلوب اللامع للمجادل خوجا. فى الواقع يحقّق شيئين إثنين : أوّلا ، **يملى** على كلّ قارئ جدّي البحث عن الكتابات فى المصادر لأنّه من غير الممكن فهم ما يقوله ماو بقراءة "إستشهادات" خوجا فحسب؛ و ثانيا يكشف إنحطاط وجهة نظره بوعيه هو ذاته بأنّ نظرته لا يمكن أن تقف فى مواجهة فكر ماو تسى تونغ.)

فى منتهى البداهة إذن أنّ ماو لا يرتئى وحدة لامبدئيّة مع الذين لا يمكن إصلاحهم . ما يودّ قوله أساسا يضحى أكثر دلالة إن عالجنا الظرف الذى القى فيه هذا الخطاب فى موسكو سنة 1957 ، أثناء إجتماع ممثّلي أحزاب شيوعية و عمّالية. قاد ماو حينها صراعا معقّدا للغاية بغية الدفاع عن المبادئ الماركسية-اللينينية، صراعا كان يستوجب إتفاقيات **تكتيكية** مع خروتشوف من جهة و بذل جهود جبّارة لأجل إرساء أساس وحدة أكبر عدد ممكن من الستين حزبا الحاضرين لإقامة تحالف معها. و جليّ هو ما أراد ماو التعبير عنه رغم إستعماله للغة نوعا ما خاصّة.

و يندفع خوجا فى التهجّم على ماو لأنّه إقترح فى 1956 " إنتخاب قادة كتل يمينية و يسارية إلى اللجنة المركزية ..." (100) فيختار أن لا يذكر أسماء هؤلاء القادة خشية كشف نقطة ضعف أخرى لمحاججته ذلك أنّ هؤلاء القادة يعدّون من بينهم صديقنا القديم وانغ مينغ " البلشفي مئة بالمئة " وخطّه يلتقى مع خطّ أنور خوجا . و علاوة على ذلك ، سيجد خوجا صعوبة فى تفسير كيف أنّ لينين و ستالين كانا أحيانا موافقين على إنتخاب قادة إنتهازيين إلى اللجنة المركزية. أوّلا ، من الصحيح محاولة التوحّد مع الممثلين القدماء لأهمّ الخطوط الخاطئة ، ثانيا ، ليس من الممكن دائما و لا من الصحيح بالضرورة إزاحة القادة الإنتهازيين من مواقعهم فى أي وقت. فيمكن مثلا، أن لا يكون هؤلاء القادة قد كشفوا بعدُ ، أن يكونوا يتحكّمون بعدُ فى قاعدة إجتماعية ، و أنّه يمكن أن تتفجّر هذه القاعدة فى جزء كبير منها بخوض نضال خاص لفترة معيّنة من الزمن. تلك الطريقة ، فى اوجه عدّة ، هي التي طبّقها ستالين فى خضمّ الصراعات ضد اليمين و أيضا ضد " اليسار " خلال العشرينات و بداية الثلاثينات. إضافة إلى ذلك ، يمكن ألاّ يكون قائد ما تحريفي هو الممثّل الرئيسي للخطّ التحريفي فى فترة معيّنة و أنّ هجوما على أكثر من جبهة يمكن أن يفضى على الهزيمة. و طبعا كان من الضروري عادة طوال تاريخ الحركة الشيوعية العالمية ، النضال على عدّة جبهات فى نفس الوقت. لكن وُجدت أيضا حالات كثيرة مثل عصر ماركس و إنجلس ، حيث وُجِد بوضوح صراع داخلي واحد كان على الثوريين أن يعتنوا به قبل أي شيئ آخر و حيث عدم التصرّف على تلك الشاكلة كان يمكن أن يفرز نتائجا جدّ خطيرة. إنّا لا نعلم **جميع** الأسباب التي من أجلها إرتأى ماو فى 1956 إنتخاب وانغ مينغ و لى لي سان إلى اللجنة المركزية إلاّ أنّه من الجلي أنّ مثل هذا الفعل لا يمثّل بالتأكيد ضربا من تجاوز مبادئ الماركسية و ليس أكثر أو أقلّ من إنتخاب تروتسكي و إعادة إنتخابه للجنة المركزية إلى حين سقوطه النهائي سنة 1927. أو هل يعتقد خوجا أنّ لينين و ستالين لم يفهما الطبيعة الحقيقية لتروتسكي؟

ولنتفحّص الآن فهم ماو لهذه المسألة كما ورد فى خطابه الملقى فى إجتماع تحضيري للمؤتمر الوطني الثامن للحزب الشيوعي الصيني. إنّه يدعو إلى وجوب إعادة إنتخاب لي لي سان ووانغ مينغ إلى اللجنة المركزية وهما طبعا ممثّلان شهيران لخطوط كانت لها تاريخيا تأثيرات خطيرة جدّا على الحزب. إلى ذلك ، ليس لدي ماو أوهام حول خطّهم الحالي لا سيما خطّ وانغ مينغ الذى سعى إلى أن يعيد النظر فى النقد الموجّه لأخطائه القديمة. وفى الواقع ، يؤكّد ماو على أنّ "المسألة ليست مسألة معرفة ما إذا كان وانغ مينغ و لى لى سان سيصحّحان ممارساتهما ام لا ، هذا ليس مهمّا ..." (101) لكن بالأحرى : " المسألة الجوهرية هي أنّ الأمر لا يتعلّق ببعض الأشخاص المعزولين، بل بأنّهم يمثّلون جزءا كبيرا إلى حدّ ما من البرجوازية الصغيرة. إنّ الصين بلد برجوازية صغيرة كثيفة العدد ، و الكثير من عناصرها متردّدة جدّا [و يواصل متحدّثا عن مختلف قطاعات البرجوازية الصغيرة) ما يعنيه إذن التصويت لهذين الممثلين لخطّ وانغ مينغ و خطّ لى لى سان؟ هذا يعنى أنّنا نتعامل مع الناس الذين إرتكبوا أخطاء إيديولوجية بطريقة مغايرة نسبة للمعادين للثورة و الإنشقاقيين (مثل تشان تو- سيوو ، تشانغ كوو- تاو ، كاو كانغ و جاو شو- شا) يطبّق مثل هؤلاء

الناس المنهج الذاتي و السكتاري فى وضح النهار و بدعاية كبيرة و يبحثون عن إنتصار برنامجهم السياسي ... هكذا إذن ليست مشكلة لي لي سان مشكلة شخصين إثنين فحسب ، المهمّ هو أنّ لها جذورها الإجتماعية" (102)

و يسترسل ماو مشيرا إلى أنّ حضور هذين الشخصين فى اللجنة المركزية المنبثقة عن المؤتمر السابع (المنتخبين فى 1945) لم يؤدّ إلى خسائر هامّة: " ... و مع ذلك لقد أحرزنا النصر فى الثورة ، و لم تتأخّر ثورتنا حتى لأشهر عدّة [يقصد إنتصار 1949] بهذا الإنتخاب لوانغ مينغ و لى لى سان". (103)

و يؤكّد ماو أنّ :

" كلّ البلاد و حتّى العالم بأسره يعلم جيّدا أنهما أخطآ فى الخطّ و أنّ شهرتهما هي بالذات سبب إنتخابهما... فى بلادنا أين توجد البرجوازية الصغيرة بكثافة يمثّلان علامتين. إن إنتخبناهما سيقول العديد من الناس: يبدى الحزب الشيوعي مع ذلك صبرا تجاههما ، و يفضّل إبقاء كرسيين لهما على أمل أن يصلحا من أنفسهما. أن يصلحا من أنفسهما أم لا شأن آخر، وهو إلى ذلك قليل الأهمّية لا يعنى إلاّ سواهما. و المسألة هي أنّ البرجوازية الصغيرة ذات عدد كثيف فى مجتمعنا و الكثير من عناصرها متذبذبة فى صفوف المثقفين و يريد جميعهم رؤية ما سيحدث لهذه الحالات النموذجية. إذا لاحظوا أنّ هتين العلامتين لا تزال واقفة سيشعرون بالإطمئنان و الإستقرار و يفرحون لذلك. لكن إذا أطحتم بهتين العلامتين ، سينتابهم الفزع." (104)

ها أنّ ماو يفتح أبواب الحزب البروليتاري إلى الإنتهازيين المعروفين وبشكل مفتوح و مفضوح! لقد إستشهدنا مطوّلا بفهم ماو للمسألة ليس للتصدّى لطريقة خوجا فى تشويه كلماته و إستخدامها كما يحلو له فحسب بل أيضا لأنّه من الممكن للثوريين النزهاء أن يتساءلوا بهذا المضمار. لكن أين يكمن الخطأ فى فهم ماو؟ كيف يناقض المبادئ الماركسية- اللينينية و يذهب ضد تيّار الثورة ؟ بالمرّة لا يعارض ماوهذه المبادئ وهو يؤكّد أنّ وجود هذين الشخصين باللجنة المركزية لن يضرّ بالمصالح الثورية للبروليتاريا و إنّما سيعطى دفعا لتقدّم الثورة بالنظر إلى الظروف الخاصّة بالصين.

كانا شهيرين للغاية و مكشوفين تماما و ما كان بإستطاعتهما بالتالى التسبّب فى أي ضرر. هذا من جهة و من جهة أخرى ، لم يكونا (فى تلك الفترة) معاديين للثورة أو إنشقاقيين بل قاما فى وضح النهار بأخطاء إيديولوجية و تحديدا التردّد الذى يميّز البرجوازية الصغيرة. لهذا كانا رمزان للبرجوازية الصغيرة فى الصين؛ من أجل نجاح الثورة الصينية كان عامة **مطلق الضرورة** أن تتوصّل البروليتاريا إلى التوحّد مع هذه البرجوازية الصغيرة ،أن تتصارع معها بشكل غير تناحري و أن تركّز قيادتها لهذه البرجوازية الصغيرة. (كي ندرك بعمق هذه الضرورة يجب أن نتذكّر عموما مئات ملايين الفلاحين الصينيين الذين كانوا جزءا من البرجوازية الصغيرة). و عليه لن يضرّ بالثورة إبقاء هذين الشخصين فى اللجنة المركزية (و بالفعل يكون من الصعب تبيان أنّ حضورهما أحدث بالفعل ضررا) و من ناحية أخرى ، **كان يمكن** للإطاحة بهما أن تلحق ضررا لأنّ حركة مثل هذه كانت ستتسبّب فى إضطراب و قلق ضمن القاعدة الإجتماعية فى الوقت الذى كان فيه الحزب الشيوعي يسعى للوحدة مع البرجوازية الصغيرة و كسبها إلى جانبه.

و رغم ذلك ، قد نتساءل دائما ، حتى و إن أراد الحزب الشيوعي الصيني كسب البرجوازية الصغيرة إلى جانبه على هذا الأساس ، لماذا كان يجب أن يوضع ممثّلو البرجوازية الصغيرة باللجنة المركزية للحزب؟ ألا يتعيّن على هذا التنظيم أن يكون فعلا حزب البروليتاريا و ألا يتحوّل بالفعل إلى "حزب مجموعة عناصر من طبقات مختلفة" (إنها كلمات ستالين ذكرها خوجا) ؟

ثمّة إجابات عدّة على هذه الأسئلة. بداية ، ينبغى أن نلاحظ أن خضور عناصر تلعب فعلا دور ممثّلين للبرجوازية الصغيرة داخل الحزب و حتى فى اللجنة المركزية لايجعل من الحزب **مجموعة** من العناصر من طبقات مختلفة ؛ يعنى أنّه بالضرورة من الطبيعة الجوهرية للحزب كممثّل للبروليتاريا و طليعتها يكرّس خطّا بروليتاريا. و كلّ مراقب غير منحاز ، يجب أن يقرّ بأنّ وجود وانغ مينغ و لى لى سان إثر كشف خطّهما و هزيمته لم يُغيّر من جوهر الحزب الشيوعي الصيني و لا من طبيعته و لا من خطّه.

ثانيا، ينبغى أن نأخذ بعين النظر الظروف الخاصة للثورة الصينية فمرحلتها الأولى كانت مرحلة الثورة الديمقراطية البرجوازية و بمعنى آخر ،قبل التمكّن من المرور إلى مرحلة الثورة الإشتراكية إضطرّت البروليتاريا و حزبها فى البداية إلى قيادة و خوض ثورة ديمقراطية برجوازية تستهدف الإمبريالية و الإقطاعية. (و مثلما صرّح ماو ، الثورة الديمقراطية الجديدة هي ثورة ديمقراطية برجوازية لكنّها "...لا تنتسب إلى الثورة الديمقراطية البرجوازية العالمية بمفهومها القديم ،بل تنتسب إلى مفهوم جديد، و لا تعدّ جزءا من الثورة العالمية القديمة البرجوازية و الرأسمالية ، بل تعدّ جزءا من الثورة العالمية الجديدة، أي جزءا من الثورة العالمية الإشتراكية البروليتارية " بما يعنى أنّها " ثورة مناهضة للإمبريالية و الإقطاعية تنجزها الجماهير الشعبية بقيادة البروليتاريا"(105).

و ينجرّ عن ذلك أنّه من الحتمي أن يتحوّل بعض الناس الذين كانوا ثوريين فعلا فى تلك الحقبة (معترفين حتّى بالشيوعية دون إستيعاب فعلي للماركسية- اللينينية) و كانوا بالفعل يمثّلون البرجوازية الصغيرة لا البروليتاريا ، إلى أعضاء فى الحزب القائد لهذه

الثورة الديمقراطية البرجوازية من النوع الجديد. و كان ذلك ضروريا للثورة الصينية و نكران هذه الحقيقة إشارة إمّا إلى أنّنا نجهل الأحداث التاريخية و إمّا أنّنا نبحث عن الهروب من الواقع. بما أنّ الأمر يتعلّق بالضرورة أليس من الأفضل بكثير و أكثر ماركسية الإعتراف بهذه الأحداث و مواجهتها (كما فعل ماو) من إدعاء أنّها غير موجودة للحديث فقط عن الوحدة الصمّاء النقيّة للحزب؟

ثالثا، حتّى فى غياب الظروف الخاصّة للصين إدّعاء أنّ الحزب الثوري يمكن أن يكون ذا نقاوة صمّاء حتى بعد إفتكاك السلطة ليس فى الواقع سوى نشر للأوهام. وقد أدرك لينين هذا بشكل جيّد :

" فى ظلّ سلطة السوفيات ، سيتسرّب إلى حزبكم و إلى حزبنا ، حزب البروليتاريا عدد أكبر حتّى من المثقّفين البرجوازيين. سيتسرّبون إلى السوفيات و إلى المحاكم و إلى الإدارات ، لأنّه لا يمكننا أن نبني الشيوعية إلاّ بالمادة البشرية التي خلقتها الرأسمالية ؛ لا توجد غيرها. لا يمكننا لا طرد و لا تحطيم المثقّفين البرجوازيين ، يجب أن نهزمهم، أن نحوّلهم ، أن نعيد صقلهم و أن نعيد تربيتهم، كما فى البقيةّ ،تتعيّن إعادة التربية عبر صراع طويل و مرير على أساس دكتاتورية البروليتاريا ، البروليتاريين ذاتهم ، الذين هم كذلك، لا يتخلّصون من أفكارهم المسبّقة البرجوازية الصغيرة فى لمح البصر، بمعجزة ، بأمر من القدّيسة العذراء ، بشعار، بقرار، بحكم بل فحسب عبر صراع جماهيري طويل و صعب ضد تأثيرات الجماهير البرجوازية الصغيرة " (106).

كيف؟ سيتسرّب مثقفون برجوازيون إلى الحزب البروليتاري ّ و لا يمكننا لا طردهم من الحزب و لا تحطيمهم؟ لكن ألا يجب التذكّر أنّ من يتكلّم هو الليبرالي الشهير لينين و ليس مثال نموذجي للنقاوة البروليتارية على غرار أنور خوجا؟

بالتأكيد ، يكون من الأفضل أن لا نضطرّ إلى إتفاقيات من هذا القبيل غير أنّ الثورات ، و مهما كانت أوهام خوجا المحلّق فى السحب، تنجز بالفعل عبر مثل هذه الإتفاقيات التكتيكية حتى داخل حزب البروليتاريا. فماذا يقول خوجا عن إنتخاب تروتسكي إلى اللجنة المركزية السادسة للحزب البلشفي فى شهر أوت 1917 ؟ ألم يكن لينين يعرف الطبيعة الحقيقية لتروتسكي؟ هل يمكن أن نقول إنّ تروتسكي كان "بروليتاريا نقيّا"؟ ألم يكن الأمر يتعلّق بالأحرى بأنّه كان يتعيّن القيام ببعض الإتفاقيات مع تروتسكي و الذهاب إلى حدّ جعله قائدا لأجل كسب قاعدته الإجتماعية التي كانت على الأرجح برجوازية صغيرة منها بروليتارية لا فحسب فى فهمها للعالم بل كذلك فى تركيبتها الطبقية. و أليس صحيحا أنّ أناسا كُثر وقع قبولهم أعضاء بالحزب فى ذات الوقت مع تروتسكي؟ (طبعا كانت لتروتسكي قدرات فى المسائل التنظيمية كان البلاشفة يرغبون فى إستغلالها فى قيادة الثورة ؛ و من الأكيد أنّه قد قام كذلك بنقد ذاتي و كان رسميّا نقد أخطاءه السابقة – مثلما فعل وانغ مينغ و لى لى سان).

و فى الختام لنتفحّص هذا المقطع الهرطقي لماو وهو يناقش هذه المسألة: " هل يعنى إنتخابهما أنّه علينا أن نجازي من إقترفوا أخطاء؟ بما أنهما ينتخبان للجنة المركزية ، ستقولون إذن لنرتكب جميعنا أخطاء و مهما يكن من أمر، تتوفّر لنا فرص أن يقع إنتخابنا. هل يجرى الأمر على هذا النحو؟ لا أعتقد ذلك؟ لاحظوا أنّ السبعين و النيّف من أعضاء اللجنة المركزية لم يقوموا بأخطاء عن عمد ليعاد إنتخابهم!... كلّ البلاد و حتّى العالم بأسره يعلم جيّدا أنهما أخطآ فى الخطّ و أنّ شهرتهما هي بالذات سبب إنتخابهما. ماذا تريدون؟ هم أناس شهيرين بينما أنتم الذين لم تقترفوا أخطاء أو إرتكبتم أخطاء بسيطة لستم مثلهم شهرة ".

يستشهد خوجا بجزء من هذا النصّ و يعرب عن تعجّبه منه. يجد وعيه النقي فى ذلك فضيحة. لا نقدر أن نفعل له شيئا : يبدو أنّ " الثقافة الماركسية – اللينينية " (هكذا) التي يتهم خوجا ماو بالتخلّي عنها تفتقر تماما إلى جانب الهزل.

وبإمكاننا محاججته هو ففى نهاية المطاف ، قطعت الثورة فى ألبانيا أوّلا مرحلة توصف رسميّا بأنّها "ثورة ديمقراطية مناهضة للإمبريالية" ركّزت " نظاما جديدا ، ديمقراطيا " فى ألبانيا. (107) ألا يمكن أن يكون بعض الأشخاص المقبولة عضويتهم فى الحزب غير مستوعبين كما يجب الماركسية-اللينينية و كانوا موضوعيّا ديمقراطيين برجوازيين أو ممثّلين للبرجوازية الصغيرة ؟ لسنا فى حاجة إلى الثقة فى الإفتراضات فدستور الجمهورية الديمقراطية الشعبية لألبانيا (الذى تمّ تعويضه بدستور 1976) لا يُشير إلى الحزب إلاّ مرّة واحدة :

" المواطنون من الطبقة العاملة الأكثر نشاطا و الأكثر وعيا ينخرطون فى صفوف حزب العمل الألباني ، التنظيم الطليعي للطبقة العاملة و **لكافة الجماهير الكادحة** ، لغاية بناء أسس الإشتراكية و النواة القيادية لكافة تنظيمات الجماهير الكادحة الإجتماعية و التابعة للدولة ".(108).

هل كان ذلك يعنى أنّ حزب العمل الألباني لم يكن "حزب البروليتاريا فحسب " ؟ هذه النقطة وقع تفسيرها بصورة مفصّلة أكثر فى النصّ الرسمي ل " تاريخ حزب العمل الألباني" . مناقشا المؤتمر الأوّل للحزب الشيوعي الألباني سنة 1948 ، يؤكّد النصّ :

" قرّر المؤتمر تغيير إسم الحزب الشيوعي الألباني بحزب العمل الألباني. و يتعلّق هذا التغيير بالتركيبة الإجتماعية لسكّان البلاد و بتركيبة الحزب و لا تمسّ فى شيئ لا طابعه و لا أهدافه. كان الفلاحون فى ألبانيا يمثلون الأغلبية أي حوالي 80 % من السكّان. و كان هذا ينعكس كذلك داخل الحزب الذى كان أكثر أعضائه من العاملين فى الريف" (109)

على الأقلّ فى ظلّ قيادة ماو لم يغيّر الشيوعيون إسم حزبهم ليسمّوه "حزب العمّال و الفلاحين الصينيين" أو "حزب العمّال الصينيين " !

و بداهة لا يعنى هذا أنّ غالبية عناصر حزب شيوعي ماركسي- لينيني لا يمكن أن تكون من الفلاحين أو من شرائح أخرى برجوازية صغيرة. فالأمر يتعلّق هنا بأنّ خوجا يكاد يصرّح بأنّ **طبيعة** الحزب يجب أن ترتبط ب" تركيبته الإجتماعية" (ما يعنى أنّ حزبا فى بلد زراعي كبير و أعضاؤه غالبيتهم من الفلاحين ، يجب أن يكون حزب عمّال و فلاّحين لا حزبا بروليتاريا)، و أبدا لم يقم حزب العمل الألباني بنقد ذاتي بهذا الصدد و يواصل إلى يومنا هذا حمل إسم " حزب العمل ". أن يتصرّف خوجا على هذا النحو و أن يستشيط غضبا لأنّ ماو يعالج مسألة العناصر البرجوازية الصغيرة فى الحزب الشيوعي فى السلطة ، مثال واضح للعيان على نفاقه و فقدانه الساطع للمبادئ و المنهج الماركسيين كميزة لنقاشاته و مماحكاته.

و لعلّ الأسخف فى كامل نقد خوجا لماو و الحزب الشيوعي الصيني هو من جهة الطريقة التي يكشف لنا بها نظرته البيروقراطية و الميتافيزيقية فيما يتصل بالصراعات الداخلية صلب الحزب و من جهة أخرى نداءاته المنافقة **لأشكال** الديمقراطية الحزبية . فهو يعرب عن أن القادة الصينيين يتحرّكون ب" خبث " و "لم ينشروا عددا من الوثائق الضرورية لمعرفة نشاط حزبهم و دولتهم. حالوا و لا يزالون دوما دون نشر وثائقهم" (110)

(فى المقطع ذاته ، يقوم خوجا بملاحظة جدّ غريبة عن المختارات الأربعة لماو يعنى أنّها "مصاغة بطريقة محبوكة إلى حدّ أنّها لا تعطى صورة حقيقية عن الأوضاع مثلما تطوّرت فعلا فى الصين. " إلاّ أنّه لا يتجرّأ على تقديم **أدنى** شهادة لإثبات هذا الإتهام . لا يريد خوجا أن يتوسّع فى هذا الموضوع لأنّ هذا الإتهام منبعه الصحافة السوفياتية. أنظروا مثلا ، " النظرة الفلسفية لماو تسى تونغ" (111) حيث نجد كثيرا من كذب خوجا ضدّ ماو كإدّعاء أنّ ماو كان "عنصريّا" إلخ. و كذلك يحدث خوجا ضوضاء حول أنّ " المؤتمر كجهاز جماعي أعلى للحزب لم ينعقد بصفة منتظمة ". هنا يولى خوجا أهمّية أكبر لشكل الشيئ منه لمضمونه ،و يشبه البرلماني البرجوازي أكثر من الشيوعي. (و بما أنّ خوجا المتشدّد مدافع إلى أبعد حدّ عن أن تقام المؤتمرات بصفة منتظمة ، يمكننا أن نسأله لماذا لم ينعقد المؤتمر الأوّل للحزب الشيوعي الألباني قبل 1948، بعد سبع سنوات من تأسيسه و أزيد من ثلاث سنوات من تحرير البلاد).

فى تاريخ الدول الإشتراكية إن حصل أبدا أن بذل حزب ما بوسعه لأجل أن يفهم خطّه **بشكل عميق** ، لمعرفة تطوّر هذا الخطّ فى تناقض مع خطوط خاطئة و الطريقة التي ظهرت بها فى جميع ميادين النشاط الثوري فهو الحزب الشيوعي الصيني . (وهكذا كان الأمر فى الإتحاد السوفياتي خلال السنوات الأولى من الإشتراكية. لكن منذ أواسط الثلاثينات تزايدت صعوبة التوصّل لفهم عام لصراع الخطّين فى الإتحاد السوفياتي من خلال الوثائق المطبوعة.)

للتوصّل إلى رؤية صحيحة عن الخطّين فى ألبانيا و بالخصوص عن كيفية الصراع الذى دار بين قادة الحزب الشيوعي الألباني و مختلف الفرق المعارضة التي تشكّلت و التي هُزمت داخل الحزب. تقريبا دون إستثناء لا تتحدّث وثائقهم إلاّ عن هذا أو ذاك من " العملاء للخارج " و عن هذا أو ذاك من " المرتدّين" إلخ، الذى سعى لتخريب الحزب. لكن بإستثناء بعض الملاحظات المقتضبة جدّا و العمومية ، لم يُكشف لنا **المضمون السياسي** لمختلف الخطوط المعارضة. و لو أراد خوجا أن يقول إنّه لم توجد خطوط تحريفية فى حزب العمل الألباني سنحييه مرّة أخرى : لا نعتقد ذلك و لا أحد يعتقد فعلا ذلك و لا حتّى المتزلّفين ذاتهم.

لقد عالجنا بعمق نقد خوجا لخطّ ماو حول طبيعة الحزب لأنّ الأوركسترا التي يقودها خوجا تعتبر كتاباته كما لو أنّها عالميّة التطبيق وفى الواقع هي عالميّا خاطئة. أطروحته عن " الحزب ذى الوحدة الصمّاء " لم تعد صحيحة بالنسبة للأحزاب و لكن كذلك يجب أن نضيف أنّه إذا كان تطبيق هذه الصيغ و هذا الفهم الميكانيكي الذى يرتئيه خوجا هو خطأ بالنسبة لحزب لم يتوصّل بعدُ إلى السلطة، سيكون وصفة كارثية لحزب يقود دولة إشتراكية.

و يعزى هذا إلى أنّ طبيعة الصراع الطبقي **تتحوّل** نوعيّا بعد إنتصار الثورة الإشتراكية و بالخصوص بعد تحقيق التحويل الجوهري للبنية الإقتصادية. فى ظلّ الرأسمالية ، يكون الصراع الطبقي صلب الحزب ، بكلمات خوجا، " إنعكاسا للصراع الطبقي الذى يخاض خارجه..." (112) لكنّ خوجا لا يميّز بين الصراع فى ظلّ الرأسمالية و الصراع فى ظلّ الإشتراكية. يقول : " الحزب ليس حلبة طبقية حيث يخاض صراع بين الطبقات المتناحرة..." (113) حقّا؟ و كيف يفسّر خوجا عندئذ الإنقلاب الذى نظّمه خروتشوف؟ كيف يفسّر السنتين من الصراع المريم داخل الأجهزة العليا للحزب السوفياتي بعد وفاة ستالين؟ أليس صراعا بين طبقات متناحرة و ألم تتمّ

داخل الحزب الشيوعي **ذاته؟** و ماذا نقول عن صراع ستالين ضد تروتسكي ، و بوخارين و آخرين خلال العشرينات وهي صراعات دامت سنوات؟

فى الواقع رغم أنّه لا يريد الإعتراف بذلك، يشبه تحليل خوجا لهذا الموضوع كثيرا تحليل هواو كوفينغ و دنك سياو بينغ.إثر إستيلائهم على السلطة نظّم هواو وجماعته هجوما شاملا نظريا ضد تعليمات ماو حول أنّ البرجوازية " توجد داخل الحزب الشيوعي". وإنطلاقا من فهم يشبه تماما فهم خوجا ، أراد هواو أن يجعل الناس تعتقد أنّ صراع الطبقات داخل الحزب ليس إلاّ **إنعكاسا** لصراع الطبقات فى المجتمع ككلّ. مع ترديده بعض المقولات الشهيرة لماو بهذا الصدد ، كان يتهم "مجموعة الأربعة " (التي كانت مثلما يعلم الجميع بقيادة ماو) بأنّها هي التي نشرت فكرة أن **البرجوازية كطبقة** توجد داخل الحزب. حسب فهم هواو و خوجا و إذا كان هذا صحيحا، لن يستطيع الحزب أن يكون حزب البروليتاريا. (114) كانت دوافع هواو كوفينغ و دنك سياو بينغ جليّة. أرادا تحويل نظر الرأي العام بغاية الحفاظ على القادة الرئيسيين للبرجوازية فى عمومها، داخل و خارج الحزب، يعنى الحفاظ فى المسؤولين السائرين مثلهما على الطريق الرأسمالي.

من المفيد الإستشهاد بالحزب الشيوعي الصيني فى هذا المضمار ، حين كان بعدُ يقوده الخطّ الثوري لماو و حين بلغ الصراع مع المسؤولين السائرين فى الطريق الرأسمالي لحظة حرجة: " طوال كامل الفترة التاريخية للإشتراكية، التناقض الرئيسي هو التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية. و لماّ يتغيّر ميزان القوى يحتدّ بينهما الصراع الطبقي داخل الحزب " (115).

فى المقال المستشهد به أعلاه ، و مثلما فى عديد المقالات الأخري، يقدّم الثوريون فى الحزب الشيوعي الصيني تحليلا **ماديّا** لتناقضات الإشتراكية و بالخصوص ، التناقض الرئيسي بين البروليتاريا و البرجوازية؛ و خوجا ينفى هذا التناقض ليدّعي العكس أنّ الإشتراكية " تعنى القضاء على الطبقات المتناحرة و إضطهاد و إستغلال الإنسان للإنسان"(116) (و كلّ هذا ، ظاهريّا لأنّ الدستور الألباني الجديد قنّن ذلك)**!**

يشير المقال الصيني إلى أنّ :

" خطهم التحريفي هو عصارة مصالح البرجوازية ، القديمة و كذلك الجديدة و مصالح كل الطبقات المستغِلة الأخرى ، خطهم هذا هو الذى يحدد الطبيعة البرجوازية للمسؤولين فى الحزب السائرين فى الطريق الرأسمالي ...لئن اعتبرنا المسؤولين فى الحزب السائرين فى الطريق الرأسمالي برجوازيين فذلك لأنهم يمثلون من زاوية الاقتصاد ، علاقات الانتاج الرأسمالية . طوال المرحلة الاشتراكية تسعى البروليتاريا من جهتها باستمرار الى تغييرالبنية الفوقية و علاقات الانتاج التى لا تتماشى مع القاعدة الاقتصادية و لا مع قوى الانتاج الاشتراكية و تسعى الى دفع الثورة الاشتراكية الى النهاية . بينما يجهد هؤلاء المسؤولين فى الحزب انفسهم للابقاء على البنية الفوقية و على علاقات الانتاج التى تعرقل تطور القاعدة الاقتصادية و تطور قوى الانتاج الاشتراكية و يعملون كذلك على اعادة تركيز الرأسمالية... **"** (117)

و مقال آخر نُشر تقريبا فى نفس الفترة (إبّان حملة – نقد دنك و الردّ على الإنحراف اليميني- فى سنة 1976) عالج المسألة بشكل أعمق :

" خطهم التحريفي هو عصارة مصالح البرجوازية ، القديمة و كذلك الجديدة و مصالح كل الطبقات المستغِلة الأخرى ، خطهم هذا هو الذى يحدد الطبيعة البرجوازية للمسؤولين فى الحزب السائرين فى الطريق الرأسمالي ...لئن اعتبرنا المسؤولين فى الحزب السائرين فى الطريق الرأسمالي برجوازيين فذلك لأنهم يمثلون من زاوية الاقتصاد ، علاقات الانتاج الرأسمالية . طوال المرحلة الاشتراكية تسعى البروليتاريا من جهتها باستمرار الى تغييرالبنية الفوقية و علاقات الانتاج التى لا تتماشى مع القاعدة الاقتصادية و لا مع قوى الانتاج الاشتراكية و تسعى الى دفع الثورة الاشتراكية الى النهاية . بينما يجهد هؤلاء المسؤولين فى الحزب انفسهم للابقاء على البنية الفوقية و على علاقات الانتاج التى تعرقل تطور القاعدة الاقتصادية و تطور قوى الانتاج الاشتراكية و يعملون كذلك على اعادة تركيز الرأسمالية... **"**

هذا بعض ما ورد فى مقال نشر ب" أنباء بيكين" عدد25 سنة 1976 من قبل فانغ كانغ تحت عنوان "المسؤولون السائرون فى الطريق الرأسمالي برجوازية فى صفوف الحزب "

و فى السنة نفسها و ضمن" حملة نقد دنك و الرد على الانحراف اليميني " كتب مقال آخر نشر بمجلة "دراسة و نقد " بشنغاي اليكم فقرات منه :

" حين تكون قيادة قسم أو وحدة تحت سيطرة المسؤولين السائرين فى الطريق الرأسمالي الذين يدفعون بقوة الخط التحريفي فإن الانتاج الاشتراكي يصبح حركة لمضاعفة قيمة رأس المال لغاية وحيدة هي تحقيق الربح الأقصى : بصيغة أخرى نظاما رأسماليا

للعمل المأجور . إن نظام الملكية الاشتراكية المعتمد هكذا "مظهرا فقط" يغدو فعليا نظام ملكية رأسمالية تحت قيادة المسؤولين السائرين فى الطريق الرأسمالي و بالفعل فإن البروليتاريا و الشعب العامل سيخسرون هذا الجزء من وسائل الانتاج.

لو أخذنا بعين الاعتبار العلاقات المتبادلة بين أناس يعيشون فى ظل نظام اشتراكي ، نظام غير مرتكز على استغلال الانسان للانسان ، نعلم أن العلاقات بين الكوادر و الجماهير و بين الدرجات السفلى لصفوف الثوريين يجب أن تكون علاقات مساواة رفاقية . و مع ذلك ، فإن الاختلافات الأساسية [بين العمال و الفلاحين ، و المدينة والريف، و العمل اليدوى و العمل الفكرى] لا تزال موجودة بعد كما لا تزال موجودة الممارسة القديمة لتقسيم العمل و نظام الأجور المتدرجة ، بالتالي الحق البرجوازي موجود دائما الى درجة هامة جدا . حتى هذه الحقوق البرجوازية فى العلاقات المتبادلة بين الناس مثل التدرج الصارم [للأجور] علاقات ينبغى القضاءعليها من الآن. و فرض المرء ارادته على الجماهير و بعده عنها و المعاملة غير المتساوية للبعض تعيد الظهور بعد القضاء عليها .

لواغتصب المسؤولون السائرون فى الطريق الرأسمالي ادارة بعض الأقسام فإنهم سيسعون الى تعزيز الحقوق البرجوازية فى العلاقات بين الناس والى توسيعها واضعين العمال تحت "مراقبة و تحقيق و اضطهاد" ، محولين العلاقات الاشتراكية بين الناس الى علاقات قرصنة رأسمالية و فارضين الدكتاتورية البرجوازية . هذا الوضع بيّن جدا فى الاتحاد السوفياتي اليوم". **(118)**

و يسترسل المقال :

" ظهور المسؤولين فى الحزب السائرين فى الطريق الرأسمالي خلال المرحلة الاشتراكية ليس أمرا غريبا بالمرة . كل شيئ ينقسم الى شطرين [ازدواج الواحد] .الحزب السياسي للبروليتاريا ليس بالاستثناء بهذا الصدد. طالما وجدت طبقات و تناقضات طبقية و صراع طبقي فإن مثل هذه الصراعات ستنعكس حتما فى صفوف الحزب . " إن المسؤولين السائرين فى الطريق الرأسمالي لم يكفوا عن اتباع هذا الطريق [ماو] سيبقى هذا ظاهرة تاريخية طويلة الأمد. و الماركسية تختلف عن التحريفية بكون هذه الأخيرة تخاف من الاعتراف بوجود صراع طبقي فى المجتمع الاشتراكي و بالخصوص ظهور البرجوازية داخل الحزب .خروتشوف و بريجناف و أمثالهم حاولوا أن يخدعوا أنفسهم و يخدعوا الآخرين بسفسطات مثل " حزب الشعب بأسره " و " دولة الشعب بأسره " . و دنك سياو بينغ يخاف من سماع الحديث عن القذارة فوق رأسه. لأن الاعتراف بهذا الأمر بالنسبة لهم يعنى الاعتراف بأن البرجوازية فى الحزب هي هم أنفسهم و يعنى بالتالي سحقهم . هذا شاق عليهم و فى الآن نفسه لا يمكن تصوره. إن الحزب البروليتاري الثوري و الماركسيين يتجرؤون أيضا على خوض الثورة الثقافية البروليتارية الكبرى و يتجرؤون على دعوة الجماهير لتعبر عن آرائها و لتلصق معلقات ذات حروف كبيرة و لتعقد نقاشات جماهيرية واسعة فى النضال الصارم ضد المسؤولين السائرين فى الطريق الرأسمالي . ذلك أنه على هذا النحو فقط يمكننا تعزيز دكتاتورية البروليتاريا و الحيلولة دون اعادة تركيز الرأسمالية لأجل البعث النهائي للبرجوازية نحو حتفها الجميل و تحقيق الشيوعية. إن الثورة الاشتراكية ثورة عظيمة تهدف الى دفن آخر طبقة مستغِلة منذ بداية وجود الانسان . " فى مثل هذه المرحلة ، علينا أن نكون على استعداد لخوض صراعات عظيمة فى جوانب عدة ستختلف فيها أشكال الصراع عن تلك التى استعملت فى الماضى" [ماو] . يتعين علينا اذا أن نطبق طريقة التحليل الطبقي للفهم الكامل لخصوصيات الصراع الطبقي و التغيرات فى العلاقات بين الطبقات بغية توضيح هذه المسألة الهامة ألا وهي مسألة البرجوازية فى الحزب و مواصلة ممارسة دكتاتورية البروليتاريا الشاملة على البرجوازية و الاستمرار هكذا فى الثورة الاشتراكية الى النهاية." (119)

تعرض الإستشهادات أعلاه بشكل واضح و مقتضب خطّ ماو تسى تونغ حول طبيعة صراع الطبقات فى ظلّ الإشتراكية. هذا**هو بالذات** الخطّ الذى إنهزم فى الصين الراهنة و الذى يهاجمه الآن خوجا.و طبعا، هو أيضا الخطّ الذى كان على الدوام عرضة للهجمات المسعورة للتحريفيين السوفيات. خطوط السوفيات و الألبانيين و هواو كوفينغ تتفق فى هجومها على المساهمات الكبرى لماو تسى تونغ فى هذا المجال؛ وهي تتّفق أيضا فى عديد الميزات و قبل كلّ شي تنكّرها للجدليّة. لا يتوصّل لا هؤلاء و لا أولئك إلى إجراء تحليل للإشتراكية (أو ما يسمّونه " إشتراكية ") إنطلاقا من التناقضات الداخليةّ؛ و كذلك يرفضون – بصورة مفتوحة فى حال ألبانيا و السوفيات ، و بصورة أقلّ ،لكن جوهريا فى حال قادة الصين الحاليين) الإعتراف بأنّ طبقات **متناحرة** توجد طوال كافة المرحلة الإنتقالية الإشتراكية.

ولنلقى بعض الضوء على تفكير خوجا الذى يرى أنّه لا وجود لطبقات متناحرة فى ظلّ الإشتراكية ، بكلمات أخرى، أنّ البرجوازية ،كطبقة قد وقع القضاء عليها و لم تبق إلاّ "بقايا" ، مع التأثير الإيديولوجي للبرجوازية إلخ. كان ستالين الأوّل فى تقديم هذه الأطروحة بإعلانه أنّ البرجوازية كطبقة قد قضي عليها فى الإتحاد السوفياتي حين تحقيق التحويل الإشتراكي لنظام الملكية . و تمثّل هذه الصيغة بصيغة مركّزة اخطاء ستالين.و تبيّن القاعدة الإيديولوجية ، أي المنحى الميتافيزيقي الذى شوّه تفكيره. لكن الوارثين الأصليين لستالين ، الماركسيين - اللينينيين فى الإتحاد السوفياتي و البروليتاريا الثورية فى العالم بأسره إستخلصوا من ذلك درسا مرّا و تراجيديّا. ما إنفكّت البرجوازية موجودة فقط بل توصّلت إلى إعادة تركيز ذاتها ، إلى إفتكاك سلطة الدولة و أعادت تركيز الرأسمالية. و إزاء محاولة خوجا الذى يسعى لإحياء خطّ بيّن التاريخ خطله ، لا يمكننا سوى قول : ما يعدّ تراجيديا فى المرّة الأولى يصبح كوميديا فى المرّة الثانية.

لسوء الحظّ ، ليس هناك ما يبعث على الضحك فى هذه الكوميديا . تحت تأثير صدمة تكبّد البروليتاريا العالمية من جديد خسارة فادحة أخرى (الهزيمة المؤقتة للثورة فى الصين) ، فَقَدَ العديد من الماركسيين – اللينينيين و أناس آخرون مهتمّين بالثورة البوصلة. و يقدّم لهم خوجا مشروعا ميتافيزيقيا ومثاليّا ،و مملكة هلاميّة حيث لم توجد أبدا حسب إدعائه إشتراكية فى الصين لأنّ ماو "سمح" للبرجوازية بالوجود؛ و بالطبع الهزيمة فى الصين ليست فعلا هزيمة! ثمّة إذا تفاؤل فى هذا العالم الخيالي : إن توصّل الماركسيون-اللينينيون إلى المسك بالسلطة ، سيمكنهم الإنتصار فى المعركة؛ هكذا لن تتعرّض البروليتاريا فى تقدّمها بمثابرة و " بلا هوادة " إلى فوضى أو صراع بلا إنقطاع فيه تراجعات و ستتوصّل ببساطة إلى مملكة التوازن و الإستقرار الأبديين . سيّدى القدّيس خوجا ، نظرتكم للعالم لا تقف على رجليها! لم تعد الطبقة العاملة و الشعب يحتملان الخرافات الخيالية و لا يهتمّون أيضا بمن يدّعون الشيوعية. لا يبحث العمّال عن الضمانات ؛ يفهمون بسرعة أنّ فقط المعتوهين و الإنتهازيين يتجرؤون على تقديم إنتصار دون خطر الهزيمة. فى الواقع ،يريد العمّال المتسلّحون بوعي طبقي **عِلمَا** ، و تفسيرا للقوانين التي تحكم المجتمع، تفسيرا يخوّل لهم تغيير العالم تبعا لهذه القوانين الموضوعية.

و للحظة لنعود لمسألة الإتحاد السوفياتي فى السنوات السابقة لقطع خروتشاف "السير قدما دون تقطّع". إن لم توجد طبقات متناحرة ، إن لم توجد برجوازية ،فـ**من أين** ظهر خروتشاف و أتباعه العديدين؟ هل كانوا أبناء ملاّك إقطاعيين أم رأسماليين قدامى أم ربّما "أعوان للخارج" للبلدان الإمبريالية تسرّبوا إلى الإتحاد السوفياتي ؟ لكن لا : خروتشاف و جماعته ترعرعوا فى ظلّ العلم الأحمر و إحتلّوا مواقعا مرموقة فى الحزب الشيوعي ؛ و كانوا يستطيعون حفظ حتى أكثر إستشهادات من خوجا بشأن "صفاء" الماركسية - اللينينية.

لكن كانوا يمثّلون البرجوازية . لم تكن برجوازية مكتملة التطوّر لأنّه يجب المسك بسلطة الدولة للتوصّل إلى ذلك ، و مع ذلك كانت برجوازية. (و من المستحيل أن توجد البرجوازية فى ظلّ الإشتراكية بالذات بالشكل نفسه لوجودها فى ظلّ الرأسمالية، تتخذ كلمة **بروليتاريا** كذلك معنى جديدا. فالبروليتاريا فى ظلّ الإشتراكية لم تعد " طبقة دون أيّة ملكيّة " مثلما فى زمن الرأسمالية و كذلك ، لم تعد تحت هيمنة رأس المال. لكن الإدعاء أنّ الشيوعيين لا يجب أن يتحدّثوا عن البروليتاريا فى مرحلة الإشتراكية يكون عبثيّا بصفة كلّية فضلا عن كونه تحريفيا. وفى الواقع ، تواصل البرجوازية و البروليتاريا وجودهما عقب الثورة الإشتراكية لكنهما تتخذان مميّزات مغايرة نسبة لتلك فى ظلّ الرأسمالية. و يمكننا بسهولة رؤية كيف أنّ الطريقة الدغمائية (التطبيق الصارم للمفاهيم "الماركسية" لتحليل وضع حيث لا تنطبق هذه المفاهيم بصفة صارمة تنسجم بصفة جميلة مع الإستنتاج التحريفي: إنتفاء الطبقات المتناحرة.) فقد ظهروا متغذّين من بقاياعلاقات الإنتاج و التوزيع الرأسمالية البالية التي تظلّ موجودة والتى لم يكن بوسعها إلاّ أن توجد لا لأنّ ستالين " كان يسمح " بها (رغم أنّه لم يعترف بها كعلاقات رأسمالية إلاّ فى آخر حياته ،و هنا أيضا بطريقة جزئية) لكن لأنّ كلّ " الدوافع الإقتصادية و السياسية و الإيديولوجية " للمجتمع الرأسمالي لا يمكن القضاء عليها لا بضربة واحدة و لا بأمنية بسيطة , ليس بإمكاننا سوى أن نقتلعها شيئا فشيئا ، معا مع تثوير علاقات الإنتاج و البنية الفوقية ، فاسحين المجال ، إنطلاقا من ذلك، لتقدّم و تطوّر قوى الإنتاج.

تغذّى تحريفيو الإتحاد السوفياتي ، شأنهم شأن أمثالهم فى الصين، من بقايا العلاقات الرأسمالية البالية.و أصبحوا هكذا **التعبيرة السياسية** بالذات لهذه البقايا ، مصارعين للحفاظ على العناصر الرأسمالية و إزدهارها. و حتى حين كانت البروليتاريا على رأس الحزب و الدولة و كان التحريفيون هدفا للهجمات السياسية ، توصّل الذين كانوا يتبعون الطريق الرأسمالي داخل الحزب إلى **الإستيلاء** على قيادة بعض الوزارات و الوحدات و المصانع إلخ و كذلك بعض المراكز المفاتيح فى الحزب عينه ،ومؤسسات ثقافية و التعليم و العلوم و هكذا دواليك فى المجتمع كافة. وهو واقع لا يمكن نفيه.

ماذا يتصوّر خوجا عن طبيعة العلاقات فى قطاعات من الحياة الإقتصادية و الإجتماعية و السياسية المهيمن عليها من قبل التحريفيين قبل تمكّنهم من المسك بسلطة الدولة على المستوى القومي؟ هل يعتقد بالفعل أنّ فى المصانع المسيّرة من طرف عصابة خروتشاف لم يوجد أي عنصر إستغلال ، أي تملّك خاص من قبل هؤلاء البيروقراطيين ، لثمار اليد العاملة الجماعية للعمّال؟ هل يعتقد فعلا أنّ تلك المصانع ، مثلا، كانت من الأملاك **العامة** للشعب ، شكلا و مضمونا ؟ أليس بالأحرى صحيحا أنّ التحريفيين قاموا بكلّ ما فى وسعهم لتمرير، حيث كان ممكنا ، سياسات لم يكن لها أن تطبّق على المستوى القومي إلاّ فى ما بعد ، بفضل إنقلابهم؟

لا ، التحريفيون ليسوا مجرّد بيروقراطيين لا ينتمون إلى طبقة ، لهم بعض الأفكار الخاطئة بل إنّهم كما كانوا على الدوام ، عناصر رأسمالية تمتصّ دم العمّال. و على المستوى السياسي حاولوا فرض دكتاتورية البرجوازية فى كافة القطاعات التي هيمنوا عليها. وقد إستعملوا قلاعهم فى ميادين الثقافة و التعليم و العلم لنشر الإيديولوجيا البرجوازية و الصراع ضد الماركسية - اللينينية لإعداد الرأي العام للطريق الذى قرّروا إتباعه. فى صفوف الحزب ، وهو حلبة يجد فيها الصراع الطبقي أعلى نقاطه و شكله الأكثر تركيزا ، شجّعوا التحريفية ، مطالبين بتطبيق خطوط و سياسات تخدم مصالحهم هم (أن يصبحوا مستغِلين) و مصارعين للقضاء على الخطّ الماركسي - اللينيني.

و يتجلّى هذا بسيطا للغاية بالنظر للواقع التاريخي لإنتصار التحريفية فى الإتحاد السوفياتي ، بيد أنّ الأمر ليس كذلك بالنسبة لخوجا. فحسب وجهة نظره الميتافيزيقية و المثالية لا يظهر التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية **إلاّ بعد** إفتكاك السلطة من طرف التحريفيين. مرّة أخرى نجد هنا فلسفة مدرسة ديبورين الباعثة على التقيّئ : لا يمكن للتناقض بين البروليتاريا و البرجوازية ، التناحر بين البروليتاريا و البرجوازية أن يظهر إلاّ فى فترة معيّنة، مبرزا فى يوم ما رأس زوس مكتمل التكوين **!** و هذا قد يحصل فى بلد حيث " لم يسمح " الثوريون فيه بوجود البرجوازية ،و الطبقات المتناحرة أو الخطوط الخاطئة داخل الحزب **!**

لا يتوصّل خوجا لفهم وجود البرجوازية فى ظلّ الإشتراكية لأنّه لا يعرف معالجة الظواهر أبعد من السطحية للمسك بالتناقضات الجوهرية. لا يفهم فحوى الرأسمالية (أن اليد العاملة الميتة تهيمن على اليد العاملة الحيّة،ووجود تملّك خاص للإنتاج الإجتماعي للطبقة العاملة)، و لا يرى بالعكس سوى بعض الناس يعيشون فى منازل فاخرة و لا يساهمون أبدا فى العمل اليدوي إلخ. لهذا ليس بوسعه إدراك أنّ البرجوازية يمكن أن توجد إن " سُمح " لها بذلك أم لم يسمح، داخل الحزب ذاته و المجتمع الإشتراكي.

دور الحزب ذاته فى ظلّ الإشتراكية هو أيضا مليئ بالتناقضات . فمن جهة ، يمثّل الحزب القيادة السياسية للطبقة العاملة و يقودها للقيام بالثورة و مهاجمة كافة بقايا المجتمع القديم، ما يمثّل مظهره الرئيسي. لكن الحزب فى ظلّ الإشتراكية ، من جهة أخرى ، موضوعيّا ، جهاز إداري . فغالبية قياديي الوحدات الخاّصة هم أعضاء بالحزب و تخطيط الدولة يُصاغ تحت قيادة الحزب إلخ. و كذلك يتعيّن على الحزب ، أداة دكتاتورية البروليتاريا ، أن يمارس قيادته فى جميع ميادين المجتمع. وفى الوقت نفسه ، يكون هو ذاته فى تناقض مع الهدف النهائي للصراع: يعنى القضاء على كلّ الإختلافات الطبقية و كلّ ضرورة أن توجد دولة أو حزب ما يجتهد للقضاء على أيّة لامساواة و لكن يجد نفسه مع ذلك مضطرّا للحفاظ ،و حتى الإبقاء على ، بعض بقايا اللامساواة فى شكل إختلافات فى الأجور و إختلافات بين العمل اليدوي و العمل الفكري إلخ. و لكون الحزب لا يستطيع أن يمحيها بإرادته فحسب ، ثمّة إمكانية أن يتحوّل الحزب الماركسي - اللينيني إلى نقيضه بالضبط بفعل كافة هذه التناقضات فى دوره فى ظلّ الإشتراكية.

إعلان ماو الهام (" إنكم تقومون بالثورة الاشتراكية و بعد لا تعرفون أين توجد البرجوازية . إنها بالضبط داخل الحزب الشيوعي – أولئك فى السلطة السائرين فى الطريق الرأسمالي ") يمكن أن ينطبق على أنور خوجا حيث يريد هذا الأخير أن يدفع بالعمّال نحو متابعة لا فائدة منها للمستغِلّين القدامى ،أي أولئك الذين وقع نزع ملكيتهم منذ زمن طويل ، بينما الهدف الرئيسي للصراع الطبقي متخندق صلب الحزب ذاته. عوض قيادة الماركسيين - اللينينيين للإجتهاد من أجل فضح و النضال حالات فى المجتمع الإشتراكي حيث تستعمل الملكية العامّة ، و كذلك قيادة الحزب قناعا ظاهريّا لمحاولات القادة و القبعات الكبرى أن يطبّقوا خطّا تحريفيا و لجعل العمّال عبيدا أجراء من جديد ، يرغب خوجا بالأحرى ان يبذل الماركسيّون – اللينينيون جهودهم فى إماطة اللثام عن المستغِلّين الحقيرين، أمثال أولئك الذين يستعملّون بصفة غير قانونية اليد العاملة و هكذا دواليك. وعوض توجيه النضال السياسي ضد البرجوازية داخل الحزب ، كما فعل ذلك ماو ، يريد خوجا توجيهه ضد أناس مثل أرملة سان يات سان و ديمقراطيين برجوازيين قدماء آخرين، فقط لأنّهم يمسكون بعدُ بمواقع رسمية فى بعض أجهزة الدولة، أجهزة لم تجتمع حتّى منذ سنوات و لم تعد لها أيّة سلطة حقيقية. و من الطبيعي أن يكون هؤلاء الممثّلين **الثانويين** للرأسمالية و الدولة البرجوازية قد لعبوا دورا معيّنا فى الإنقلاب فى الصين مثلما فعل ذلك أمثالهم من العناصر فى الإتحاد السوفياتي ، لكنّهم لم يكونوا ، و ليس بوسعهم أن يكونوا ، القاعدة الرئيسية للبرجوازية . بالفعل ، لا يمثّلون قوّة ذات بال إلاّ إنطلاقا من اللحظة التي توجّههم فيها و تقودهم البرجوازية فى صفوف الحزب.

ثمّ إنّه يصبح، فى مرحلة معيّنة من تطوّر الثورة الإشتراكية، مستحيلا عمليّا على البرجوازية القديمة (يعنى عناصر الطبقات الإستغلالية القديمة)، التوصّل إلى السلطة: قبل كلّ شيئ آخر ، إفتكّت منهم وسائل الإنتاج و كانوا بإستمرار عُرضة لهجمات سياسية و صاروا شيوخا أو ماتوا و إفتضحت سياستهم إلى درجة أنّهم لا يجدون من يساندهم فى المجتمع (و عدد من أبنائهم هم يساندون الإشتراكية أو يقبلون بها). و قد تفطّن ستالين لهذا إذ كان يعرف أنّ عملاء القيصر و الكولاك و ملاّكي المصانع القدامى ، لم يكن بمستطاعهم أبدا العودة للسلطة إلاّ إثر إجتياح إمبريالي. بيد أنّه إستخلص من ذلك إستنتاجا خاطئا يقول إنّ تركيز الرأسمالية لن يغدو ممكنا دون إفتكاك السلطة من قبل الإمبرياليين و إنّ دكتاتورية البروليتاريا كانت ضرورية فحسب لحماية الدولة الإشتراكية من الأعداء الأجانب. هذا هو بالضبط الخطّ الذى يريد خوجا إحياءه اليوم مضيفا بعض "صيغه" الخاصّة حول " التناقض بين الطريق الراسمالي و الطريق الإشتراكي" و " الصراع الطبقي " (لكن ليس صراع طبقات متناحرة **!** و "إمكانية إعادة تركيز الرأسمالية التي لا تزال موجودة " ، وهي جُمل نقلها الحزب الألباني عن ماو دون أن يستوعب حقّا خطّه الماركسي – اللينيني (خطّ ينعتونه اليوم بالتحريفي).

كان إعتراف ستالين بضرورة مواصلة دكتاتورية البروليتاريا فى تناقض حاد مع نظريته حول إنعدام وجود البرجوازية و إنعدام الطبقات المتناحرة و التناقضات التناحرية فى ظلّ الإشتراكية. و شرع ستالين فى التعرّض لبعض مشاكل خطّه فى كتابه " القضايا الإقتصادية للإشتراكية فى الإتحاد السوفياتي" (المكتوب بالضبط قبل وفاته) و فيه صحّح وجهة النظر الخرقاء التي عبّر عنها طوال الثلاثينات، و القائلة إنّه لم توجد تناقضات بين علاقات الإنتاج و قوى الإنتاج فى ظلّ الإشتراكية. و مع ذلك ، لم يتوصّل بعدُ إلى

الخروج بإستنتاجات صحيحة فى ما يتعلّق بمسألة طبيعة الصراع الطبقي فى تلك الحقبة. و لم يبق سوى خروتشاف ل " يحلّ " التناقض فى الخطّ السوفياتي بين دكتاتورية البروليتاريا و ما يسمّى إختفاء البرجوازية ، و من هناك نظريته سيّئة الصيت حول " دولة الشعب بأسره ".

و هكذا ، فكّر خروتشاف (و ليس دون منطق) ، إن لم تكن توجد **برجوازية** ، إن لم تعد توجد **علاقات طبقية تناحرية** ، لماذا يتعيّن الإبقاء على دكتاتورية البروليتاريا و دولة لا توجد إلاّ لممارسة هذه الدكتاتورية على البرجوازية و قمعها بالقوّة ؟ و حين لا نعود فى حاجة إلى دولة لقتال الأعداء الداخليين ، لن توجد إلاّ دولة لمقاومة العدوّ الخارجي الإمبريالي و الأعوان الأجانب و المتآمرين و غيرهم المرتبط وجودهم بهذا العدوّ الخارجي ذاته، ألا يكون من الأسلم إستعمال " دولة الشعب بأسره " ، و العمل من أجل أن يمثّل **كافة** الطبقات فى المجتمع السوفياتي (الطبقة العاملة و الفلاحين و المثّقفين الإشتراكيين) مع مواصلة لعب دورها بالنسبة لعدوّ الخارجي؟ بديهيّا ، الأفكار المتداخلة لستالين أفضل بكثير من التحريفية من نوع الخروتشافية، لكن يجب قول إنّ تفكيره المتداخل كان ينطوي على عديد المظاهر التي كان يمكن ووقع إستعمالها فعلا من قبل خروتشاف حين صاغ نظريّاته التحريفية.

==

4- الجدلية

لقد حاولنا من خلال هذا المقال أن نبيّن أن وجهة نظر خوجا ميتافيزيقية و مثالية على حدّ السواء . بيد أنّه ليس حتى من الضروري أن نستخلص هذا إنطلاقا من سياسته فهو يعترف بذلك بكلّ صراحة و دون أي خجل فى نقده لمادية جدلية ماو.

ينطلق خوجا بداية بتوجيه تهم سخيفة ضد ماو ، معلنا أنّ هذا الأخير " يتبنّى... نظرة ميتافيزيقية ، تطوّرية ." إلاّ أنّه وهو يسعى إلى " شرح " وجهة نظر ماو ، لم يفعل خوجا سوى كشف نظرته هو للعالم الميتافيزيقية بشكل لا يصدّق :

" فى تعارض مع المادية الجدلية التى تبيّن التطوّر التدريجي فى شكل لولبي يتبنّى ماو التطوّر فى شكل دوري، فى شكل دوري مغلق، كسيرورة متموّجة ، تجد تعبيرها فى المرور التناوبي من التوازن إلى عدم التوازن ، من الحركة إلى السكون ، و من الصعود إلى الإنهيار و من التقدّم إلى التراجع إلخ " (120)

و بالطبع لم تكن بتاتا لدي ماو نظرة ميتافيزيقية و تطوّرية . فى مؤلفه الشهير " فى التناقض" طوّر ماو جدالا إستهدف مباشرة " النظرة الميتافيزيقية أو نظرة التطوّر المبتذل إلى العالم ، النظر إلى العالم بصورة منعزلة جامدة وحيدة الجانب ". و لاحظ أنّ : " و يرون أنّ الشيء لا يمكن إلاّ أن يتكاثر و يتولد عنه نفس الشيء مرارا و تكرارا إلى الأبد ، و لا يستطيع مطلقا أن يتغيّر إلى شيء آخر مختلف. و فى رأي الميتافيزيقيين أن الإستغلال الرأسمالي و المنافسة الرأسمالية و الإيديولوجية الفردية فى المجتمع الرأسمالي ، و هلمجرّا ، يمكن أن نجدها فى المجتمع العبودي فى الزمن القديم ، بل فى المجتمع البدائي ؛ و لن تبرح موجودة إلى الأبد دون أدنى تبديل."(121)

فى هذا المقتطف ، و فى هذا النصّ بأكمله ، ينقد ماو نقدا تاما و عميقا وجهة النظر الميتافيزيقية ؛ و من البديهي بالنسبة لأي كان يقرأ هذا النصّ أنّ التأويل الذى يقوم به خوجا لا قيمة له. و ما هو هام هو المفهوم الذى يعطيه خوجا لمصطلح " دورة " و الطريقة التى يحاول بها جعله يتعارض مع مفهوم الخطّ اللولبي.

أكيد أنّه من الصحيح أنّ الأشياء لا تتكرّر " فى شكل دوري مغلق" ، إلاّ أنّه من الصحيح أيضا أنّ فى كلّ ظاهرة يوجد مرور من المدّ غلى الجزر ، و من الجزر إلى المدّ، من التقدّم إلى الهزيمة و ن جديد إلى التقدّم . ألا تتطوّر حركة الجماهير فى البلدان الرأسمالية على هذا النحو؟ أجل ، و كلّ " دورة " ، إذا أردنا ذلك ، لا ترجع إلى نقطة البداية ، و إنّما تمثّل نقطة تقدّم للحركة فى مجملها.أليس صحيحا كذلك أنّه خلال حرب ، يتقدّم جيش و يتراجع ، ثمّ يتقدّم من جديد؟ يتأتّى التوجه العام ، تطوّر الحرب بالضبط من هذه الحركة الدورية. عامة ، يمكن أن نقول إنّ الشيء نفسه يحصل فى كلّ سيرورة معقّدة و طويلة الأمد . فقط فى ألبانيا (أو بالأحرى فى رأس أنور خوجا) أنّ الصراع الطبقي و الثورة يتقدّمان " بلا إنقطاع " و يمكن أن يمرّا من إنتصار إلى آخر دون أن تمنى الثورة أبدا بهزيمة أو إخفاق أو ن وليرحمنا الله، بفترات من الإضطراب و " الفوضى".

إن شرع خوجا فى حرق كتب ماو فعليه أيضا بحرق كتاب ماركس " رأس المال" لأنّ هذا المؤلّف (الذى يمثّل بالنسبة للماركسيين-اللينينيين التطبيق المتميّز للجدلية) يزخر بأمثلة عن ظواهر تتطوّر ليس بتكرار سكوني و لا نهاية له ، لكن تتقدّم فى شكل دوري. لنأخذ مثال حركة رأس المال نفسه فالصيغة تُكتب ن- س- ن من النقد/المال إلى السلعة ثمّ إلى نقد) وهي سيرورة وصفها ماركس ب " حركة الربح المتجدّد أبدا" و " السيرورة الدورية لرأس المال" و عنها قال " لذا السيرورة العامة سيرورة دورية" (122) لكن مع ذلك ، هذه السيرورة الدورية " المتجدّدة أبدا" هي التى تمثّل كذلك سيرورة مراكمة رأس المال، و المرور من رأس المال التنافسي

إلى رأس المال الإحتكاري إلخ و **الأزمات** الإقتصادية تنشأ ، هي الأخرى ، دوريّا ، و عبر هذه الدورات يتقدّم رأس المال نحو نهايته. و الجوهري هنا هو أنّه رغم انّ هذا التطوّر دوري فإنّ الدورات لا تعود بلا إنقطاع إلى نفس نقطة البداية : الحركة ككلّ حركة تطوّر لولبي و بالضبط من خلال مثل هذه الدورات تتطوّر الأمور لتحدث قفزات نوعية إلى الأمام.

و من المفيد أن نستشهد بالتلخيص اللامع الذى صاغه ماو لنظرية المعرفة الماركسية ذلك أنّه يمثّل مثالا ممتازا عن التطبيق الصحيح للجدلية :

" إكتشاف الحقيقة عن طريق الممارسة العملية ، و إثبات و تطوير الحقيقة عن طريق الممارسة العملية مرّة ثانية. الإنطلاق من المعرفة الحسّية و تطويرها بصورة فعّالة إلى المعرفة العقلية ، ثمّ الإنطلاق من المعرفة العقلية لتوجيه الممارسة العملية الثورية بصورة فعّالة فى سبيل تغيير العالم الذاتي و العالم الموضوعي. الممارسة العملية، ثم المعرفة، والعودة إلى الممارسة العملية ثانية ، ثمّ المعرفة أيضا ، و هكذا تكرّر العملية إلى ما لا نهاية له ، و مع كلّ دورة يرتفع مضمون الممارسة العملية و المعرفة إلى مستوى أعلى. هذه هي كلّ النظرية المادية الديالكتيكية عن المعرفة ، و هذه هي النظرية المادية الديالكتيكية عن وحدة المعرفة و العمل." (123)

و هكذا يصف ماو بوضوح السيرورة التى وفقها نتوصّل إلى " مستوى أعلى" مرورا بسلسلة لا تنتهى من الدورات: تطوّر لولبي! يضطرب خوجا حول هذه النقطة لأنّه غير قادر على إستيعاب وجود تطوّر لولبيّ إلاّ إذا ألغينا المنعرجات! و كلّ من يعتقد أنّ الخطّ اللولبي ليس متكوّنا من دورات يجب أن يكون أعمى ، ليس سياسيا فحسب لكن عمليّا أيضا.

(نودّ أن نقترح على خوجا أن يواصل حربه المسعورة ضد " الأشكال الدورية" ليطال لينين الذى كتب فى نصّه " حول الديالكتيك" (مقال من خمس صفحات ذكره خوجا ، على ما يبدو دون ان يطّلع عليه:" إنّ معرفة الإنسان ليست (لا تتبع) خطّا مستقيما ، إنما هي خطّ منحن ، يقترب إقترابا لا حدّ له من سلسلة من الحلقات ، من خطّ لولبي"(124)).

ولنمرّ دون تعليق على كون خوجا يحاول أن يجعلنا نعتقد أن ماو كان منجّما و أنّه كان يعتقد فى الأساطير القديمة ، حتى نتناول بالبحث واحدة من التهم الأكثر جدّية ضد ماو. مع الخليط من الأفكار المضطربة و الأكاذيب الحقيقية المميّزة له ، يُعلن خوجا :

" ينفى ماو جوهريّا التناقضات الداخلية للأشياء و الظواهر ذاتها و يعتبر التطوّر مجرّد إعادة ، تتابع حالات لا حركة فيها ، حيث نلاحظ ذات الأضداد و ذات العلاقة بينها. و تغيّر كلّ مظهر من مظهري التناقض إلى نقيضه يعتبر مجرّد تبديل للمواقع و ليس كحلّ للتناقض و لا كتغيّر نوعي للظاهرة ذاتها التى تتضمّن هذه المتناقضات ، يستعمله ماو كرسم شكلي يرتبط به كلّ شيء "(125)

ماذا لدينا هنا ؟! خوجا الذى يرفض ، هو ذاته، أن يعترف بوجود خطّين صلب الحزب ، والذى يرفض أن يعترف بوجود الطبقات ذات التناقضات العدائية فى ظلّ الإشتراكية يصيح بأعلى صوته و يتهم ماو تسى تونغ بأنّه قد نفى وجود التناقضات الداخلية فى الأشياء!و لهذا الإتهام قيمة تضاهي تقريبا قيمة فضحه اللامع لما يسمّى " عنصرية " لدى ماو ، عبرها يكشف خوجا سلسلة تامّة من الأمثلة عن شوفينيته و قوميته الضيقين الخاصين ! و هذا يشبه قصّة السارق الذى يسرع ليعلن لكلّ من هبّ و دبّ :" لا وجود لأي كنز من هذه الناحية"!

لئن تجاوزنا هذا الإتهام العبثي نو كذلك الطريقة العبثية التى من خلالها يحاول خوجا أن يعيد إحياء " نظريته للدوائر" ليلصقها بماو ، نبلغ فى النهاية بيت القصيد: يعلن خوجا أنّ " تغير كلّ مظهر من مظهري التناقض إلى نقيضه" يمثّل " حلاّ للتناقض" ل[و] " تغيّرا نوعيّا للظاهرة ذاتها التى تتضمّن هذه المتناقضات ".

فى هذا ، لخوجا من الحقّ نصفه ، ما يمثّل تقدّما هاما بالنسبة لمجموع ما يستطيع قوله ! تحوّل الأشياء إلى نقيضها يعنى، و هذا صحيح ، أن تغيّرا نوعيّا حدث. لكن مع الأسف بالنسبة للجدال ليس بوسع خوجا أن يجد نصّا فيه يعارض ماو هذا المبدأ ، و يكتفى بأن يلاحظ ببساطة هذا " الشيء ". و ماو ، بعيدا عن أن يعارض هذا المبدأ ، يستطيع شرحه و على عكس خوجا ، يستطيع شرحه بطريقة صائبة:

" و كثيرا ما نتحدّث عن " حلول الجديد محلّ القديم ". إنّ حلول الجديد محلّ القديم هو قانون عام للكون لا يمكن مقاومته أبدا. إنّ تحوّل شيء إلى شيء آخر تبعا لطبيعته و للظروف المحيطة به و بواسطة أشكال مختلفة من القفزات، تلك هي عملية حلول الجديد محلّ القديم. إنّ كلّ شيء يحوى تناقضا بين طرفه الجديد و طرفه القديم ، تناقضا يشكّل سلسلة من الصراعات الملتوية. و نتيجة لهذه الصراعات يتعاظم الطرف الجديد و يرتفع فيحتلّ مركز السيطرة ، بينما الطرف القديم يتضاءل بصورة تدريجية حتى يضمحلّ. و حالما يسيطر الطرف الجديد على الطرف القديم ، فإنّ الشيء القديم يتحوّل إلى شيء جديد من حيث الطبيعة. و من هنا نرى أنّ طبيعة الشيء يقرّرها بالدرجة الأولى الطرف الرئيسي للتناقض، الذى يحتلّ مركز السيطرة. و عندما يطرأ تبدّل على الطرف الرئيسي للتناقض ، الذى يحتلّ السيطرة فإنّ طبيعة الشيء تتبدّل تبعا لذلك. " (126)

إذن ماو غاية فى الوضوح بهذا المضمار : عند تغيّر مظهري تناقض ، ليس الأمر " مجرّد تبديل للمواقع " (هذا ما يريد خوجا أن يفهمنا إيّاه على أنّه خطّ ماو)، و " حالما يسيطر الطرف الجديد على الطرف القديم ، فإنّ الشيء القديم يتحوّل إلى شيء جديد من حيث الطبيعة " .

لا المسألة هنا ليست مسألة معرفة حدوث تغيّر نوعي من عدمه حينما يتحوّل الضد إلى ضدّه، و إنّما معرفة هل أنّ هذا التغيّر " يحلّ " التناقض ، بصيغة أخرى ، هل يكفّ التناقض عن الوجود ! هذه مسألة دقيقة.هكذا يمضى خوجا إلى الجانب الأقصى الآخر من خطئه النموذجي" لمدرسة ديبورين "؛ الذى أشرنا إليه أعلاه. مثلما لاحظنا ذلك من قبل ، من ناحية ، يتمثّل خطّ خوجا ،فى أنّ التناقض لا **يظهر** إلاّ فى مرحلة معيّنة من تطوّره، و من ناحية ثانية ، نرى أنّ خوجا يؤكّد أنّ التناقض **يضمحلّ** لحظة التغير النوعي بين الضدّين ! كلا الأطروحتين تشتركان فى عدم القدرة على فهم وجود التناقض خلال سيرورة تطوّر الظاهرة كلّها، من البداية إلى النهاية.

أطروحة خوجا القائلة بحلّ التناقض ببساطة لأنّ مظهرا من مظهريه تحوّل إلى نقيضه ، خاطئة بجلاء. ولنضرب مثلا على ذلك التناقض بين الحرب و السلم، على النطاق العالمي ، أو فى بلد معيّن. التناقض بين الحرب و السلم يعود فى التاريخ إلى ما قبل ظهور الطبقات ،و لن يُحلّ إلاّ عندما ستصبح السلم ليس فقط **مظهرا** رئيسيّا للتناقض ، بل س " تلتهم" تماما ،و على النطاق العالمي ، المظهر النقيض أي الحرب.و من هذه اللحظة لن يُوجد تناقض بين الحرب و السلم و كلمة السلم لن يكون لها معنى حتى ، إلاّ بما هي مسألة من مسائل التاريخ.

لكن هناك فترة تاريخية طويلة بين فجر الحروب و فجر الشيوعية ، فترة من الصراع بلا هوادة بين مظهري التناقض وهي متميّزة بتغيّرات نوعية عديدة خلالها تتحوّل الحرب إلى سلم و العكس بالعكس. لهذا لماو الحقّ فى نقد النصّ الفلسفي السوفياتي (الذى حسب رأيه يمثّل وجهة نظر ستالين) و الذى يدّعى عدم وجود أي تماثل بين الحرب و السلم.(127) فللحرب العالمية الثانية جذورها الممتدّة إلى فترة سلم نسبي ناجم بدوره عن فترة حرب **نسبية** أي الحرب العالمية الأولى. لقد حلّت الحرب العالمية الثانية محلّ فترة سلم جديدة نسبية على النطاق العالمي. و مع ذلك، التناقض بين الحرب و السلم لم يُحلّ أبدا أثناء هذه التغييرات. كانت كلّ فترة سلم تنطوي بعدُ على مظاهر حرب (مظاهر الحرب القديمة و الحرب القادمة، إضافة إلى حروب ثورية). و علاوة على ذلك ، لا تمثّل هذه السيرورة سلسلة حلقات تتكرّر بلا نهاية، و إنّما بالأحرى حركة **خطّ لولبي** : كحلقة من الحرب إلى السلم و من جديد إلى الحرب أدّت إلى تقدّم المجتمع، تقدّم تمثّله الحروب الثوريّة (حروب الطبقة العاملة و الشعوب المضطهَدة، الحروب الوحيدة التى بإمكانها أن تؤدّى إلى القضاء التام على الحرب) التى تنتصر أوّلا فى بلد واحد ،ثمّ عدّة بلدان. و بما أنّه يفهم الأمور بصفة صحيحة و من وجهة نظر جدلية ، إستطاع ماو إذن أن يلاحظ (أمام الدعاوي الهستيرية لخروتشاف بأنّ حربا عالمية جديدة قد تفضى إلى سحق الإنسانية جمعاء) بأنّ الحرب العالمية الجديدة قد تفضى بالعكس إلى إعصار ثوري كبير لم نشهده أبدا ، أنّها قد توفّر فرصة أن يلحق بالظام الإمبريالي أخطر هزائمه.

و بطبيعة الحال ، تمنحنا الطبيعة و المجتمع الكثير من الأمثلة الأخرى التى تبيّن المبدأ الذى وفقه يتحوّل المظهر الرئيسي للتناقض ما يؤدّى إلى تغيّر نوعي فى ظاهرة ،رغم أنّ التناقض ذاته يواصل الوجود ،و أن ممظهريها المتناقضين يظلاّ فى صراع.حسب خوجا، عندما يقع التحوّل النوعي الأوّل و يكفّ التناقض ذاته عن الوجود ، ليس من الممكن عند\ذ أن يتحوّل المظهران الواحد إلى الآخر مرّ ة ثانية. نعم تعنى نعم و لا تعنى لاز لا: هذه هي طريقة تفكير خوجا ، طريقة تفكير وفق منطق برجوازي معادي للجدلية. من الوهلة الأولى قد يبدو هكذا تفكير صحيحا لكن مثل وجهة النظر هذه تقود بالتأكيد إلى هزيمة الثورة.

و من البديهي انّ خوجا يقرّر موقفه بهذا المضمار بهدف **إبتداع** مبدأ فلسفي غير موجود (حسبه يفضى التغيّر النوعي إلى إلغاء التناقض الأصلي) ، و بهدف تبرير خطّه المثالي و الميتافيزيقي حول طبيعة الإشتراكية. لهذا يتهم ماو على النحو التالي :

"... لا يرى الثورة الإشتراكية كتغيّر نوعي للمجتمع يؤدّى إلى إلغاء الطبقات المتعادية، و إضطهاد و إستغلال الإنسان للإنسان، لكنّه يتصوّرها كمجرّد تبديل مواقع بين البرجوازية و البروليتاريا "(128) ثم يستشهد بماو : " إذا لم يكن ممكنا أن تتحوّل البرجوازية و البروليتاريا كلّ إلى الآخر ، كيف تفسّرون أنّه بواسطة الثورة صار البروليتاريا الطبقة المهيمنة والبرجوازية الطبقة المهيمَن عليها ؟...نحن و كومنتانغ تشان كاي تشاك متعارضان تماما. و بفعل الصراع و التنافر المتبادل لمظهري التناقض ، غيرنا مواقعنا مع الكومنتانغ..." (129)

و علّق خوجا قائلا : " هذا المنطق ذاته قاد ماو تسى تونغ إلى مراجعة كذلك النظرية الماركسية - اللينينية لمرحلتي المجتمع الشيوعي."

حسن ، كاد خوجا أن يصل. صحيح أنّ منطق ماو هذا ، المنطق الجدلي و المتمثّل فى تحليل كلّ شيء إنطلاقا من تناقضاته الداخلية و مظاهره المتناقضة ، هذا المنطق ذاته هو الذى قاد ماو إلى **تطوير** المعرفة الماركسية -اللينينية للإشتراكية و الإنتقال إلى الشيوعية. و قد إغتاض خوجا كثيرا بسبب مقولة ماو هذه :

" تعتبر الجدلية انّ النظام الإشتراكي بنا هو ظاهرة تاريخية سيضمحلّ فى يوم ما مثلما على الإنسان أن يموت، و أنّ النظام الشيوعي سينفيه. كيف يمكن أن نعتبر ماركسيّا تأكيد أنّ النظام الإشتراكي لن يضمحلّ ؟ أليس هذا عقيدة دينية ، دين يتبنّى أبدية الإلاه ؟ ". (130)

لعلّ هذا المفهوم لا يعجب خوجا غير أنّنا نجده ممتازا **!**

أليس بديهيّا أنّ النظام الإشتراكي يختلف نوعيّا عن النظام الشيوعي **؟!** يتصوّر خوجا انّهما لا يختلفان و أنّ الإشتراكية و الشيوعية هما " جوهريّا ، مرحلتان من نفس النوع ، من نفس النظام الإقتصادي و الإجتماعي و لا يختلفان سوى فى درجة التطوّر و النضج [؛] يقدّم ماو تسى تونغ الإشتراكية كشيئ متعارض تمام التعارض مع الشيوعية " (131). هذا هو الخطّ التحريفي فى أجلى صوره **!** لا يسمح بتقسيم الإشتراكية غلى مظاهر متناقضة بغاية تحليله ، فقط و إنّما ليس من حقّنا أن نعترف بوجود تناقض بين الإشتراكية و الشيوعية.

هذا ليس مفاجئا : بالضبط لأنّ خوجا لا يفهم تناقضات الإشتراكية ، لن يكون بوسعه أبدا فهم التناقض بين الإشتراكية و الشيوعية. و بما أنّ وجهة نظر خوجا المثالية تعتبر أن **التغيير النوعي** من الرأسمالية إلى الإشتراكية يجب أن يقود إلى حلّ التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية ، يجب أن يستنتج أنّ هذا التغيير يمثّل إجمالا **التحقيق الجوهري للشيوعية**، رغم أنّه شيوعية " أقلّ تطوّرا " ، يكفى عندئذ أن يتبع النظام مسار تطوّر كمّي ، " بلا إنقطاع " و أن ينضج قليلا ليبلغ هكذا شيوعية مزدهرة تماما.

إنّ التناقض الجوهري للمجتمع الإشتراكي هو بالضبط التناقض بين البروليتاريا و البرجوازية وهو يعكس بدوره التناقض بين " الشيوعية فى طور الولادة " (مثلما قال لينين) و البقايا السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و الأخلاقية للمجتمع الرأسمالي الصلي. و عندما تقع معالجة هذه التناقضات ، يعنى عندما يكون قد تمّ القضاء على البرجوازية و بقايا المجتمع القديم تحت الطلقات النارية المتكرّرة للبروليتاريا ، و بفضل تقدّم التحويل الإشتراكي ، حينها فقط سيمكننا قول إنّ الإنسانية قد بلغت الشيوعية و إنّ طابع المجتمع سيحدّد بتناقضات جديدة. تحوّل الطبقة العاملة إلى طبقة قائدة للمجتمع يعدّ قفزة إلى الأمام ، نوعية و كذلك الإلغاء الكامل للطبقات يعدّ قفزة أخرى نوعية إلى الأمام أهمّ حتى من الأولى. كلّ هذا يجب أن يبدو من المسائل البسيطة ، لا سيما بالنظر إلى التجربة الهامة المراكمة خلال مائة سنة من الثورات الإشتراكية منذ الكمونة، تجربة بيّنت لنا أنّ الإنتقال إلى الشيوعية سيكون أطول و أنّ مقاومة البرجوازية ستكون أشرس و بقايا المجتمع القديم أكثر عنادا من ما توقّع ماركس و إنجلز. ما كتباه عن الإشتراكية و الشيوعية لع بعدُ تاريخي عظيم ، لكنّهما كانا محدودين بكون البروليتاريا فى تلك الحقبة كانت تفتقد إلى ممارسة بناء الإشتراكية . و خوجا نفسه يتمسّك بأن يروّج و أن يدفع إلى العبثية فكرة أنّ الإشتراكية و الشيوعية يمثّلان ذات " النظام الإقتصادي و الإجتماعي" **!**

حسن ، السيد خوجا ، هل بإمكاننا أن نقول إنّ صيغة " من كلّ حسب عمله " تعكس ذات النظام الإقتصادي و الإجتماعي و صيغة " لكلّ حسب حاجياته "؟ هل أنّ المجتمع حيث تركّز طبقة واحدة دولة و تمارس دكتاتورية [على طبقة أو طبقات أخرى، المترجم] هو ذاته مجتمع حيث لا وجود لدولة و حيث تكون الطبقات قد إضمحلّت ؟ و فى الأخير حقّا، حتى طفل صغير قادر على ان يفهم أنّ الإنتقال إلى مجتمع خالى من الطبقات ، بعد آلاف السنين من المجتمع الطبقي (بما في ذلك الإشتراكية) يمثل قفزة هائلة نوعية إلى الأمام؟

كون خوجا يتمسّك بقول إنّ الإشتراكية و الشيوعية متماثلتين " جوهريّا " يؤدّى إلى نتائج خطيرة للغاية. إنّه يفتح الباب واسعا لهذا الخطّ الضار الذى يبدو أنّه يرافق التحريفية جميعها:" نظرية قوى الإنتاج ".و بالفعل **إن** لم تكن الإشتراكية مختلفة من الشيوعية إلاّ فى درجة " النضج "، و **إن** تمّ حقّ القضاء على التناقض بين البروليتريا و البرجوازية من قبل الإشتراكية ، يجب أن نستنتج أنّه قبل كلّ شيئ مستوى تطوّر قوى الإنتاج هو المميّز بين الشيوعية و مرحلتها الأقلّ " نضجا "، الإشتراكية. و تترتّب عن ذلك منطقيّا " نظرية قوى الإنتاج " وهي جزء تام من كافة الهجوم الشرس لخوجا ضد الماركسية - اللينينية و فكر ماو تسى تونغ.

بفعل خسارة الصين وهي خسارة مأساوية بالنسبة لبروليتاريا العالم بأسره ، تواجه الحركة الشيوعية العالمية حاليّا أخطر أزماتها. الرهان الحالي بالنسبة للماركسيين - اللينينيين هو : هل بإمكاننا أن نظلّ صلبين فى قناعاتنا الثورية و نواصل التقدّم بالنضال الثوري تبعا لعلم الماركسية - اللينينية و إثراء هذا العلم من طرف ماو تسى تونغ؟ أم على الماركسيين - اللينينيين أن يتخلّوا عن كلّ ما أنجز أثناء النضال ضد تحريفية خروتشاف و نسيان دروس الثورة الثقافية ، إلخ و التوافق مع شكل أو آخر من أشكال التحريفية؟

عقب خسارة الصين ، إلتفت الماركسيون – اللينينيون إلى ألبانيا و أنور خوجا . لقد ناضل حزب العمل الألباني جنبا إلى جنب مع ماو و الحزب الشيوعي الصيني ضد خروتشاف ،و ساند الثورة الثقافية و قدّم نفسه نموذجا للعالم بأسره برفضه الإنحناء أمام

التحريفية المعاصرة. لكن اليوم كلّ الأشياء التى علينا بالذات الإعتزاز بها و الدفاع عنها ، كلّ ما كسبته الحركة الشيوعية العالمية أثناء الصراعات الشرسة ، و هزائم و إنتصارات السنوات الأخيرة ، يتعرّض إلى الهجوم من قبل الذين كنّا نتوقّع منهم شيئا مغايرا جدّا.

رغم إحتجاجات خوجا ، من البديهي أنّ الهجوم الألباني ضد فكر ماو تسى تونغ لا يختلف جوهريّا عن الجوقة المناهضة لماو بقيادة الإمبرياليين الإشتراكيين السوفيات و القادة التحريفيين الحاليين فى الصين. إنّهم جميعا متفقون على مهاجمة أهمّ مساهمة من مساهمات ما وفى الماركسية - اللينينية ، أي نظرية وممارسة مواصلة الثورة فى ظلّ دكتاتورية البروليتاريا. لقد تملّكهم كلّهم الرعب من الثورة الثقافية و ما خشوه قبل كلّ شيء من الحركة الثورية المنهمرة للجماهير التى كانت تهاجم كلّ ما كان يقف حاجزا فى طريق المستقبل الشيوعي ،و التى كانت تجرّأ على تشكيل كلّ شيء فى المجتمع على صورة البروليتاريا. التحريفيون السوفيات والصينيون، و الآن أنور خوجا ، يتراجعون برعب أمام جدلية ماو ، أمام عمله النافذ و الذى لا يرحم لبلوغ إكتشاف التناقض الموجود فى قلب كلّ حركة ، أمام رفضه الركوع لأيّة بقرة مقدّسة ، أمام تعاليمه بكون العالم يتقدّم دائما عبر الإضطرابات و الصراعات ،و أمام كونه تجرّا على قيادة الجماهير عبر الأعاصير التى لا يمكن تفاديها. إنّ النداء الشهير الذى أصدره ماو : " من حقّنا أن نثور ضد الرجعيين ! " قد ألهم ثوريي كافة القارات و بثّ الرعب فى ذات قلب الرجعيين و التريفيين جميعهم.

و تُهم خوجا الموجهة لماو بما سمّاه " الشيوعية الآسيوية " و " العنصرية " مستقاة مباشرة من دعاوى التحريفيين السوفيات:

لنأخذ مثلا هذا الإستشهاد : وجهة النظر السياسية و الإقتصادية و الفلسفية و الإجتماعية ، و كذلك الطرق التكتيكية لماو تسى تونغ و أتباعه تعكس تأثير مختلف العقائد و النظريات و المفاهيم المتضنة للفلسفة الإقطاعية الصينية (بالنسبة للأغلبية ، من الكنفشيوسية و التاوية) ، الإشتراكية البرجوازية الصغيرة ، وجهات نظر البرجوازية الصغيرة و الفلاحين ، وجهة نظر البرجوازية الوطنية ، شوفينية القوّة العظمى و أفكار تروتسكي و الفوضوية ، و الكلّ ! ممثلا مزيجا إنتقائيّا ؟ هل أنّ خوجا هو الذى يتحدّث هنا أم هو أحد ببغواته الباعثة على الشفقة ؟ لا ،هذا الإستشهاد مقتطف من كرّاس معنون " ما تصمت عنه بيكين" ، نشر فى موسكو سنة 1972.

أمّا بالنسبة لكونه يكره " فوضى " الثورة الثقافية و كونه يتألّم للشيوعيين المساكين الذين عوملوا بإساءة ، إنّه دنك سياو بينغ بعينه ! يريد خوجا أن يضع نفسه على رأس الحركة الشيوعية العالمية ، كممثّل للماركسية –اللينينية " النقيّة جدّا" ؛ فليس فى الواقع غير تلوينة من التلوينات الغربية للتحريفية يبدو أنّها تدريجيّا تخسر سيماتها المميّزة لتختلط أكثر فأكثر بالتيارا التحريفي الرئيسي النابع من موسكو. خوجا مهمّ اليوم لا لشيء إلاّ لأنّه بصدد محاولة إغراق جزء معيّن من الماركسيين - اللينينيين الذين إلى الآن عارضوا التحريفية ، فى مستنقع التحريفية ، و لأنّه يحاول أن يجعلهم يبتلعون حبّة مُرّة من الإستسلام و الخيانة. و مع ذلك ، لا يجب أن يمضي فى الخيالات و الأوهام بفكرته عن أممية جديدة (متصوّرا نفسه ستالين هذه الحركة ، رغم أنّه عار من المضمون الثوري لستالين) ذلك أنّ الماركسيين- اللينينين الحقيقيين هم بعدُ بصدد الإبتعاد عنه. و ينزع آخرون أكثر فأكثر نحو اليمين ، متماثلين أكثر فأكثر مع الأحزاب التحريفية. و آخرون لا يمثّلون سوى طوائف صغيرة حقيرة لم تعد تفكّر حتى فى الثورة.

و قد تطرّقنا بعمق لبعض الهجمات الأوفر دلالة لدى خوجا ضد الماركسية-اللينينية و فكر ماو تسى تونغ ، يمكن أن نسمح لأنفسنا أن نختم بذات التعليق الذى نشرناه فى مجلّة " الثورة " عندما ظهر التصريح الصحفي الأباني معلنا نشر " الإمبريالية والثورة " ، فاضحا كون خوجا يبتعد كلّيا عن الماركسية: " فى الوقت الذى توجد فيه الحركة الشيوعية فى مفترق طرق، كانت الفرصة متاحة لأنور خوجا و كانت من مسؤوليته أن ينهض بدور هائل. بيد أنّه إختار بالأحرى أن لا يكون سوى شخص مسكين حقير" (132).

الهوامش :

1- أنور خوجا " الإمبريالية و الثورة "(تيرانا ، 1979) ، صفحة 439.

2- المصدر السابق ، صفحة 443-444.

3- ماو تسى تونغ، المؤلفات المختارة ، المجلّد 1 ،صفحة 22(بيكين 1967).[الطبعة باللغة العربية ، م1، صفحة 30].

4- ج. ستالين ، " آفاق الثورة فى الصين" ، الأعمال الكاملة ، المجلّد 8 ، صفحة 385(موسكو 1954).

5- ستالين ، " المميّزات السياسية للمعارضة الروسية" ، الأعمال الكاملة ، المجلد 10 ، صفحة 161، (موسكو1954).

6- "الأممية الشيوعية 1919-1943: وثائق"، نشر جين دغراس ، المجلد الثاني : 1923-1928 ، صفحة 386 (لندن 1960).

7- المصدر السابق ، المجلّد الثالث 1929-1943 ، صفحة 120 (لندن 1965).

8- خوجا ، " الإمبريالية و الثورة" ، صفحة 440-441.

9- ماو " حول تكتيك مناهضة الإمبريالية اليابانية " المؤلفات المختارة ، المجلّد 1 ، ص 185.

[بالعربية ، م1، صفحة 238] .

10 – خوجا ، مصدر سابق ، صفحة 441.

11- ماو ، " الديمقراطية الجديدة" ،المؤلفات المختارة ، المجلّد 2 ، صفحة 383(بيكين، 1967) [بالعربية ، م2 ، ص 499-500].

12- " تاريخ حزب العمل الألباني" ، صفحة 292 (تيرانا، 1971).

13- المصدر السابق ، صفحة 268.

14- المصدر السابق، صفحة 282-283، 340-341.

15- خوجا ، صفحة 184.

16- ستالين ،" الثورة فى الصين و مهام الكومنتلرن" ، الأعمال الكاملة ، المجلد 9 ، صفحة 297 (موسكو 1954).

17- ماو ،" الديمقراطية الجديدة" ، الأعمال المختارة ، المجلّد 2 ، صفحة 368.[بالعربية: م2، صفحة 480]

18- المصدر السابق، صفحة 371-372.[بالعربية : م2 ، صفحة 484].

19- خوجا ، صفحة 247-248.

20- أنظروا الجزء الثاني من السلسلة حول " المساهمات الخالدة لماو تسى تونغ " المعنون " الحرب الثورية و الخطّ العسكري" ؛ و هذا المقال قد نشر فى مجلّة " الثورة" لشهر جوان 1978. و بعدئذ نشرت السلسلة فى كتاب (منشورات الحزب الشيوعي الثوري ، شيكاغو، 1979).

21- ستالين ،" آفاق الثورة فى الصين" ، الأعمال الكاملة ، المجلّد 8، صفحة 379.

22- ماو ،" تكتيك النضال ضد الإمبريالية اليابانية "، الأعمال المختارة ، المجلّد 1، صفحة 177.[بالعربية ،م 1، صفحة 234].

23- خوجا، صفحة 379.

24- ماو ، " ربّ شرارة أحرقت سهلا" ، المؤلفات الختارة ، المجلّد 1 ، صفحة 135 (يذكر ماو و يدعم رسالة من لجنة الجبهة إلى اللجنة المركزية) [بالعربية :م1 ، ص 179].

25- ماو ، " قرارات حول بعض المسائل فى تاريخ حزبنا" ، الأعمال المختارة ، المجلد 3 ، صفحة 215-217 (بيكين، 1965) (هذا المقالنشر كملحق لمقال ماو " دراستنا و الوضع الراهن" ، بالأنجليزية ، سنة1965).

26- المصدر السابق.

27- ماو ، " الديمقراطية الجديدة " ، المجلد 2، صفحة 380.

28- ذكره هان سيوين فى " طوفان الصباح: ماو تسى تونغ و الثورة الصينية 1893-1954" صفحة 114، (بوستن 1972).

29- المصدر السابق ، صفحة 156.

30- ستالين ، " الوضع العالمي و الدفاع عن الإتحاد السوفياتي" ، الأعمال الكاملة ، المجلّد 10، صفحة 18.

31- ستالين ، " ملاحظات حول مواضيع معاصرة" ، الأعمال الكاملة ن المجلد 9 ، صفحة 338-339.

32- خوجا ، صفحة 416-417.

33- ماو، " دور الحزب الشيوعي الصيني فى الحرب الوطنية " ، الأعمال المحتارة ، المجلد 2 ، صفحة 224-226.

34- ماو ، " بعض التقديرات حول الوضع الدولي الراهن" ، المؤلفات المختارة ، المجلد 4 صفحة 87-88 (بيكين 1969).

35- خوجا ، صفحة 462.

36- خوجا ،صفحة 462.

37- المصدر السابق ، صفحة 463.

38- ماو ، " حول العشر علاقات الكبرى" ، المؤلفات المختارة ، المجلّد الخامس ، صفحة 328 (بيكين ، 1977).

39- خوجا ، صفحة 406.

40- ماو ، " خطاب فى الإجتماع العام الثاني للجنة المركزية للمؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني " ، المؤلفات المختارة ، المجلّد الخامس ، الضفحة 369.

41- " تاريخ حزب العمل الألباني " ، صفحة 439 ،و أنور خوجا ، المؤلفات المختارة ، المجلّد 2 ، صفحة 508 (تيرانا 1975) ملاحظة الناشر.

42- أنظروا ،مثلا ، خوجا ، المصدر السابق ، صفحة 659؛673 و 713.

43- المصدر السابق ، صفحة 672.

44- المصدر السابق ، صفحة 657، ملاحظة الناشر.

45- المصدر السابق ، صفحة 658، ملاحظة الناشر.

46- خوجا ، المصدر السابق ، صفحة 658.

47- " 15 سنة عمر حوب العمل الألباني" ، البرافدا ، 8 نوفمبر 1956، صفحة 3 .

48- " إتبعوا دائما خطّا صحيحا" (مساهمة أنور خوجا فى نقاش فجتماع المكتب السياسي للجنة المركزية لحزب العمل الألباني، 22 جوان 1960:" ألبانيا تتحدّى تحريفية خروتشاف" ، صفحة 2-3 من المجلد ّ 19 من الأعمال الكاملة لأنور خوجا (نيويورك 1976).

49- خوجا ، " الإمبريالية و الثورة" ، صفحة 448.

50- المصدر السابق ، صفحة 453.

51- تقرير إلى الإجتماع العام الثاني للجنة المركزية للمؤتمر الثامن للحزب الشيوعي الصيني " ، الأعمال المختارة ، المجلّد 4، صفحة 382-383

52- المصدر السابق، ص 385.

53- المصدر السابق، ص 386.

54- المصدر السابق، ص 386-387.

55- ذكره خوجا فى الصفحة 452.

56- المصدر السابق ، صفحة 452-453.

57- ماو ،" التناقض بين الطبقة العاملة و البرجوازية هو التناقض الرئيسي فى الصين" ، الأعمال المختارة، المجلّد 5، صفحة 80.

58- ماو ، " نقد الرؤى الإنحرافية اليمينية التى تبتعد عن الخطّ العام" ، المصدر السابق ، صفحة 97-98.

59- أنظروا ،" الورقات الحمراء 7: كيف جرت إعادة تركيز الرأسمالية فى الإتحاد السوفياتي و ما يعنيه ذلك بالنسبة للنضال العالمي" ، صفحة 15(شيكاغو 1974) .

60- خوجا ، ص 433.

61- ماو ، " حول المعالجة الصحيحة للتناقضات فى صلب الشعب" ، الأعمال المختارة ، المجلّد 5، صفحة 447-448.

62- ماو ، " يجب نقد التوجه البرجوازي لواهيوباو" ، الأعمال المختارة ، المجلّد 5 ، صفحة 493.

63- ماو ، " الوضع هذه الصائفة 1957" ، الأعمال المختارة ، المجلد 5، صفحة 518.

64- ماو " المعالجة الصحيحة للتناقضات فى صلب الشعب"، ذكر سابقا ، صفحة 445-446.

65- الفصل 16 من " دستور جمهورية ألبانيا الشعبية الإشتراية" ،صفحة 13 (تيرانا ، 1977).

66- خوجا ، صفحة 431، ذاكرا ماو " حول العشر علاقات الكبرى "، المؤلفات المختارة ، المجلّد 5، صفحة 319.

67- خوجا ،مصدر سابق.

68- ماو ، " حول العشر علاقات الكبرى" ، مصدر ذكر سابقا ، صفحة 320-321.

69- المصدر السابق، صفحة 320.

70- ماو ، " المعالجة الصحيحة للتناقضات فى صلب الشعب" ، الأعمال المختارة، المجلّد 5، صفحة 449.

71- لينين ،"الثورة البروليتارية و المرتدّ كاوتسكي" ، صفحة 58(بيكين 1970).[بالعربية ص51]

72- خوجا،" الإمبريالية و الثورة" ، صفحة 432.

73- " تاريخ حزب العمل الألباني" ، صفحة 340.

74- ماو، " خطابات فى ندوة الكتاب العامين للجان الحزب فى المقاطعات و البلديات و المناطق ذات الحكم الذاتي" ،" المؤلّفات المختارة" ، المجلّد 5، صفحة 383.

75- خوجا، صفحة 448.

76- مصدر سابق ، صفحة 413.

77- مصدر سابق، صفحة 411-412.

78- لينين ،" ملخّص نقاش حول حقّ الأمم فى تقرير مصيرها"، الأعمال الكاملة ، المجلّد 22 ، صفحة 382-383 (موسكو و باريس 1977) .

79- ماو ، الأعمال المختارة ، المجلّد 2 ، صفحة 263.

80- المصدر السابق، صفحة 256.

81- المصدر السابق، صفحة 263-264.

82- المصدر السابق، صفحة 256.

83- " خطاب أمام الممثّلين العسكريين الألبانيين" ، خدمة بحوث المنشورات المشتركة " تجميع نصوص فكر ماو تسى تونغ"(1949-1968) صفحة 458 (آرلينغتون، فرجينيا ، 1974).

84- أنظروا " قرار ال16 نقطة حول الثورة الثقافية" و " إخطار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني"(ل 16 ماي 1966) نشرا فى شكل كرّاس فى بيكين سنة 1968.

85- خوجا ، صفحة 477.

86- وانغ مينغ ، " لينين ، اللينينية و الثورة الصينية" (موسكو ، 1970).

87- أنظروا " غوارديان منشستر" (29 أكتوبر 1978) ، صفحة 13، ذاكرا هوانغتون، رئيس تحرير يومية الحزب الفتنامي ، ناهن دون.

88- خوجا ، صفحة 410-411، التسطير مضاف.

89- المصدر السابق، صفحة 414،التسطير مضاف.

90- أنظروا " رسالة اللجنة المركزية لحزب العمل الألباني و الحكومة الألبانية إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي و الحكومة الصينية" (تيرانا ، 1978) حيث يدّعى الحزب الأباني أنّ الثورة الثقافية " إنتهت هكذا فى الصين بتركيز سلطة بأيدى عناصر برجوازية و تحريفية" ، صفحة 38، التسطير مضاف.

91- خوجا، الصفحة 420-422

92- المصدر السابق ، صفحة 422.

93- ماو " المنهج الجدلي لضمان وحدة الحزب" ،الأعمال المختارة ، المجلّد 5 ، صفحة 559.

94- المصدر السابقز

95- " المؤتمر العاشر للحزب الشيوعي الصيني" (وثائق) ،الصفحة 51 (بيكين ،1973).

96- ماو ، " فى التناقض" ، المؤلفات المختارة ، المجلدّ 1 ، الصفحة 347.

97- ذكره خوجا فى الصفحة 421: و الكلمتان بين معقّفين لم يذكرهما خوجا رغم أنّهما موجودتان فى جملة ماو ، أنظروا " المنهج الجدلي لضمان وحدة الحزب" ، الأمال الختارة ، المجلّد 5 ، ص 560.

98- ماو ، المصدر السابق.

99- المصدر السابق ، صفحة 559.

100- خوجا، صفحة 422.

101- ماو ، " تعزيز الحزب و ممواصلة تقاليده" ،الأعمال المختارة ، المجلّد 5 ، صفحة 348.

102- المصدر السابق، صفحة 346-347.

103-المصدر السابق، صفحة 347.

104- المصدر السابق ، صفحة 348.

105- ماو " الثورة الصينية و الحزب الشيوعي الصيني"، الأعمالالمختارة ، المجلّد 2، صفحة 348-349.

106- لينين ،" مرض اليسار الطفولي فى الشيوعية ("اليسراوية")،صفحة 121-122 (بيكين، 1970).

107- " تاريخ حزب العمل الألباني" ، صفحة 292-293.

108- ذكره وليام آ شفى كتابه " الفأس و البندقية: قصة الشعب الألباني" ،صفحة 112، (لندن ،1974)،التسطير منّا.

109- " تاريخ حزب العمل الألباني" ، صفحة 354-355.

110- خوجا، " الإمبريالية و الثورة" ، صفحة 409.

111- م . آلتايستى ، ف جيورجيجاف، " النظرة الفلسفية لماو تسى تونغ: تحليل نقدي" (موسكو ، 1971).

112- خوجا، صفحة 421.

113- المصدر السابق، صفحة 421.

114- أنظروا تقرير هواو للمؤتمر 11 للحزب الشيوعي الصيني ضمن " المؤتمر 11 للحزب الشيوعي الصيني" (وثائق) (بيكين 1977).

115- فانغ كانغ /" المسؤوبون أتباع الطريق الرأسمالي ، برجوازية صلب الحزب"أحبار بيكين، عدد 25 ، صفحة 8، 1976.

116- خوجا ، صفحة 438.

117- فانغ كانغ، مصدر سابق ، صفحة 9.

118- " أتباع الطريق الرأسمالي هم ممثّلو علاقات الإنتاج الرأسمالية" ، نشر هذا المقال فى مجلّة "دراسة و نقد" بشنغاي فى ظلّ قيادة الأربعة. ووقع إيقاف المجلّة منذ إنقلاب 1976. و قد تمّت إعادة نشره ضمن " و خامسهم ماو" لبانر براس (شيكاغو ، 1978)و منه إقتطفنا هذا الإستشهاد، صفحة 369-370.

119- المصدر السابق، ص 373.

120- خوجا، صفحة 435.

121- ماو ، " فى التناقض" ، الأعمال المختارة ، المجلّد 1، صفحة 348-349.[الطبعة العربية: م 1 ،ص 455] .

122- ماركس ن " رأس المال" المجلد 1 (المنشوؤات الإجتماعية ،منريال 1976) ، صفحة 119 ، و المجلّد 2 ، صفحة 48 و 52 .

123 -ماو "فى الممارسة العملية" ، الأعمال المختارة ، المجلّد 1، صفحة 344.[الطبعة باللغة العربية : م 1، ص 451].

124- لينين ،" حول مسألة الديالكتيك" ، الأعمال الكاملة ، المجلّد 38 (باريس و موسكو 1976)، صفحة 347. [بالعربية ؛ لينين المختارات فى 10 مجلّدات ، المجلّد4، صفحة 472].

125- خوجا، صفحة 437.

126- ماو ، " فى التناقض" ،مصدر ذكر سابقا، صفحة 372. [بالعربية :م1،ص 484].

127- ماو ، " خطابات فى ندوة الكتاب العامين للحزب للمحافظات و البلديات و المناطق ذات الحكم الذاتي" ، الأعمال المختارة ن المجلّد 5، صفحة 399.

128- خوجا ، صفحة 438.

129- المصدر السابق ، صفحة 438، ذاكرا ماو " خطابات فى ندوة الكتاب العامين للحزب للمحافظات و البلديات و المناطق ذات الحكم الذاتي" مصدر ذكر سابقا ، صفحة 399-400.

130- خوجا، صفحة 438-439 ، ذاكرا ماو ، " خطابات فى ندوة الكتاب العامين للحزب للمحافظات و البلديات و المناطق ذات الحكم الذاتي " مصدر ذكر سابقا ، صفحة 409.

131- خوجا ، صفحة 439.

132- " الثورة " المجلّد 4 ، عدد 1 ، صفحة 4 (جانفي 1979).

======2012===